صناعة القيادة

جهاد محمد حسن



بيت المقدس



1441 هـ 2020 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

صناعة القيادة

لجهاد مُحَّمد حسن

بيت المقدس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نجمع في طيّات هذا الكتاب خلاصة كتابين بارزين في فنّ القيادة، الأول للشيخ سعيد حوى[1] -رحمه الله- المعنون بـ(فصول في الإمرة والأمير)، والثاني (لمحات في فن القيادة) لمؤلفه ج. كورتوا، إضافة إلى تعليقات الشيخ أبي مصعب السوري في دورة له عن مهارات القيادة[2]، بثّ خلالها معرفته بهذا العلم معتمدًا على نفس الكتابين، لنسند هذا الجمع بما تيسر من مفاهيم وخلاصات لصناعة القيادة نرى أنها أضحت ضرورة ملحّة في وقت اشتدت فيه رحى الحرب بين معسكر الإسلام ومعسكر الكفر.

---

[1] يقول الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه "دعوة المقاومة الإسلامية" الجزء الأول صفحة 1386، طبعة بيت المقدس: "وظهر في الإخوان المسلمين في سوريا الشيخ (سعيد حوى) رحمه الله وتتالت كتبه التي حملت الفكر الجهادي وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات.. وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء). وكان منها كتب ؛ (الله) (الرسول) (الإسلام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) وكان من أهم كتبه التي نظرت للفكر الجهادي؛ كتاب (خطوة للأمام على طريق الجهاد المبارك)، وكتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند الله تنظيما وتخطيطا). وهي قمة عطائه الفكري الجهادي... حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكريا نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهادي في سوريا. انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له. ويقول الشيخ أبي مصعب في الصفحة 1357 من نفس الجزء: وظهر "منهاج فكري جديد وفقه جديد كان على جهاز التربية في الإخوان أن يلقنه للمجاهدين. وكتب الشيخ(منير الغضبان) من الإخوان المسلمين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية – سامحه الله-) كتب كتاب (التحالف السياسي في الإسلام) وتولى مع الشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غده ، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المرحلة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرسول ﷺ. حتى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله (عندي أزمة ! كيف أدرس الشباب هذه الكتب التي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التحالف الوطني ثم أدرسهم كتاب معالم في الطريق لسيد قطب؟!) ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثورة الجهادية في سوريا – آلام وآمال) المنشور سنة 1990م." وأضاف في الجزء الثاني الصفحة 414 متحدثا عن انحرافات الإخوان التي من بينها: "زعمهم حل تسلم الوزارات والمناصب في حكومات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) عليه السلام طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قال له ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:55). وللأسف فقد كان شيخنا سعيد حوى – غفر الله له – من أوائل من أطلق هذه الفرية في كتابه (دروس في العمل الإسلامي)، مطلع الثمانينات. ثم تتابع خرز المسبحة لما انفرطت ..! وهذا زعم باطل من وجوه كثيرة. وأوضح أدلة البطلان لو سلمت النفوس من الأهواء. ومن احتراف استغلال نصوص القرآن في غير مواضعها..".

[2] الدورة نشرت ناقصة، حيث لم ينشر منها إلا تسع حلقات. ووفّرت تفريغها مؤسسة التحايا بارك الله في جهود العالمين عليها.

وسنقسم الكتاب بنفس التقسيم الذي أراده الشيخ أبو مصعب لتناول القيادة ولكن مع بعض التصرف وبإضافة قسم خامس، وبهذا سينقسم هذا الكتاب إلى خمسة فصول:

1. الفصل الأول: مقدمة في الإمارة وأهميتها.
2. الفصل الثاني: الصفات الواجب توفّرها في القائد.
3. الفصل الثالث: الفنون التي يجب أن يتقنها القائد.
4. الفصل الرابع: كيف نصنع قادتنا (في وضعنا الجهادي الحالي وضمن إمكانياتنا وظروفنا الموضوعية).
5. الفصل الخامس: نماذج للقيادات.

ولقد جاء هذا الطرح بهدف تقديم مؤلف جامع لفوائد السابقين في فنّ القيادة نعضده بأمثلة من الحاضر تسلط الضوء على أهمية صناعة القادة في المرحلة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية بعد أن تسربت روح الجهاد في جوانح أبنائها.

وجدير بالذكر أن الشيخ سعيد حوى أدرج في كتابه نقولات من كتاب كورتوا وقال بعد عرض بعض خلاصاته:"هذه لمحات من كتاب لمحات في فن القيادة أردنا بها أن نقدم خلاصة لاستقراءات العقل البشري من خلال التجربة لما ينبغي أن يراعيه الأمير وما يلزمه لينجح في إمرته ولقد خشينا إن فاتنا مثل هذا الفصل أن تبقى ثغرة في الكتاب كأن يغيب فيه جانب مما ينبغي أن يتذكره كل من ابتلي بنوع من أنواع الإمرة".

كما أضاف لهذه اللمحات لمحات عن الأمير عند مكيافللي وعند بروتوكولات حكماء صهيون ولكن في العموم كان كتاب الشيخ سعيد

حوى يعتمد بالأصل وبشكل أساسي على كتاب ابن الأزرق "بدائع السلك في طبائع الملك" الذي يصنف من أمهات الكتب المحيطة بفنون القيادة.

ولقد لفت انتباهي ما كتبه الشيخ في مقدمة كتابه بشأن الكتابة في موضوع الإمارة حين أظهر دراية جيدة بحقيقة النقص الذي تعاني منه الأمة في باب القيادات، ولخّص بذلك حقيقة تعرفها الحركة الجهادية التي فقدت الكثير من قياداتها المتميّزة نتيجة تربص الغرب الكافر على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية المجرمة وملاحقتها لقيادات المجاهدين كأشد ما تكون الملاحقة.

حيث قال الشيخ سعيد حوى في مقدمته: "لقد استفرغ التنافس على السلطان طاقات الأمة الإسلامية وأضعفها، ومكّن لعدوها منها، ولا زال يستفرغ هذه الطاقات ويفنيها ويعدمها، وهذا عامل من عوامل انحسار الإسلام في أقطاره وفي العالم، وهذا يقتضي والأمة الإسلامية تريد استئناف مسيرتها العالمية الظافرة بإذن الله أن توجد المدرسة التي تربي وتهذّب فلا تسمح لتلك المظاهر ولهذه المخاطر أن تظهر مرة أخرى".

وأضاف متألما: "إنه ليحزّ في نفسي أنني أجد أكثر مدارس تخريج الأمراء الذين يديرون أمر العالم الإسلامي غير إسلامية وأن محاضن تخريج الأمراء الإسلاميين تكاد تكون مفقودة على الأرض الإسلامية، وأن الحركة الإسلامية لم تهتم كثيرًا بهذا الشأن وتركت للعفوية في كثير من الأحيان أن تقدم للإمرة من تقدم، والعفوية تترك ثغرة كبيرة تشكّل مقاتل للعمل السياسي في عصرنا، ولعل هذا الكتاب يساعد إلى حد كبير في التذكير بجوانب لابد منها".

ولعل ما يجعل الإلحاح دافعًا لتناول هذا الطرح بنوع من الاهتمام والتركيز هو أن الساحة الجهادية اليوم وصلت لمرحلة متقدمة في التمكين وتأسيس ولايات إسلامية وسيطرات تديرها وتحكمها الجماعات الجهادية بطاقاتها وكفاءاتها المحدودة مع العلم أن هذه الحالة من التمكين والانتشار مرشحة بقوة للاستمرار والتوسع بسبب ما يتوعد النظام الدولي من تفكك وانهيار، ومن تراجع للقوى الكبرى باتت أماراته ظاهرة للعيان ولعلها المرحلة التي تحدث عنها الشيخ ناجي العلي بتفصيل مفيد، في كتابه إدارة التوحش. والأهم منه إقبال أبناء الأمة الإسلامية لمعسكرات التدريب واتساع دائرة الجهاد من حالة النخبة إلى حالة الأمة، وأضحى أمام قيادة الحركة الجهادية مسؤولية كبرى في صناعة القيادات الراشدة والمهلمة لقيادة الصفوف وتوجيه الجيوش وإدارة المكاتب والدوائر، وهذه الصناعة تحتاج لعبقرية وصبر وقبل ذلك حسن إلمام بفنون القيادة وصناعة القادة ومعرفة عميقة بالظروف التي تمر بها الأمة وحجم ونوعية الطاقات التي تحويها شرائح الأمة فضلا عن دراية أكبر بمخططات الغرب ومكائده والتحديات.

ولأن الكتابة في الشأن الجهادي ضعفت في الآونة الأخيرة بعد رحيل أئمة الجهاد الأوائل الذين ازدانوا بمهارات أدبية وعسكرية باهرة وخبرات لا تقدر بثمن، ولانشغال القادة الورثة بالعمل وسد الثغور ومواجهة قوى الكفر والنفاق والعمالة، رأيت في تقديم زبدة الفوائد في موضوع الإمارة والقيادة تذكرة نافعة بإذن الله.

وإن مجرد النظر لمعسكرات تدريب المجاهدين كيف امتلأت بأعداد النافرين لتجعل مسؤولية العمل في صناعة القيادات ذات أولوية وأهمية بالغة، نسأل

الله أن ينفع بهذا الطرح وأن يهيأ لهذه الأمة القادة الأكفاء الأمناء الأقوياء الذين يقودون مسيرتها لبرّ الأمان وخلافة آخر الزمان.

جهاد مُحمَّد حسن

الفصل الأول: مقدمة في الإمارة وأهميتها

نستهل هذا الفصل بتقديم ملخصات لما تناوله الكاتبين في كتابي "فصول في الإمرة والأمير"، و"لمحات في فن القيادة" بشأن الإمارة وأهميتها، نضيف إليها ملاحظات وتعليقات الشيخ أبي مصعب وبعض ما يجدر ذكره وإضافته في هذا القسم.

الباب الأول: فصول في الإمرة والأمير لسعيد حوى

تناول الشيخ سعيد حوى قضية الإمارة وأهميتها وأسهب في بيان ذلك، وقال الشيخ: إن قيام الإنسان بالتكليف هو حمله للأمانة حيث قال تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلومًا جهولًا﴾[3] [الأحزاب: 72].

ولقد كلف الله عز وجل البشر بما يصلحهم في أمر دنياهم وأخراهم فإذا قام الناس جميعًا بالتكليف صلح بذلك أمرهم، وحسنت بذلك حياتهم واستقامت وقتذاك طرائقهم.

وقد نبأنا رسول الله ﷺ أن من علامات القيامة تضييع الأمانة بسبب توسيد الأمر إلى غير أهله لأنه بذلك ينمو الشر ويقل الخير وبناءً على هذا فإن على المسلمين جميعا فضلا عن العاملين للإسلام أن يضعوا الأمر في

[3] يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني (حفظه الله) في رسالته (لماذا الجهاد؟): وليس الظلم والجهل بسبب حملها، ولكنّه بجهله في قيمة هذه الأمانة، وبظلمه لحقّها.

نصابه فلا يقدموا لأي نوع من أنواع الإمرة إلا من هو أهل لها، وإذا اضطروا فعليهم أن يؤهلوا ذلك الإنسان للإمرة المرشح لها. أو يعطوه فرصة ليؤهل نفسه ويطالبوه بذلك ويمتحنونه فيه.

وإن فسادًا كبيرًا ينشأ في هذا العالم وتفريطًا خطيرًا في شأن المسلمين وخللًا واضحًا يصيب جسم الجماعات الإسلامية عندما يقدم على أي مستوى من لا يصلح للإمرة، فالدائرة التي لا يوجد فيها أمير صالح ومؤهل تفسد أو سيصيبها الفساد.

ونخرج بقاعدة أن أصل التكليف يتعطل بسبب الخلل في منصب الإمرة ولذلك كان لمنصب الأمير فضل كبير وعلى صاحبه إن قصّر وزر كبير، وفيما بين ذلك ناس خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم.

- في عظم فضل الإمرة

ذكر أبو عبد الله بن الأزرق في كتابه "بدائع السلك في طبائع الملك" جزءًا من رسالة الطرطوشي إلى علي بن يوسف بن تاشفين وفيها: "يا أبا يعقوب، لقد ابتليت بأمر لو حملته السموات لانفطرت ولو حملته النجوم لانكدرت ولو حملته الأرض والجبال لتزلزلت وتدكدكت إنك حملت الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

واعلم يا أبا يعقوب أنه لا يزني فرج في ولايتك ومدى سلطانك طول عمرك إلا كنت المسئول عنه والمطالب به والمرتهن بجريرته، ولا يشرب فيها نقطة مسكر إلا وأنت المسئول عنها ولا ينتهك فيها عرض مسلم إلا وأنت

المطالب به، ولا يتعامل فيها بالربا إلا وأنت المأخوذ به، وكذا سائر المظالم وكل حرمة انتهكت من حرمات الله تعالى فعهدتها عليك لأنك قادر على تغييرها، فأما ما خفي عليك من ذلك فأنت المبرأ منه إن شاء الله تعالى".

ومع عظيم هذه المسئولية فإن للإمرة من شرف المنزلة وجزيل الأجر ما من حقه أن يغتبط بها من فازت بها قداحه، قال الطرطوشي: "ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا لنبي مرسل وملك مقرب".

ويكفيك من هذا قوله ﷺ : (من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى الضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم)، رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه الإمام مسلم.

– في ضرورة الإمرة

قال عليه الصلاة والسلام عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّر أحدهما " رواه أبو داود بإسناد حسن.

وقال الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

والإمرة لابد منها لحياة بشرية ولابد منها لحياة إسلامية، بل إن الاجتماع أصلًا لا يقوم بلا إمرة، فترتيب الاجتماع البشري وقطع الطريق على الظالم وإقامة العدل والحيلولة دون أن يأكل القوي الضعيف إلى غير ذلك من أمور كثيرة، تجعل الإمرة ضرورة من ضرورات الحياة البشرية وعظمة الدول قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾(البقرة:

251). ﴿وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّـاسَ بَعْضَـهُمْ بِـبَعْضٍ لَهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: 40).

ولا تقـوم حيـاة إسـلامية بـلا إمـرة "فتنفيـذ الأحكـام وإقامـة الصـلوات وجبايـة الخـراج ونصـب القضـاة وحمايـة البيضـة وسـد الثغـور وتجهيـز الجيـوش وإنصـاف المظلوم وضبط الأهواء وقطع التنازع كل ذلك يحتاج إلى أمير".

قـال الإمـام أحمـد عـن مسعود بـن قبيصـة: صـلّى هـذا الحـي مـن محـارب الصبح فلمـا صـلّوا قـال شـاب مـنهم سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: "إنـه سـتفتح لكـم مشـارق الأرض ومغاربهـا وأن عمالهـا في النـار إلا مـن اتقـى الله وأدى الأمانة".

وإنـه لا تسـتقيم حيـاة بشـرية فضـلا عـن حيـاة إسـلامية إلا بإمـرة علـى كـل مسـتوى ولا تسـتقيم الحيـاة الإسـلامية إلا بإمـرة صـالحة يعـرف فيهـا الأمـير والمـأمور حقوقـه وواجباتـه سـواء في ذلـك دائـرة العمـل أو دوائـر الحكـم مـن أدنى دائرة إلى أعلاها.

- في أنواع الإمرة

لـيس مـن إنسـان إلا ولـه نـوع إمـرة فالحـديث الشـريف يقـول: "كلكـم راع وكلكـم مسئول عـن رعيتـه، الإمـام راعٍ ومسـئول عـن رعيتـه والرجـل راعٍ في أهلـه ومسـئول عـن رعيتـه، والمـرأة راعيـة في بيـت زوجهـا ومسـئولة عـن رعيتهـا، والخـادم راعٍ في مـال سـيده ومسـئول عـن رعيتـه وكلكـم راعٍ ومسـئول عـن رعيته". متفق عليه.

قال ابن حبان في كتابه روضة العقلاء: "صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن كل راعٍ مسئول عن رعيته فالواجب على كل من كان راعيا لزوم التعاهد لرعيته فرعاة الناس العلماء وراعي الملوك العقل وراعي الصالحين تقواهم وراعي المتعلم علمه وراعي الولد والده كما أن حارس المرأة زوجها وحارس العبد مولاه وكل راع من الناس مسئول عن رعيته. وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك، إذ هم رعاة لها، وهم أرفع الرعاة لكثرة نفاذ أمورهم وعقد الأشياء وحلها من ناحيتهم فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد".

إن أنواع الإمرة من الكثرة بحيث لا تحد بحد، فهناك إمرة الأب والأم على الأولاد وهناك إمرة الرجل لزوجته وإمرة الأولياء على من هم في رعايتهم وهناك الإمرة العلمية التي تكون للأستاذ على تلاميذه، وهناك الإمارات الروحية، وهناك الإمارات العامة وهي أنواع، وهناك الإمارات التواضعية والإمارات التلقائية وهناك الإمارات المتغلبة والمتسلطة، ولو أنك استعرضت أنواع الحكومات في العالم لخرجت بأنواع من الإمرة كثيرة ولو أنك نظرت إلى الأحزاب التي تكافح من أجل السلطة لوجدت أنواعا من الإمرة كثيرة.

وتأتي هذه الإمارات بطرق فطرية شرعية كإمارة الزوج على زوجته أو الأب على ابنه، أو تأتي لأصحابها عن طريق الإرث أو عن طريق الأجازة كإجازة العلماء للتلميذ فيكون إمام، أو عن طريق الانتخاب والشورى أو عن طريق التعيين كتعيين الأمير للوزير وقائد الجيش.

– في طلب الإمارة

إن أدب المسلم ألا يطلب الإمرة لنفسه وألا يزاحم عليها وألا ينازع أهلها وإذا أعطيها وكان ضعيفًا عنها فعليه ألا يقبلها إلا إذا تعيّن لها، فإذا تعيّن لها فقد وجب عليه أن يقوم بحقها فإذا تخلف فهو مأزور وإذا أدى الذي عليه فيها فإنه مأجور والعديد من النصوص والنقول تعرف أدلة هذه المعاني كقوله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:83).

وللستة إلا مالكا عن عبد الرحمن بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال: "يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها".

وللبخاري والنسائي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة".

وللشيخين وأبي داود والنسائي عن أبي موسى قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما: يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك، فقال ﷺ: "إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه".

ولمسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني، فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".

وإذا تعيّن إنسان لإمرة فمن حال دون ذلك يكون آثمًا وإذا رفض هذا المتعين يكون آثمًا. "من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله

منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين" أخرجه الحاكم عن ابن عباس ورمز السيوطي إلى صحته.

والقاعدة الشرعية أن من تعيّن لفرض من فروض الكفاية كان هذا الفرض في حقه فرض عين. ومن رأى من نفسه كفاءة ورشحه غيره فليس عليه حرج ألا يتنازل وله الحق أن يحتفظ بما يعطيه إياه حق الترشيح، وأن تجري عليه أحكام الأنظمة المرعية أو القواعد الملتزم بها، فهؤلاء الستة الذين رشحهم عمر ﷺ لم ينزلوا عنها ابتداءً فكان ذلك منهم طلبًا ضمنيًا فما أثر ذلك على الأمر، قال الماوردي في هذا المقام: "فقد تنازع فيها أهل الشورى فما رد عنها طالب ولا منع منها راغب".

كانت هذه خلاصة لمحات الإمارة وأهميتها في كتاب "لمحات في فن فصول في الإمرة والأمير، ونضيف لها خلاصة لمحات كتاب "لمحات في فن القيادة".

الباب الثاني: لمحات في فن القيادة لـ ج. كورتوا

حاول كورتوا في هذا الكتاب الإلمام بأهم لمحات فن القيادة، ولكنه كاتب كافر بالأصل، لهذا سيغلب على خلاصاته الفهم المادي والتفسيرات الدنيوية بشكل عام بينما يعنينا من خلاصاته الإلمام باستقراءات العقل البشري من خلال التجربة لما ينبغي أن يراعيه الأمير وما يلزمه لينجح في إمرته.

ويرى كورتوا بأن كلمة **القيادة** تأخذ معنى واسعًا بحكم وجود التسلسل الهرمي والقيادات المتعاقبة.

وفي مقدمة الهيثم الأيوبي الذي قدم لكتاب كورتوا، سلط الضوء على أن القيادة لا تقتصر على دور القائد الأول الموجود في قمة الهرم بل تشمل أيضا دور القادة في مختلف الأنساق والمراتب القيادية.

وأن تباين مواقع القادة على سلم التسلسل لا يؤثر على جوهر مهمة القائد. والمتمثلة في تنمية الجهود الفردية وتوجيهها نحو الهدف الجماعي. ولكنها تؤثر على مسؤولية القائد.

فكلما علت مرتبة القائد اتسعت صلاحياته وتضاعفت مسؤوليته وأصبح لزامًا عليه بذل قسط أكبر من الجهود والتضحيات وأن يقدم المثل والقدوة المتناسبين مع موقعه القيادي.

وأوضح الأيوبي أن القيادة ليست موهبة فطرية كما يعتقد البعض تنحسر في فئة قليلة من الناس وأن الكاريزما القيادية وقف على أشخاص أوتوا القدرة على سياسة الآخرين وتزعمهم والتعامل مع إرادتهم وأنه لا نصيب لمن حرم هذه الموهبة أن يتصدروا للقيادة، ويجربوا حظهم بها.

ومع أن القيادة في بعض جوانبها هي بالفعل فن يعتمد على الموهبة الفطرية وأن الكاريزما القيادية عامل أساسي لأهلية القائد عند الحديث عن المستويات العليا إلا أن الرأي الأرجح هو أن الجوانب الأخرى للقيادة عبارة عن علم، رسم قواعده وحدد أصوله تاريخ طويل من تجارب القادة العظام. وأن معرفة هذا العلم وممارسة القيادة العملية لا يؤديان فقط إلى تحسين الأهلية القيادية لأصحاب المواهب الفطرية والوصول بهذه الأهلية إلى مستويات ممتازة ولكنهما يؤديان أيضا إلى تنمية الأهلية القيادية لقادة المستويات المتوسطة والصغرى، حتى لو لم يكن هؤلاء القادة يملكون في الأساس قسطًا عاليًا من موهبة القيادة الفطرية.

ومن هنا تنبع أهمية هذا الكتاب الذي قدم خلاصة خبرات كبار القادة والمفكرين العالميين على شكل قواعد وأقوال مأثورة يمكن أن يهتدي بها كل قائد وكل من يعد نفسه ليكون قائدًا. فيجمع بين الموهبة والاكتساب ويفوز بميزة القيادة الواعية.

من جانبه بدأ الكاتب كورتوا كتابه بتقديم تعريفات أساسية شملت:

– من هو الرئيس (القائد)؟[4]

وبحسب ما خلص كورتوا فإن القائد هو من كان على رأس جماعة أو كان رأسها. يدير ثم يعمل ويحفّز الآخرين للعمل ويوزع عليهم المسؤوليات.

يبثّ الفكرة المثالية التي يعتقدها ولا يكتفي بتصدير الأوامر بل يحسن اختيار من ينفذها ويدربهم ويعدهم. فهو يبني الطاقات.

4 وسنستبدل مصطلحه "الرئيس" بمصطلح "القائد" لانسياب الفكرة.

هـو الـذي يثبـت في الملمـات والمـدلهمات، قـويّ الـنفس راغـبٌ في النصـر يـؤمن بأهدافه، يعرف طريقه جيدًا.

هــو مــن تطــاع أوامــره، تدعمــه شخصــيته قبــل رتبــه، لا يــتردد في التضــحية بنفسه في سبيل رجاله أو عمله.

والقيـادة هـي صـناعة الرجـال وتحصـيل محبـتهم، الـتي تـؤدي لتوحيـد الصـفوف لتحقيق الواجب.

والقائـد يختلـف عـن المـدير بشـكل بائـن. فـالأول يحتـك بكـل منفـذ احتكاكًـا شخصـيًا يـؤمن لـه المراقبـة ويشـعر بشـعور أصـغر فـرد بينمـا المـدير يـدير الأمـور من خلف مكتبه معتمدًا على رأي أكثرية مساعديه ومستشاريه.

ولمعرفـة القائـد الفعلـي لمشـروع مـا فإنمـا يكـون ذلـك بالبحـث عـن المسـؤول في حالة الفشل.

والقيــادة هــي جمــع الرجــال وتــوظيفهم ومعرفــة قــدراتهم وحســن اســتغلالها. ووضـع الرجـل المناسـب في المكـان المناسـب. هـي بـثّ فكـرة القـوة والمسـاواة بينهم. مع بقاء كل منهم في اختصاصه.

ولا يعـرف القائـد بشـكله بـل الـدليل عليـه هـو أعمالـه الجليلـة وهـو الـذي يحمـل أعباء الآخرين.

ويلمّ القائد بدراسة الكائن البشري بصورة عامة. ورجاله بصورة خاصة.

كمـا يعمـم الانضـباط عـن رغبـة لا عـن خـوف. تهمـه المصـلحة العامـة قبـل الخاصة. تهمه وحدة الصف في الأزمات.

ومجـرد حضـور القائـد يعـني الإثارة والانـدفاع للعمـل. ولهـذا يكفـي ذكـر القـادة الخالدة ذكراهم لإشعال الهمم.

- **ضرورة وجود القائد:**

لابد من قائد للجماعة، كما هو الرأس للجسد. وكما هو الراعي للقطيع.

يقـول مـوروا: "لا تسـتطيع جماعـة مـا أن تقـرر شـيئًا حـتى ولا لائحـة طعـام العشاء".

ويكفي حضور الرئيس القوي لبث الطمأنينة والثقة في نفوس المترددين.

ثم لابـد مـن قيـادة واحـدة، بـرأس واحـد لتتوحـد الصـفوف وإلا هلكـت الجماعات البشرية وتبددت قواها في اتجاهات مختلفة.

وإنما القائد كالرأس ينقل الأوامر للأعضاء.

وانعـدام القائـد يعـني تحطـم الوحـدة وانهيارهـا وتسـلل الأفكـار الهدامـة ثم انطلاق الفوضى التي لا تبني أبدًا.

والقائـد يحفـظ التضـحيات، لأنهـا تفشـل مهمـا كانـت مخلصـة إذا لم يجمعهـا طريق واحد موجّه.

والقائـد يـدافع عـن المصـالح العامـة ويقطـع الطريـق أمـام المصـالح الشخصـية الـتي هي أصل الشقاق والخصام والفناء.

والقائـد يجمـع الصـفوف لتمضـي في الطريـق لـيس لأنهـا أفضـل سـبيل بـل لأنهـا السـبيل الوحيـدة الـتي تجمـع الصـفوف وتوحـدها. ويسـير عليهـا الجميـع رغـم اختلاف آرائهم. وبهذا تكون الوحدة في أفضل انتاجيتها.[5]

والقائـد الجيـد يحـول الجماعـة مـن متوسـطة الكفـاءة لجماعـة بإنتاجيـة ممتـازة. والعكس صحيح.

وعلـى الأفـراد أن يؤمنـوا بضـرورة وجـود القائـد كسـلطة لازمـة تجمـع جميـع القـوى الصغيرة المتفرقة، فتصبح الجماعة قوية في مواجهة أية متاعب.

---

[5] وتعد هذه الصفة من أهم مهارات القائد، أن يجمع الجميع وإن اختلفوا، وأن يوحد الصفوف وإن تباينت الخطى.

كما لابد من شورى، لسببين: أن الشخص الواحد لا يستطيع الإحاطة بكل شي مهما بلغت عبقريته من مبلغ. ولأن عمل المرؤوسين يتناسب مع المسؤولية التي يحملوها منه. ويزداد ازديادًا ملحوظًا إذا اشتركوا في إنضاج القرار[6].

وهو جيد ما دامه لا يحد من عمل القائد[7].

على القائد أن يظهر تفوقه أمام جنوده وليس شخصه من يقود بل هو عمله الذي يقود.

يقول بودان:" لا تنتظروا من جماعة بدون رأس أي عمل جماعي، حتى لو تمتعت بإمكانات حسنة ورغبة طيبة لتحقيق مثل أعلى. إن إمكانات أفراد الجماعة لا تستطيع سوى حرث الأرض، أما الحصول على الزرع فبحاجة إلى بذور، والبذور هم الرؤساء ذوو القلوب الطيبة والإرادات الفولاذية".

وشروط القيادة لا تعني امتلاك وجه قاس وصوت آمر فحسب!

القائد بحاجة إلى فيض من الحب يبذله للآخرين ومعرفة عميقة لاستيعاب كافة المشاعر الإنسانية، وإرادة قوية تدفعه للعمل.

– أول مهمة للقائد: خدمة الآخرين

يقول ويغان: "كيما تحيا البلاد وتنهض، يجب أن يختار الأفراد عقيدة يتمسكون بها، ولقد اخترت عقيدتي وسأسير عليها، إنها الخدمة".[8]

---

[6] والشورى تسمح باكتشاف القيادات الكامنة في الجماعة وتسمح بتفجير الطاقات وإدراك العبقريات ولهذا كانت الحكمة تقتضي أن تكون الشورى من أركان الحكم.

[7] وكأنه يرجح قول "الشورى غير ملزمة"، بمعنى أن القائد أو الأمير يستشير ثم يختار أفضل الآراء وإن كانت مخالفة لما خرجت به الشورى مستندًا على رجاحة عقله وخبرته وهو ما يعمل به القادة في ساحات الجهاد غالبًا.

يجب على القائد الأعلى أن يستغل سلطته – في إعطاء الأوامر– لخدمة الجماعة لا لخدمة المصلحة الشخصية.

هدف القائد بحث سبل مساعدة إرادات الرجال لتصبح قادرة على خدمة هدف نبيل لا تحطيمها حبًا في السيطرة.

قَادَ تعني "خَدَمَ" وهذا يتطلب منا تفهمًا وطاعةً وتضحيةً بالنفس.

مهمة القائد جليلة لأنها رسالة ودعوة، لهذا فهو يلهم جنوده لتتفجر طاقاتهم في حقل العمل.

لا يعتبر القائد طاغية إذا خالف الرأي العام، أو فرض تضحيات قاسية وضرورية على الجماعة.

ويجب على القائد أن يقدم القدوة في الطاعة إن شاء أن يطالب غيره بالطاعة.

ولا يلقي القائد أوامره بشكل جاف، بل يبحث عن الأصداء المتجاوبة مع إرادته في أعماق مرؤوسيه ويفتح لها الباب.

والقائد يروم المصلحة العامة متناسيًا نفسه ومصلحته الشخصية. وهذا ما يكسبه قوةً واحترامًا لا يمكن أن ينالهما بما يحمله من رتب. ذلك أن كلامه له وقع القبول باعتباره صوتًا وجدانيًا يبحث عن مصلحة المجموعة.

وتكمن قوة قراراته من قوتها المستمدة من إرادة المجموعة[9].

---

[8] وهذه من الصفات الراسخة في منهج المسلمين كما علمهم القائد الأول ، رسول الله ﷺ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " .. وقال ﷺ : "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة ". متفق عليه.

[9] وفي الواقع تكمن قوة القائد من قوة إيمانه وتقواه ويقينه وأمانته ومعية الله له، وخلاصة ذلك بفضل الله عليه قبل كل شيء.

صحيح أن قاد يعني خدم لكن هذا لا يعني أن ينفذ القائد الأوامر والأهواء في غير مصلحة، أو مدفوعة من أيدي خارجية.

ولا يخاف القائد من العقوبة إن أخطا لأنه يتمتع بشعور تام بالمسؤولية، فالقائد الحقيقي لا يفكر أبدًا بالعقاب ما دام يعمل بإخلاص.

ويدخل في هذا الشأن عدم المبالغة في تعذيب جنوده دون مبرر أو معاقبتهم بظلم أو حرمانهم من حقوقهم.

يحدد الأوامر دون أن تظهر مبهمة، ويستطلع الأماكن قبل توريطهم، وكذلك الخطط، ويحرص على توفير حاجاتهم في حينها.

يفكر بكل شيء ولا يأكل أو ينام إلا بعد أن يكون قد اطمئن على سير الأمور. فراحته الشخصية آخر همه.

يتعامل مع الأوامر بإدراكه لحاجات الآخرين لا كمنزلات حرفية جامدة وجب تنفيذها فحسب.

– هل أنت قائد؟

لا يمكن للقائد أن يقوم بواجبه في قيادة الجماعة وخدمتها، حتى يصقل في نفسه الصفات التي تجعله أهلًا لمركزه.

وبحسب الطريقة التي يوظف فيها القائد صلاحياته يتم التعامل معه، فإن كان متمتعًا بالصفات اللازمة نال احترام مرؤوسيه، وإلا شعر الجميع بأنه مختلس للسلطة غير كفء لها.

وحين يشعر رجال القائد بالأمن والقوة بجانبه فهذا يعني أن القائد متمكن، مثال على ذلك، كان جنود نابليون[10] يقولون أن بإمكانه أن يأخذنا معه إلى نهاية العالم.

والاحتكاك مع الرجال مهم لدى الضابط الشاب، لأنه يتعلم في كل سنة تجارب جديدة تزيد دماثته وشدته وفهمه وتعقله وحزمه وأدبه. أي تكسبه مهارات القيادة اللازمة.

الاحترام للقائد يعني الإيمان به. والثقة هي نتيجة طبيعية يكسبها نتيجة جدارته وإمكاناته الفكرية والنفسية.

القائد الحقيقي شخص نعجب به ونحبه ونتبعه[11].

القائد ليس بالرتبة التي يحملها أو البزّة التي يرتديها أو التحية التي يؤديها، أو سيل العقوبات التي ينهال بها على رأس المذنبين، بل هو بحيويته وتضحيته ومواهبه وتفكيره بالبناء وتحمله المسؤولية. وتهذيبه في الحياة الخاصة والعامة وحبه للرجال حبًا صادقًا على عكس الرؤساء المزيّفين. الذين يفقدون كل احترام بمجرد زوال الأستار التي يتسترون خلفها من رتب ولباس وأوسمة وحاشية وغيره.

القائد مطالب بالحضور في كل زمان ومكان. والحضور ميزة لا تعادلها ميزة. إن الإشارة والنظرة والصوت والهيئة مظاهر خارجية صغيرة تكشف قوة شخصية الرئيس أو ضعفها، وخاصة في المآزق.

---

[10] القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابارت (1769 -1821)، الذي هيمن على الحياة السياسية والعسكرية في أوروبا كإمبراطو لفرنسا، لفترة تجاوزت العقدين، فقد قادته عبقريته العسكرية إلى تحقيق الانتصار تلو الانتصار على أغلب أجزاء القارة الأوروبية، وهو الذي بسط السيطرة الفرنسية لتمتد إلى آسيا وأفريقيا. ولم يكتف نابليون بالاستيلاء على أراض ممتدة، ولكن كان له تأثيرا في الجيوش والحكومات في كل أنحاء العام، وبذلك فقد فرض نابليون نفسه كواحد من أكثر القادة العسكريين نفوذًا وتأثيرًا على مر الأزمان. (موسوعة مشاهير العالم، الجزء الثالث القادة العسكريين والسياسيين، طبعة دار الصداقة العربية ، بيروت. الصفحة 10).

[11] وهذه حقيقة نعايشها في الساحات الجهادية، فكلما شعرت أن القائد محبوب من جنوده فاعلم أنه أوتي من فضل القيادة الرشيدة.

ومـن هـذه المشـاهدات تتكـون الفكـرة عـن رجولـة القائـد. ويأتي الاحـترام أو السخرية[12].

حـين يُعـوّد القائـد رجالـه علـى التفتـيش الـدقيق والمحاسـبة، سـيجد كـل واحـد مـنهم حريصًـا علـى العمـل بوجدانـه وشـعوره بالمسـؤولية خشـية التفتـيش المفـاجئ، بنـوع مـن التـوازن لا يحـول هـذه الخشـية لقلـق دائـم يعطـل الإمكانات[13].

الرغبة والإرادة معًا تصنع قائدًا يمكنه التأثير على رجاله والرقي بهم.

والقائـد هـو مـن أحـب رجالـه وأحـاط معرفـة بميـزاتهم وأسـاليب تقويتهـا، يتجـاوز الكسل والخوف الموجودان غريزيًا في كل إنسان.

والرضـى بمـا لـدى الرجـل وواقعـه يجعلـه يقتنـع بالقليـل الـذي يملكـه. لهـذا فـإن الرجـل الـذي يفتقـد للحماسـة اللازمـة لكـل قائـد[14]، فإنـه وإن سـيّر الأعمـال العادية فإنه يستحيل عليه أن يكون قائدًا مبدعًا.

القائـد يتحسـس الـنقص في جماعتـه ليكملـه، ويصـلح الاعوجـاج، فهـو يـؤمن برسـالة تحمّلـه عنـاء وظيفتـه ومسـؤولياتها ومسـؤولية مـن تحـت إمرتـه، كـالأب الروحي لمرؤوسيه.

وتعـد اليقظـة مـن الصـفات الضـرورية في القائـد، علـى أن تكـون أكثـر مـن غـيره، فـيرى الخطـر قبلهم ويحسـن التصـدي لـه. أكثـر ذكـاءً لـيفهم العمـل كيـف يـدور بشـكل ممتـاز، وأكثـر دقـةً وتجـردًا في الحكـم، فيضـع كـل رجـل في مكانـه الـذي يسـتحقه. سـريع في اتخـاذ القـرارات يحسـن اسـتغلال الوقـت. شـجاع في

[12] هذا يعني أن قدرات القائد وكفاءته تكشفها الأيام وليست مجرد حكم لحظي في ساعة انبساط.

[13] ويضمن هذا الانضباط عند الجنود المسلمين رفع مستوى التقوى وخشية الله سبحانه وتعالى والإخلاص وكل ما يدخل في فلك العبادات القلبية.

[14] وهذه من أسرار اكتشاف القيادات وصناعتها.

الأخطـار فيبـث معـاني الشـجاعة في كـل فـرد، صـريح يـذيب الخـوف والخجـل مـن قلـوب مـن حولـه. ثابـت في العمـل، يقـاوم الـزمن والـروتين اللـذان يشـلّان حركـة الانـدفاع. في المحصـلة أن يكـون إنسـانًا قـادرًا علـى جمـع القلـوب وتوحيدها بعواطفه النبيلة.

الفصل الثاني: الصفات الواجب توفّرها في القائد

يقول الشيخ أبو مصعب السوري: "وقد عرضت هذه الصفات في الكتابين بعنوان متشابه؛ ففي كتاب سعيد حوّى جاءت بعنوان (في الأخلاق الذاتية للأمراء) وفي كتاب (لمحات في فن القيادة) لكورتوا جاءت بعنوان (صفات الرئيس).

وعند الشيخ سعيد حوى في الصفحة 22، ذكر الشيخ ثلاثين خُلقًا وصفة لازمة للأمير، في حين ذكر كتاب (لمحات في فن القيادة) ستة عشر صفة وخُلقًا للأمير، وكانت بعض الصفات في الكتابين مشتركة وبعض الصفات هي أخلاق عامة تلزم كل مسلم جاء بها على سبيل الإتمام، وبعضها صفات لازمة جدًا للأمير. فالصفات اللازمة جدًا تقتضي الشرح المختصر".

وقد عرض الشيخ سعيد حوى خلاصة قراءته لمفهوم الإمرة والأمير، في ثمانية عشرة فصلًا مرتبة ترتيبًا ذكيًا، مهّد لها بمقدمة لا تقل ذكاء وكياسة، وقد احتوى فهرس الفصل السادس في (الأخلاق الذاتية للأمراء) ما يلي:

1. **العقل.**
2. **العلم.**
3. **الشجاعة.**
4. **العفة.**
5. **الكرم والسخاء والجود.**
6. **الحِلم.**
7. **كظم الغيظ والغضب.**

8. **العفو.**
9. **الرفق.**
10. **اللين.**
11. **التثبُّت والأناة.**
12. **الوفاء بالوعد والعهد.**
13. **الصدق.**
14. **كتم السر.**
15. **الحزم.**
16. **الدهاء والتغافل.**
17. **التواضع.**
18. **سلامة الصدر من الحقد والحسد.**
19. **الصبر.**
20. **الشكر.**
21. **مخالفة الهوى.**
22. **المداراة.**
23. **عدم قبول السعاية والنميمة.**
24. **ترك اتخاذ الكافرين أولياء.**
25. **المتابعة ومباشرة الأمور.**
26. **بذل النصيحة وقبولها.**
27. **إحكام التدبير.**

وفصّل سعيد حوّى جملة من الأمور تلزم الأمير العام أكثر من الأمير الخاص، وبعضها يُقاس عليه.

وتحت عنوان (**إحسان التدبير**) ذكر الشيخ:

- **إحكام إقامة الشريعة.**
- **تدبير أمر العصبيّة التي قدّمته للإمرة.**
- **تدبير أمر الحرب والقتال.**
- **تدبير أمور المعيشة للناس.**
- **إحكام التدابير الأمنيّة.**
- **تدبير أمور المواطنين من غير المسلمين.**
- **تدبير أمور المعارضين والنَّاقمين والنَّاقدين.**
- **إحكام أمر العقوبات وإنزالها بمستحقيها.**
- **إحكام الإسراع إلى الإنقاذ والمواساة في النَّوازل العامّة.**
- **إحكام أمر الرسائل والمراسيل.**

28. **العناية بمن حوله.**
29. **مكافئة ذوي السوابق.** -أي إعطاء الجوائز والمكافآت-.
30. **حسن الترتيب والهِندام وقد ذكر فيها:**

- **تجمُّل الأمير.**
- **تنظيم مجلس الأمير وعاداته.**
- **ترتيب أمر الظهور والاحتجاب.**

فهذه جملة الصفات التي اعتبرها سعيد حوى لازمة للأمير، بعضها متعلِّق بالقيادة مباشرةً وبعضها متعلِّق بمكارم الأخلاق العامة التي تلزم كل مسلم، فهي عند الأمير من باب أولى[15].

[15] تعليق الشيخ أبو مصعب السوري.

أما عن صفات القيادة التي ذُكرت في كتاب (لمحات في فن القيادة) لكورتوا فهي كالتالي:

1. **الهدوء وضبط النفس.**
2. **معرفة الرجال.**
3. **الإيمان بالمهمة.**
4. **الشعور بالسلطة.**
5. **البداهة والمبادرة وأخذ القرار.**
6. **الفعاليّة.**
7. **التواضع. -وهذا مشترك مع كتاب الشيخ سعيد-.**
8. **الواقعية.**
9. **الدماثة والعطف.**
10. **طيبة القلب.**
11. **الحزم.** -وهي صفة مشتركة مع ما ذكره الشيخ سعيد-.
12. **العدل.** -والشيخ سعيد جعله من صفات الأعمال-.
13. **احترام الكائن البشري.**
14. **إعطاء المثل الأعلى؛** -أي القدوة الحسنة-.
15. **المعرفة؛** -أي أنّ مجموعة المعارف والعلوم يجب أن تكون واسعة عنده-.
16. **التنبؤ؛** -يعني استقراء المستقبل وتوقع ما يمكن أن يجري حتى يبني خطته عليه-.

وقبل أن نشرع في عرض تفاصيل كل صفة، يجدر بنا البداية بالصفات المهمة للقائد التي لم تُذكر في كلا الكتابين وهي الصفات التي عرضها الشيخ أبو مصعب السوري في دورته.

أ. صفات مهمّة للقائد لم تُذكر في الكتابين:

أضاف الشيخ أبو مصعب السوري في شرحه للكتابين سبع صفات لم تذكر أو بالأحرى لم تحدد بشكل فردي ولكنها ذات أهمية قصوى في صناعة القيادات، وقال الشيخ: "هي بعض المميزات والأخلاق والصفات اللازمة للرئيس؛ ربّما اطلعت عليها في كتب أخرى لا أذكرها، ولكن في ذهني أنها صفات لازمة للرئيس لم يذكرها كلا الكاتبين".

ولم يكتف الشيخ أبو مصعب بإضافة الصفات الناقصة بل أعاد ترتيب الصفات لأنه رأى إيرادها بالترتيب بحسب الأهميّة أنفع، ذلك أن هناك صفات ضروريّة جدًا جاءت في الأخير وصفات ثانوية جدًا جاء في الأول، فرتّبها ليبرز ما يعتقد أنه أولى حسب التجربة.

وشملت إضافاته للصفات السبع التي وصفها بالواجبة جدًا فيما يتعلق بأمير يدير تنظيمًا جهاديًا تحديدًا، أو أمير يُباشر حكم مجموعة ما زالت في مرحلة ما قبل السلطة، وهي صفات تلزم حتى بعد قيام السلطة.

وقد أضفت للصفات التي طرحها الشيخ أبو مصعب، صفة أخرى (ثامنة) أرى ضرورة توفرها في القائد بعد حجم الفتن التي عصفت بالساحات الجهادية وهددت بنيانها. ونسرد فيما يلي الصفات التي أضافها الشيخ أبو مصعب حيث قال:

الصفة الأولى: حسن الصلة بالله تعالى

إن من أوجب صفات الأمير حسن الصلة بالله تعالى، هذا أولى من كل الصفات الأخرى، لأنّه من مكافأة الله تعالى للعبد أن يُتمّم نقصه، فإذا كان ليس عنده بعض الصفات ربّما يضع الرضا والقناعة في قلوب أتباعه مع تخلّف هذه الصفات، فهذا من الله -سبحانه وتعالى-.

وكل صفة من هذه الصفات فيها شواهد كثيرة جدًا، والمراجع التي تقدم شروحًا وافية لها متوفرة، فمثلا صفة الصبر يمكن أن نرجع لها في كتب الصبر التي تقدم شروحًا مستفيضة في هذه الصفة.

وفي حسن الصلة بالله تعالى أشياء يجب أن يحصلّها القائد وأخرى يجب أن يجتنبها، فمما يجب أن يحصله وممّا يزيد الصلة بالله تعالى:

- **كثرة العبادة؛** فهي وسيلة الاتصال بين العبد وربه.
- **كثرة النوافل،** كما في الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)[16]، وهذا علاقته بالقيادة أنّ الله تعالى يصبح يوجِّه العبد ويُقنع الخلق به.
- **المراقبة الذاتية والمحاسبة للكسب والسلوك،** أن يكون له ساعة يُراجع فيها نفسه متى ظلم ومتى عدل ومتى أخطأ ومتى أصاب ومتى زاد في الكلام ومتى قلّل، فهذا يحسِّن الصلة بالله تعالى.

[16] صحيح البخاري (6502).

- **كثرة قراءة القرآن**؛ مع أنّها من العبادة فصلتها عن العبادة لأخصيّتها لأنها تعطي طاقة كبيرة جدًا، فيقرأ آيات مرّت معه كثيرًا ولكن لنازلة يومية مرت معه يقرأ الآية فيجد أنها نزلت لمثل هذه النوازل، فتُصبّره وتُعينه على الاستمرار[17].
- **كثرة الذكر**، من الآثار الجميلة عن الإمام ابن تيمية -رحمه الله- وهو عاش فترة حافلة جدًا بالمشاكل، وقضى حياته كلها في المشاكل؛ مع أصحابه، مع من حوله، ومع علماء المسلمين، وفي الجهاد مع التتار، أمير يُدخله السجن وأمير يجعله في قمة السلطان، فكان له ورد يومي من بعد الصلاة يجلس في المسجد فيتعبَّد، فسأله تلاميذه عن سبب طول هذا الورد، فقال: "هذه غَدْوتي لو تركتها سقطت قوّتي"[18]، يعني لا أستطيع أن أتابع بدون هذه الوجبة التي أتقوّى بها على هذه المسألة[19].

وهناك أمور كثيرة، تظهر للمرء من خلال تجربته ومن خلال الكتب المتعلقة بهذا الموضوع أي عن ما يرفع صلتك بالله -سبحانه وتعالى-؛ لأن حسن الصلة بالله تعالى هي أهم ما يدَّخره الأمير لآخرته ولقيادته.

أما في التجنُّب فعلى العكس من هذا[20]:

---

[17] يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني بهذا الشأن: "هل تدرون ماذا يحتاج القادة والجنود لينتصروا؟ الجواب: حب الموت وكراهية الدنيا. أتدرون أعظم ما يقوي حب الموت وكراهية الدنيا؟ الجواب: قراءة القرآن".

[18] يقول ابن القيم في (الوابل الصيب) صـ 42: "وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلامًا قريبًا من هذا." أهـ.

[19] وقد ثبت أثر الذكر في المدلهمات والزلازل، وإن الذاكرين الله كثيرا هم الأكثر ثباتا في صف القتال وحين تشتد الأزمات.

[20] وهذا هو مفهوم التقوى أن يجدك تأتي أوامره وتنتهي عن نواهيه.

فمقابل كثرة العبادة: **تجنّب المعاصي**؛ فالإنسان إذا دخل في المعاصي فهذا من أكبر أسباب الهزيمة، فإذا كان أميرًا سينهار وينهزم، وإذا كان جيشًا سينهزم[21].

تجنُّب آفات القلب والجوارح، ويمكن مراجعة كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في هذا الشأن أو مختصر منهاج القاصدين أو إلى كلمات ابن القيّم، ومن الضرورة بمكان تجنب آفات اللسان؛ لأنها من أكثر ما يضيّع هيبة القائد ويوقعه في المشاكل، فيعطي وعدًا وهو غير قادر على إنفاذه فيُضيع مصداقيته، فهذه المشكلة بدأت من لسانه، يتكلم في رجل فيؤلِّب عليه الناس فيحصل الشقاق، وإن كثيرًا من آفات اللسان فضلًا عن كونها محرمات فهي تؤذي القائد في قيادته.

ويظهر في البداية أن القضية صعبة وليست سهلة؛ مثال على ذلك: يتحمس رجل للعب الكاراتيه فيذهب للنادي ويشتري بدلة الكاراتيه ويشترك في النادي بأسهل ما يكون، ولكن عندما ينزل للحلبة ويبدأ يتلقى الضربات سيكتشف أنّ القضيّة ليست بتلك البساطة مثل ما تصوّرها، ما يتطلب منه مجهودًا ورياضة وصبرًا حتى يصبح لاعب كراتيه، أي أنك إن أردت أن تكون قائدًا فلا تظنّ أنّ القضية بسيطة.

والآن من خلال هذه الأخلاق والتكاليف يلاحظ أي واحد منا مارس القيادة والمسؤولية أنّه لو نظّموا له امتحانًا في طريقته في العمل فربّما يأخذ علامات متدنيّة جدًا، وهذا من العلوم التي تعينه أن يستدرك.

[21] وقد ذكر ابن النحاس في كتابه مشارع الأشواق، ما يؤكد ذلك وذهب لما هو أكثر خطرًا وهو أن ترك السنة قد يؤدي للهزيمة واستشهد عليها بقصة الجيش الذي استعصى عليه فتح حصن للأعداء ثم بعد مراجعة وجدوا الجنود قد قصروا في سنة السواك، فما أن رجعوا إليها حتى فتح الله عليهم الحصن. وفي هذا دلالة على أهمية استقامة الجنود لإحراز النصر والتمسك بالسنة من أولى الأولويات فما بالك باجتناب المعاصي.

ومما يعين من المطالعات على حسن الصلة بالله تعالى؛ كل الكتب المتعلقة بالرقائق، وكل الكتب المتعلقة بالزهد، وكل الكتب المتعلقة بالعبادات مثل كتاب (إحياء علوم الدين) ومختصراته، ومنها كتب الزهد مثل كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ومنها موسوعة جميلة جدًا اسمها (نضرة النعيم أخلاق سيد المرسلين)[22]، ويجدر بكل جماعة وكل مكتبة أن تحوز هذه المجموعة، وهي 12 مجلدًا ذكرت 200 صفة حميدة للمصطفى -ﷺ- وقاست عليها، و160 صفة ذميمة مما يعتري الخلق وفصّلت فيها، ومنهج الموسوعة أنها مُبوَّبة على الأحرف، فمثلًا الكبر تجدها في باب الكبر: (ك ب ر)، فيذكر كل النصوص الواردة في هذا الخُلق، فيذكر كل الآيات الواردة في هذا الخلق، ثم كل الأحاديث الواردة في هذا الخلق، ثم كل آثار الصحابة والسلف في هذا الخلق، ثم الشعر ونوادر العرب.

الصفة الثانية: حسن الظنّ بالله سبحانه وتعالى

الصفة الثانية التي تلزم القائد هي حسن الظن بالله تعالى؛ لأنه أحيانًا ينقطع أمله من الخليقة وينقطع أمله من الأسباب؛ فينظر إلى المهمّة التي عليه فيراها ضخمة جدًا، وينظر إلى وسائله فيراها قليلة جدًا، وينظر فيمن حوله فيراهم عجزة، وينظر في نفسه فيرى نفسه قاصرًا، فحسن الظن بالله تعالى يجعله لا ينظر لهذه الأسباب أنها ستُفشله، حسن الظن بالله تعالى يُنجي في الآخرة وفي منظور القيادة يُعطي القائد شعورًا بأنه سينتصر، ويستطيع أن

[22] وقد أفرد الشيخ سعيد حوى فصلا كاملا للحديث عن قيادة الرسول ﷺ وأخلاقه ومكارمه في كتابه "فصول في الإمرة والأمير". وكان ذلك في الفصل السابع بعنوان "في القدوة العليا للأفراد".

يقوم بالمهمة لأنه يستعين بالله عليها، فحسن الظن بالله تعالى مما يلزم القائد.

أهم شيء أن يحسّ أنّه موفَّق ومنصور وأن قضيته ناجحة ورابحة سيؤيدها الله -سبحانه وتعالى-.

الصفة الثالثة: التوكل على الله سبحانه وتعالى

إذا لم يكن القائد متوكلًا على الله -سبحانه وتعالى- سيصيبه العجز، وهذه الصفات تلزم بالدين ولكن من منظور القيادة تلزم جدًا؛ فلو تخلف التوكل عند القائد واغتر وظنّ أن حساباته أو جنوده أو أعوانه هو الذي سيوصله للنتيجة، يحصل معه ما حصل لأكرم الخلق وفيهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- يوم حُنين.

فالتوكل ضمان للصمود وضمان للصبر، فبدون التوكل لا يستطيع أن يتخلَّق بخلق -ركّز عليه الكاتبين في الكتابين- وهو خلق الصبر.

وهناك أخلاق هامّة ولكنّها متفرّعة عن أخلاق أخرى، بمعنى أن حيازة هذا الخلق يعطيك خُلقًا آخر، فتجد خلقًا أساسًا لخلق آخر.

الصفة الرابعة: العلم والقدرة في اختصاصه

والشيخ سعيد حوى أورد العلم مطلقًا، وجاء بالصفات التي تلزم أمير المؤمنين من العلم، وبدأ بأمور القرآن والسنة وغيره، ولكن إذا كنت مسؤول مطبخ فيلزمك العلم بألوان الطعام وأوقات الطعام وآفات الطعام، وكذلك إذا كنت مختصًا بالإلكترونيات فعليك بالعلم بهذا الباب الموكَل إليك، فيجب على القائد العلم والقدرة في اختصاصه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ

مَـنِ اسْـتَأْجَرْتَ الْقَـوِيُّ الْأَمِـينُ﴾ [القصص: 26]، فالأمانـة أمـر متعلِّـق بالـدين والأخـلاق أمّـا القـوة فـأمر متعلـق بالاختصـاص، فـإذا أوكـل إليـك مسـؤولية عمـل عسـكري أو مسـؤولية الجهـد الاسـتخباري فيجـب أن يكـون عنـدك علـم بهذه الأمور.

إذا لم يكـن عنـده علـم باختصاصـه فيجـب عليـه مـن باب الـدين والسـتر أن يـرفض المهمّـة، ويوضـح للأمـير أنّ هـذا لـيس مـن باب التواضـع ولـيس مـن باب العجـز الهـروب مـن المسـؤولية، ولكـن أنا لا أفهـم في هـذه القضـية، فـإذا أُلزم صارت مسؤولية الأمير، وسيرون أنه سيفشل.

فابتـداءً يجـب أن لا يأخـذ المسـؤولية، فـإذا أخـذها طمعًـا في الإمـارة وفي المنصـب وهـو لـيس على دراية ولـيس مـؤهلًا لهـذا الأمـر؛ فالـذي سيحصـل أنـه سيفشل تلقائيًا وسيُفتَضَح أمام الأعوان.

فلـو قـال واحـد: أنا أفهـم في خطبـة الجمعـة، فصـعد المنـبر وقـال: "الحمـد لله والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله.."، ثم انقطـع وبـدأ يخـبّص ويستشـهد بآيات خطـأ؛ فـإذا رحمـه النـاس ولم يقومـوا ويُنزلـوه مـن المنـبر فسيشـبعونه شـتمًا وغيبة، فقد أهان نفسه لأنه وضعها في مكان لا يناسبه.

ومثـل ذلـك كـل مسـؤولية، إذا لم يكـن صـاحب اختصـاص فيجـب أن لا يأخـذ هـذه المهمـة، فـإذا أخـذها مـن باب الطمـع في المنصـب والعلـو في الأرض فسيدفع ثمنها في الآخرة ولكن في الدنيا هناك فضيحة.

قلـت: ويخـرج مـن هـذا الوصـف المناصـب الإداريـة الـتي يمكـن لأي أمـير أن يتقلـدها وإن جهـل بفنـون علمهـا، فمـثلا يمكـن لأمـير أن يـنظم إدارة مكتـب أو لجنـة سـواء كانـت إعلاميـة أو سياسـية أو دعويـة أو تعليميـة أو ماليـة أو غـيره مـن إدارات تحتـاج قيادتهـا للضـبط وضـمان تسـليم الأعمـال في مواعيـدها

وتأمين إنجاز برامج المشاريع المسطرة لكل شهر وغيره من أمور لا تحتاج الإلمام بعلومها بقدر الإلمام بعلم الإدارة فحسب.

الصفة الخامسة: أن يكون للأمير فيمن يشاوره ويعاونه مُتمِّم لنقصه في المعلومات

وهي خصلة متمِّمة للخصلة السابقة ومتفرِّعة عنها، فأحيانًا لا يكون عند الأمير علم بكلّ ما يلزمه من الأمور، خاصّة إذا كانت مسؤوليته كبيرة، فمثلا مسؤول الإعلام يمكن أن يكون كاتبًا وصحفيًا ولكنه لا يملك علمًا بتصنيف المكتبات، وليس عنده علم في فنون معنية تلزمه كثيرًا، فيأتي دور هذه الصفة وهي أن يكون للأمير فيمن يشاوره ويعاونه ما يتمّم نقصه في هذه المعلومات.

إذا كان أساس الأهلية موجودة عند الأمير ولكن ينقصه أبواب من العلوم فهذه تكمل له هذا النقص؛ أن يتخذ من الأعوان والمستشارين مما يُكمل له هذا النقص، وهذا معروف حتى في الإمامة العظمى، فمن شروط الإمامة العظمى الاجتهاد، فالأصل في الإمام أن يبلغ مرتبة الاجتهاد، ولكن أجاز العلماء أن لا يكون الإمام مجتهدًا بشرط أن يكون في أهل مشورته وأهل الحل والعقد عنده من يتمّم الفتوى السياسية والشرعية والعسكرية في كل نازلة، فبمجموعهم عندهم علم.

ومع تعقُّد الزمان أصبحت هذه ضروريّة جدًا؛ بأن نعمل كمؤسسة، فإذا كنت مسؤول الإعلام فتعمل مع مؤسسة إعلامية تساعدك وتتمّم نقصك، وإذا كنت مسؤول الاستخبارات فيجب أن يكون عندك مجموعة من الأعوان يكمِّلوك، وإذا كنت مسؤولًا في أي باب من الأبواب فمجموعة

أعوانك يعينوك ويتمّمون النقص الذي عندك على شرط أن يكون أساس الصفات للمهمّة موجودًا عند الأمير.

قلت: وفي واقع الساحة الجهادية الكثير من الأعمال إنما هي نتاج عمل فريق متكامل من الطاقات سواء في المجال العسكري أو الإعلامي أو الدعوي أو التعليمي وغيره، فالعمل كخلية نحل كل فرد يؤدي ما عليه من مهمات يجعل من بركة الوحدة لوحة نجاح مبهرة.

الصفة السادسة: سعة الثقافة العامة

في هذا الزمان تشعّبت الأمور جدًا، فإذا كان الأمير الذي يريد أن يخطط لعملية اغتيال، عنده ثقافة عامة سيعرف كيف تسير وسائل النقل وإشارات المرور، فإذا لم يدخل في حياته مدينة وليس عنده ثقافة عامة فلن يستطيع، مع أنّ المهمة عسكرية لكن سيرتكب أخطاءً في ترتيب العملية لأنّه ليس عنده ثقافة عامّة.

والثقافة العامة تأتي من كثرة المطالعة في مختلف الفنون، ولذلك قالوا أنّه من الثقافة العامة أن يكون عندك كل شيء من شيء -وهذا الاختصاص- وشيء من كل شيء، أن يكون عندك قليل من العلم في كل شيء؛ في ذبح الخرفان وفي السلخ وفي الميكانيك وفي الكهرباء.

مثال على ذلك، هناك كتب متنوعة جدًا؛ مثلًا علم الجرائم والأدلة الجنائية، وهذا العلم مفيد للمجاهدين، فبعض عملياتنا الجهادية هي في نظرهم جرائم وبالتالي يحاولون كشفها، فإذا عرفنا كيف تُكشف الجرائم فسنتحاشى أن نترك آثارًا تُكشف بها الجرائم، وهذا من الثقافة العامة.

فلو قرأت كتابًا في علم الأدلة الجنائية وكيف تتبّع الشرطة الأدلة فستجد أثره في التخطيط لعملية، ولو كانت العملية غنيمة لبنك، فكل ما اتّسعت المعلومات والمعرفة لدى الأمير يكون أَقْدَر على التخطيط لعمله.

قلت: ويغذي هذه المعرفة بالثقافة العامة كثرة الاطلاع وفضول القراءة والمطالعة، فضلا عن الاستفادة من الملخصات والنقاشات المفيدة القيمة مع أصحاب الثقافة والعلم، لإثراء العقل بكل جديد، ويكسب المرء مع قوة ملاحظته ومتابعته الكثير من المعرفة تلقائيا، ولا شك أن على الأمير أن ينتخب العلوم والمعارف التي وجب عليه إتقانها كي يتسنى له أخذ القرارات المناسبة في حينه وإلا استعان بمن لديه المعرفة الواسعة بهذا الأمر.

الصفة السابعة: وفرة التجارب ومخالطة الناس

الإنسان الاعتزالي المنعزل يمكن أن يسلم له دينه وأعصابه وراحة باله وأهله، ولكن لا يصلح لأي مسؤولية عامة، الذي سيأخذ مسؤولية عامة كالجهاد أو القضاء أو الفتوى يجب أن يكون عنده مخالطة الناس، حتى أن الإمام أحمد جعلها شرطًا من شروط الفتوى، فقال: "لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال"، ذكرها ابن قدامة، أولها النية، وثانيها أن يكون عنده علم بالشرع، والخامسة مخالطة الناس، فإذا لم يكن المفتي مخالطًا للناس اشتبهت عليه الأمر وجاءه اللص في ثياب الطاهر وهكذا[23].

[23] يقول ابن القيم في (إعلام الموقعين) 152/4: "ذكر أبو عبد الله بن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال: (لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال)؛ أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة .الثالثة: أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته .الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس .الخامسة :معرفة الناس، وهذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه".

فإذا كان هذا في القضاء فما بالك بالإمامة العامّة، فمن مخالطة الناس يأتيك رجل يقول لك: "يا شيخ عندنا عملية وعندنا معلومات وكذا"، فأنت من مخالطة الناس تكتشف أنّ هناك شيء غير طبيعي من عيونه ومن لباسه، أمّا لو كنت درويشًا بسيطًا فستقول: "ما شاء الله اليوم جاءنا خبر يمكن أن يكون فيها فتح وكذا"، في حين أن أحدهم يجلس معك فيقول لك: "هذا نصّاب حرامي"، فكيف عرفه قبل أن يبدأ بالتحقيق؟ بطريقة كلامه وتناقض أول كلامه مع آخره وطريقة دوران عيونه وهكذا فراسة، وهي مَلَكَة من ناحية ولكن تقوّيها مخالطة الناس، فمن كثرة ما مرّ عليه الناس ومن كثرة ما جرّب أصبح محترفًا، فهذا مما يلزم الأمير.

قلت: وهذه الخصلة تسمح باختيار القادة المستقبليين للجماعة، فعند التفاعل والاحتكاك تظهر معادن البشر وبالتالي يمكن تصنيف الصبور منهم والحكيم وذو الفقه وطيب النفس وسليم الصدر وغيره.

أيضا المخالطة تسمح بكشف مكامن النفس من أساليب وفهم سليم وأخلاق ومكارم.

وقد أضفت صفة ثامنة للصفات الناقصة السبع التي حددها الشيخ أبو مصعب وهي:

ثم يقول ابن القيم: "وأما قوله "الخامسة معرفة الناس" فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيها فيه فقيها في الأمر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيها في الأمر له معرفة بالناس تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيها في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله كما تقدم بيانه، وبالله التوفيق". اهـ.

الصفة الثامنة: القدرة على الاستدراك والتعويض والإصلاح

وهـذه الصـفة أضـحت مهمـةً جـدًا خاصـة في أوقـات الأخطـاء والفـتن والمشـاكل الـتي تعجّ بها السـاحة الجهاية، وتتطلـب مـن القائـد أن تكـون نفسـه عالية قابلـة للتراجع عـن خطـأ وقـع فيـه والاعـتراف بتقصـير أو سـوء اختيـار ألـزم غـيره بـه، أن يكـون صـاحب شخصـية محبـة للإصـلاح والاسـتدراك، قـادرة على إعادة الأمور لنصابها دون حرج أو لا مبالاة بالنقد أو الاستصغار.

هـذه الصـفة مهمـة جـدًا حـين يكـون الجنـد قـد اتبعـوا القائـد في سـقطته أو التزمـوا طريقتـه المخطئـة والمنحرفـة وكانـت النتـائج سـلبية مؤسـفة، ومـن يعـرف الحـق يصـدع بـه ولـو كـان علـى حسـاب نفسـه وكرامتـه بـل لا كرامـة لـه إن لم ينصر الحق.

يكـون همـه رضـا ربـه لا رضـا نفسـه أو مـن حولـه مـن جنـود. وقّـاف عنـد عتبـة الحـق أيّا كـان موقعـه، ولـو كـان أمـير الجـيش أو أمـير جماعـة جهايـة برمتهـا. ومعلـوم أن كـل بـني آدم خطـاء وأن خـير الخطـائين التوابـون. ولنتأمـل قـول الإمـام الشـافعي رحمـه الله حـين قال:"مـا ناظـرت أحـدًا قـط علـى الغلبـة ووددت إذا ناظـرت أحـدًا أن يظهـر الحـق علـى يديـه"، وقـال: "ماكلمـت أحـدًا قـط إلا وددت أن يوفـق ويسـدد ويعـان ويكـون عليـه رعايـة مـن الله وحفـظ". فمـن تأمـل هـذا القـول علـم أن ظهـور الحق أهـم مـن نصـرة الـذات أو الانتصار لحظوظ النفس.

ومـا أحوجنـا لهـذه الصـفة في هـذا الزمـان حيـث كثـرت أزمـات المجاهـدين وخلافـاتهم وعانـد كـل مخطـأ ولم يـذعن للحـق وإن ثبـت بالـدليل خطـؤه، ويـدخل في هـذا القـدرة علـى اسـتدراك الأخطـاء بتعـويض الجماعـة بالعمـل وإحـراز الانتصـارات، وحسـن الأداء واليقظـة، همتـه تشـتعل كلمـا تـذكر تقصـيره

أو ضعفًا اعتراه في السابق. وهكذا لكل جواد كبوة ولكن الفارس المقدام المخلص هو من يستفيد من كبواته ويحسن القيادة كأحسن ما يكون حين يحاسب نفسه ويرجع عن أخطائه ويتوب إلى الله ويستغفره فيرشده لخيري الدنيا والآخرة.

وإن لحظة عناق بين القيادات من أخ عاد لرشده وأصلح ما كان منه من تقصير لا يكفيها حبر لوصف روعتها وجمالها، فطوبى لمن نال شرف هذه الصفة حين تظلم المشاهد ويكثر اللغط والهرج ثم تكسر الخشية ظلام النفس فتشرق محبة لله وفرارًا إليه سبحانه على حساب كل حظ أو "أنا" نفس.

ولعل من أسوأ القادة أولئك الذين إن أخطأوا خجلوا من الاعتراف بأخطائهم أو إن قصروا ترفعت أنفسهم عن التصحيح والتدارك، فيصرّون على المضي في مسار الأخطاء حتى تتراكم وتصبح معالجتها ضرب من ضروب المستحيل.

ومعلوم أنها صفة صعبة عند الكثيرين ممن لمع صيتهم واشتهروا بين المجاهدين ولكنها سهلة عند المتواضع لله، من لا يجد حرجًا في الرجوع والتصحيح.

وما أسوء ذلك القائد الذي جمع بين خطئه وفشله في التصحيح أو الاستدراك، وتأمل معي إن كان هذا الخطأ داخل ساحة المعركة، فيفقد صوابه ولا يستطيع أن يستجمع أفكاره وقراراته فيزيد الخسارة خسارات.

ولابد للقيادة الجهادية أن تقدر هذه الصفة في القادة، وأن تثمّن جهودهم وجهادهم خاصة إن كانت نتائج استدراكهم وتصحيحهم ملموسة وذات أثر. فكلنا في معركة جهاد نفس قبل معركة جهاد الأعداء.

ب. صفات القائد الواردة في كتاب "فصول في الإمرة والأمير":

نواصل الآن الصفات التي ذكرها الشيخ سعيد حوى -رحمه الله- في كتابه "فصول في الإمرة والأمير" ولكننا سنواصل ترتيبها بالتسلسل الذي اختاره الشيخ أبو مصعب أي من الأكثر أهمية إلى الأقل وبالاختزال الذي عمد إليه بجمع بعض الصفات معا في مرتبة واحدة، مع العلم أنني لا أرى أن الشيخ سعيد حوى قد تعمد ترتيب هذه الصفات في كتابه بل أراه عرضها بعفوية دون إشارة لأهمية واحدة مقابل الأخرى ويرجع ذلك ربما إلى أن هذه الصفات جميعها مهمة في صناعة شخصية القائد فلا تفاضل في الترتيب بينها.

1. العقل

يأتي العقل في الشريعة الإسلامية وفي اصطلاح العلماء على أنحاء فأحيانا يذكر ويراد به الملكة المدركة من الإنسان التي يستطيع بها فهم التكليف وهذا الذي يراد عندما يتحدث العلماء عن شروط التكليف التي من جملتها العقل وكذلك هو المراد عندما يتحدث العلماء عن شروط صحة الولاية التي من جملتها العقل.

والعقل في الشريعة يراد به الاستجابة للتكليف وإقامته فمن لم يقم بالتكليف الرباني فليس عاقلا.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10][24]

والمراد في باب الإمرة هذا المعنى الذي قبله ومعنى زائد على ذلك وهو المكتسب بكثرة التجربة وطول المباشرة فهذا النوع من العقل يتأكد طلبه من الأمير ما لا يتأكد من غيره لأن انتصابه لرعاية الخلق بما يتكفل لهم بمصالح الدارين يتوقف على وفور حظه من هذا الاتصاف وبما يساعد على وجود هذا النوع من العقل التجربة والفكرة، والتدبير، ونقد خواطر أهل البصائر، وكثرة المطالعة في التاريخ وتتبع تصرفات أهل العقول والسياسة واستطلاع رأي أولي التجارب وكثرة المشاورة لأهل الرأي والسياسة كلها عقل، والمطلوب من كل من يمارسها أن يعرف احتمالات المواقف التي يواجهها وأن يتخير الموقف الأجود أمام كل احتمال وأن الأمور نحو الاحتمال الأحسن في حق الإسلام والمسلمين فقد قالوا: "الأمور تشابه وهي مقبلة ولا يعرفها ذوو الرأي فإذا أدبرت يعرفها الجاهل كما يعرفها العاقل"، والوصول إلى هذا النوع من العقل ليس سهلا فقد قالوا : "العقل سرعة الفهم وغايته إصابة الوهم، وليس للذكاء غاية ولا لجودة المعرفة نهاية".

فالذكاء ليس له نهاية والغباء ليس له نهاية، فأحيانًا تجد رجلًا عمل مصيبة فتقول: "ليس هناك أغبى من هذا"، فيأتيك رجل يعمل مصيبة

[24] وقال الشيخ أبو مصعب السوري عن صفة العقل في كتاب الشيخ سعيد: وقد جعل الشيخ سعيد حوى صفة العقل أوّل الصفات اللازمة للقائد، وجاء بشاهد من القرآن الكريم: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، فالعقل من أسباب النجاة من النار، وقال تعالى عن الكافرين: {صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون}.

ويجعلك تترحّم على صاحبك الأوّل!، فالغباء ليس له نهاية والذكاء مثل ذلك.

وهذا عن العقل، وكمال العقل أن يصل الإنسان إلى الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[25].

والحكمة[26] أعظم مظهر من مظاهر العقل والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:269]، والحكمة وضع الأمور في مواضعها ولا يستطيع ذلك أحد إلا بتوفيق إلهي، فأن تكون كل كلمة من الإنسان في محلها بالقدر اللازم، لا زيادة ولا نقصان، وأن تكون تصرفات الإنسان كلها ضمن القدر اللازم لا زيادة ولا نقصان، على كل مستوى في علاقات الإنسان مع أهله أو مع الناس مع زواره ومع مزوريه في الأوضاع الاستثنائية وفي العادية تلك هي الحكمة ولا يستطيع ذلك أحد إلا بتوفيق إلهي.

وقال الشيخ سعيد حوّى: [**والسياسية كلّها عقل** -وطبعًا الجهاد وأعمال الجهاد كلّها من السياسة-، **والمطلوب من كلّ من يمارسها أن يعرف احتمالات المواقف..**].

وهذا هو المطلوب من كلّ سياسي ومن كلّ قائد، يعني أن يكون عنده العقليّة الشطرنجية؛ فلاعب الشطرنج يُقدّم الحجر ويتأمّل ما هي الحركات التي يمكن أن يفعلها خصمه، فيقول إن عمل الاحتمال واحد فسينشأ عنه كذا وكذا، وإذا عمل الاحتمال الثاني فسينشأ عنه كذا وكذا، وإذا عمل الاحتمال الثالث فسينشأ عنه كذا وكذا، فإذا في الأول

---

[25] سورة البقرة، الآية: 269.

[26] وثبت أن الحكمة إيتاء ووهب من الله تعالى. وروى ابن عبد البر عن مالك رحمه الله أنه قال: [الحكمة هي الفقه في دين الله] جامع بيان العلم (17/1)

سبع احتمالات وفي الثاني اثنين وفي الثالث تسعة، يصبح عنده 18 احتمال يُخزّنهم في عقله، ثم يفاضل بين كل هذه الاحتمالات ويأخذ بأقّلها خسائر وأكثرها مكاسب فيُقدم عليها.

ويتفاضل لاعبي الشطرنج في العالم بطاقتهم على فهم وحفظ الاحتمالات، حتى أنّ بطل الشطرنج في الاتحاد السوفييتي لعب مع كمبيوتر أي بي إم (IBM) من أجل أن يُحسّنوا قدرات الكمبيوتر في الاحتمالات.

وعرض في برنامج على التلفزيون حيث لعب مع أعضاء السلك الدبلوماسي في موسكو، فلعب مع 27 سفيرًا في 27 طاولة، فكان يمر على الأول ويلعب معه ويحفظ احتمالاته، ثم يمر على 26 الآخرين، واللاعب الأول عنده فرصة ليفكر على راحته حتى يلعب مع الباقين.

هذه العقليّة القادرة على حساب الاحتمالات مهمّة في العمليات العسكرية، فتقول لو تقدمنا من هنا فعند العدو فرصة أن يتقدم من هنا أو يلتف منه أو يفعل كذا، وهكذا لو أقدمنا على عمل معين ما هي الاحتمالات، ولو فعلنا كذا فما هي احتمالات ردة فعل الطلبة وأثرها على الباكستان وأثرها على تركيا وأثرها على كينيا وغيره، وتنطلق في دراسة الاحتمالات، فهي عملية معقدة جدًا، تحتاج فيها للمعرفة وللثقافة العامّة، ولكن إذا لم يوجد عندك عقل يستطيع تحليل هذه المعلومات فليس منها أي فائدة، فهذا يدل على المقصود من العقل.

وقال سعيد حوى أن على القائد "أن يتخيّر الموقف الأجود أمام كلّ احتمال".

وهـذا الأمـر عـبّر عنـه عمـرو بـن العـاص –رضي الله عنه– وهـو مـن دهـاة العـرب، فكـان مـع معاويـة بـن أبي سـفيان –رضي الله عنه–، فكـان معاويـة يتبـاهى فقـال: "مـا دخلـت في معضـلة إلا خرجـت منهـا"، وهـذا مـن الـدهاء، فقـال لـه عمـرو بـن العـاص: "مـا أدخلـت نفسـي في معضـلة قـطّ حـتى أتجشّـم حسـابات الخـروج منهـا". فهـذا مـن رجاحـة العقـل، فمـع أنّـه مستوى عظـيم مـن رجاحـة العقـل أنـك إذا دخلـت في مشـكلة تخـرج منهـا، ولكـن مسـتوى أعظم منه أن لا تدخل أصلًا.

ويجـدر الـذكر أنـه لا يقـال لكـافر عاقـل ولا يقـال لـه: مـا أَعْقَلـه، هـذا خطـأ نرتكبـه كثـيرًا، وجـاء في بعـض الآثار أنـه ذُكـر أمـام الرسـول –صـلى الله عليـه وسـلم– رجـل مـن أهـل الكتـاب فقيـل: "مـا أعقلـه!"، فقـال: "مـه لـو كـان عـاقلًا لآمـن بالله". فتمـام العقـل يُوصـل الإنسـان إلى الإيمـان، ولكـن يمكـن أن نقـول ذكـي أو مـاهر أو داهيـة، ويمكـن أن نقـول عاقـل مـن باب إطـلاق المجـاز ولـيس العقـل الـذي يوصـل للهدايـة، لأنّ الله –سـبحانه وتعـالى– قـال عـن الكفّـار ﴿صـمٌّ بكـمٌ عمـيٌ فهـم لا يعقلـون﴾[27]، وجعـل الأنعام تعقل أكثر منهم.

قلـت: ومـع انتشـار روح الانهزاميـة بتمـدد أذرع التغريـب في مجتمعـات المسـلمين أصـبح التبـاهي بعقـول الكـافرين سمـة بارزة ومؤسـفة، ولاشـك أو الانبهـار بالعـدو يعـد أول مراحـل الهزيمـة وقـد ذكـر الشـيخ قاسـم الريمـي – رحمـه الله – في شـرحه لكتـاب مختصـر سياسـة الحـروب للهرثمـي مـا يوضـح هـذه المسـألة فقـال: "في الحـرب العالميـة الثانيـة، كـان لـدى الجـيش الفرنسـي

[27] سورة البقرة، (الآية: 171).

خط يوصف بأنه خط لا يقهر، بناه الفرنسيون لحماية أنفسهم من أي اعتداء، ويسمى خط "ماجينو"، ويتكون هذا الخط من دفاعات بعدها دفاعات بعدها دفاعات لدرجة يقال عنه: مستحيل أن يتجاوزه أحد. ثم جاء الألمان، فاقتحموه خلال 14 يوم فقط..!

فأين كانت المشكلة؟!

لو أن أي جيش آخر أراد اقتحامه كالجيش الأميكي مثلا، لم يتمكن من ذلك، لكن الجيش الألماني هو الوحيد الذي استطاع أن يقتحمه.

ذلك أن الجيش الفرنسي كان ينظر إلى الجيش الألماني على أنه مصدر قدوة، ومصدر إلهام، والضابط الفرنسي يرى أن الضابط الألماني هو قدوته، يأخذ العلوم العسكرية منه، وحتى ثقافته، بل إن المرأة الفرنسية نفسها تتشبه بالمرأة الألمانية، وكل الشعب الفرنسي كان متأثرًا تأثرًا شديدًا بالشعب الألماني، فانظر أين وصلت درجة هذا التأثر!

أنت الآن حين تأخذ العلوم من (قال الله) و (قال الرسول ﷺ)، تأخذها من تاريخك، من غزوات الصحابة، ومن التابعين، فإن أنت أخذتها بشيء من الانكسار بينما حين تأخذ العلوم من كتب القوم، تأخذها بشيء من الإعجاب.. فهذا يأثر عليك بالتأكيد..

ثم كيف ستستطيع أن تجابه إنسانًا وأنت ترى أن عقله أفضل من عقلك! وأن تفكيره أفضل من تفكيرك!

ثم تغالط نفسك وتقول: ولكن هذه علوم تجربة! بل هذا ضعف وانهزام، ونسيت أن (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

فيجب أن تكون مسألة الاستعلاء بهذا الدين حاضرة، موجودة، ومسألة النظر إلى الكتب الأخرى بأنها أقل وتحت، أيضا حاضرة وموجودة،

وفعلا هي أقل وتحت مما عندنا، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله- كلاما جميلا جدًا في اقتضاء الصراط المستقيم – حيث أثار مسألة التشبه بهم في مسائل الأمور الدينية وحتى الدنيوية، وكان كلامه عجيبًا جدًا في المسائل التي يتقنونها -لو فرضنا جدلًا أنهم يتقنون الفنون العسكرية أفضل منا طبعا- وهذا منافي للحقيقة، لا نقولها تعصبًا أو عنادًا، لأن مجرد مقارنة منصفة لما لدى المسلمين وما لديهم نجد أن القوم لا يملكون شيئا".[28]

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – في اقتضاء الصراط المستقيم: "ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم (الكفار) كاملًا قط، فإذا المخالفة فيها منفعة، وصلاح لنا في كل أمورهم حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم، قد يكون مضرًا بأمر الآخرة، أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا".

2. العلم

وهي الثانية في ترتيب الصفات اللازمة لكل أمير عند الشيخ سعيد حوى، فكل أمير لابد له من العلم الذي يحتاجه في إمرته فالإمام الأعظم يحتاج إلى أن يكون محيطًا بكل لوازم الحكم الإسلامي ولوازم إقامته ولوازم النجاح في ذلك كما أنه يلزمه إدراك السياسات الداخلية والخارجية وأمراء الولايات يحتاجون إلى العلوم التي تمكّنهم من سياسة ولاياتهم، وإقامة الإسلام فيها وعمارتها على أكمل نظام وأجوده وأمراء الجيوش يلزمهم من العلوم الدراسات التي تخدم فنهم واختصاصهم.

[28] تهذيب شرح كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي صفحة 26.

وكـان الشـيخ أبـو مصعب السـوري قـد أشـار إلى صـفة التخصـص العلمـي في منصـب الأمـير، ولكـن الشـيخ سـعيد يتحـدث عـن العلـم عموما وخاصـة فيمـا يكـون مـن حـال أمـير المـؤمنين وقـدّم الشـيخ أبـو مصـعب مرتبـة التخصص على العلم عامة نظرًا لطبيعة العمل الجهادي وتخصصاته.

3. الشجاعة والكرم والسخاء والجود

ونلاحـظ أن الشـيخ أبا مصـعب قـد جمـع هـذه الصـفات كلهـا في حالـة واحـدة نظـرًا لتـداخلها وترابطهـا ببعضـها الـبعض علـى عكـس تصـنيف الشـيخ سـعيد الـذي أفـرد الشـجاعة في المرتبـة الثالثـة لوحـدها والكـرم والسـخاء والجـود منفردة أيضا في المرتبة الخامسة من صفات الأمير.

وقـال الشـيخ أبـو مصـعب: "جـاء بالكـرم والشـجاعة كخصـلتين منفصـلتين، وهنـا نجمـع بينهمـا، فقـد يظهـر تبـاين بـين الكـرم والشـجاعة، ولكـن حقيقـة الأمـر مـن ينظـر إلى الكـرم والشـجاعة يجـد أن الشـجاعة فـرع مـن الكـرم، وإذا كـان الإنسـان بخيلًا فـلا يمكـن أن يكـون شـجاعًا؛ لأنّـه إذا بخـل بمالـه فسـيبخل بنفسه فهي أثمن، ويبخل بوقته وهكذا.. فالشجاعة هي فرع من الكرم.

والكـرم ربمـا يكـون مـن أوليّـات وأمّهـات الأخـلاق الـتي يتفـرَّع عنهـا أمـور كثـيرة جـدًا، لـو تتبَّعـت كتـب الأخـلاق والرقـائق خاصّـة عنـد الغـزالي تجـد الكثـير مـن الربط بين هذه الأمور. فالعلاقة بين الكرم والشجاعة هي كما قال الشاعر:

الجـــودُ بالمـــال جُـــودٌ فيـــه مَكْرَمـــةٌ   والجُـــودُ بالـــنَّفْسِ أَسْمَـــى غايـــةُ الجـــودِ

فالجود بالمال جيّد ولكن الجود بالنفس أعظم منه، والجود بالنفس هو الذي يُورّث الشجاعة".

ونقل الشيخ سعيد حين تحدث عن الكرم والسخاء والجود كلامًا للإمام الطرطوشي من علماء المالكية في الأندلس وشمال إفريقيا، وهو يكتب للأمراء عن الصفات التي تعينهم على الـمُلك، فيقول عن الكرم والجود: "هذه الصفة هي الجليل قدرها، العظيم خطرها، هي إحدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها، وتذلّ لها الرقاب، وتخضع لها الجبابرة، وتُسترق بها الأحرار، وتُستمال به الأعداء، ويُستكثر بها الثناء، ويُملك بها القرباء والبعداء، وهي بالعزائم الواجبات أشبه منها بالجمال والمحبوبات"، وكل كلمة من هذه يمكن للواحد أن يشرحها فيبين وجه الحكمة فيها.

واستشهد بأثر عن النبي -ﷺ- أنه قال: (السخيّ قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار..) ثم قال: وهذا من عجائب ولطائف هذا الحديث: (والجاهل السخيّ أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل)[29] .

وقال رسول الله -ﷺ-: (إذا أراد اللهُ بقَومٍ خيرًا، وَلَّى أمرَهُمُ الحُكماءَ، وجعلَ المالَ عندَ السُّمَحاءِ، وإذا أراد اللهُ بقومٍ شرًّا، ولَّى أمرَهُمُ السُّفَهاءَ، وجعلَ المالَ عِندَ البخَلاءِ)[30]، ويكفي هذين الشاهدين في قضية الكرم والسخاء.

أما الشجاعة فبيّن شجاعة النبي –صلى الله عيه وسلم- الذي كان أشجع الناس، قال ابن الأزرق[31]: "الجبن هو ضدّ الشجاعة من حيث ميله لطرف

---

[29] ضعفهُ الألباني في السلسلة الضعيفة: 154، وقال: ضعيف جدًا.

[30] ضعفهُ الألباني في ضعيف الترغيب: 1558.

[31] صاحب كتاب (بدائع السُّلك) الذي اقتبس منه الشيخ سعيد حوى

التفريط، وفي خُلُقها المتوسط بينه وبين التهور، وذمه ظاهر من تلك الجهة، ونزيده وضوحًا بأمرين؛ أحدهما أنه شرُّ خصال الرجال، فعن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله –ﷺ– (شرّ ما في الرجال شُحٌّ هالع وجُبنٌ خالع)[32]، –وهذ الحديث دليل على اقتران الشجاعة بالكرم–، وعن أنس بن مالك –ﷺ– قال: (كنتُ أخدمُ النبيَّ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– فكنتُ أسمعُه كثيرًا يقول: اللهمَّ أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والبُخْلِ والجُبْنِ، وضلع الدَّين وغَلَبَة الرجال)[33].

وهنا شاهد قصير جميل: "قال الطرطوشي: المقاتل من وراء الفارّين كالمستغفر وراء الغافلين".

4. العفة

وقد قالوا: "من أرضى الجوارح بالشهوة فقد غرس في قلبه شجرة الندامة، ومن أطاع الشهوة خذلته عن الرجوع إلى ربه في دفع المكاره وجعلته خادمًا لمن كان يجب أن يستخدمه ومقدمًا لمن كان يجب أن يتقدمه".

ولا عفة إلا بمجاهدة النفس: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾. (النازعات : 40).[34]

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: 69).

وقال عليه الصلاة والسلام: "والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله"[35]

---

[32] صححهُ الألباني في صحيح الترغيب: 2605.

[33] رواه البخاري

[34] قال الشيخ أبو مصعب السوري في الجزء الثاني من كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية صفحة 1114 طبعة بيت المقدس: "والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارًا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة، وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية".

5. الحلم

قال أبو حاتم ﷺ: لا يستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء: العقل والعلم والمنطق ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة[36] والعجلة والحسد والهوى والكذب وترك المشاورة. ثم ليلزم سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء: الرفق في الأمور، والصبر على الأشياء وطول الصمت. فمن تعرى من هذه الأشياء -وهو ذو سلطان-عمي عليه قلبه وتشتت عليه أموره ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصره قلبه مثلها. ودخل الخلل في أموره نحوها. وإنما مثل الرئيس والرعية كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد فإن لم يكن ذلك القائد أحد الناس بصرًا وألطفهم نظرًا كان خليقًا أن يوقعهم وإياه في وهدة تندق أعناقهم وعنقه معهم.

ومن مظاهر الحلم قبول الاعتذار فقد قالو: "نعم الشفيع الاعتذار عند أهل الحلم والاقتدار" لا سيما إذا لوحظ فيه دلالة قبول على حرية النفس وكرم الطبيعة كما قيل. وقالوا: اقبل العذر وإن كان مصنوعًا إلا أن يكون مما أوجب المروءة قطعه، أو يكون في قبوله تشجيعه على المكروه أو عونه على الشرّ فإن قبول العذر فيه إشراك في المنكر.

وكذا حيث لا يكون هناك عذر والجناية مستحقة الجزاء.

ولا يعني الاتصاف بالحلم ألا يغضب الإنسان أبدًا فذلك نادر أو مستحيل والمطلوب ألا يغضب الإنسان لنفسه وأن يغضب إذا انتهكت

---

[35] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ} . وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَعْضُهُ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ

[36] يعني العصبية عكس الحلم.

حرمات الله وإذا غضب لأمر شخصي أن يفيئ سريعًا. ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم، وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم، ومن آتاه أخوه متنصلًا، أي معتذرًا فليقبل ذلك محقًا كان أو مبطلًا، فإن لم يفعل، لم يرد على الحوض) رواه الحاكم.

قال ابن الأزرق: الاتصاف بالحلم الممدوح لا يتوقف على قمع الغضب بالكلية لأن ذلك غير مطلوب وإنما يتوقف كماله على انقياد الغضب للعقل، حيث يشير رده إلى الاعتدال الذي هو وسط بين طرفي الإفراط والتفريط وإذ ذاك فيتحقق الاتصاف به على الوجه المحمود ومن هناك قيل: من لا يغضب فليس بحليم لأن الحلم لا يعرف إلا عند الغضب.

وهذه الخصلة "الحلم" جعلها الشيخ سعيد في الصفات المتأخرة ورأى الشيخ أبو مصعب تقديمها وربطها بالعقل مباشرة، وقال الشيخ أبو مصعب: "والحلم هو سعة الصدر وطول البال".

قال الإمام الحافظ أبو حاتم مُحَّد بن حبّان البستي في كتابه (روضة العقلاء): "وليجتَنّب الحِدَّة -والحدّة في الطبع هي عكس الحِلم-، وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم، ولقد حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن قحطبة حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن زنبور حدثنا أبو بكر بن عياش: "أن أهل الجاهلية لم يكونوا يُسوِّدون عليهم أحدًا لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسوّدون من إذا شُتم حَلِم، وإذا سُئل حاجة قضاها أو قام معهم فيها"... قال أَبُو حاتم -رَضِيَ اللَّه عنه-: "لا يستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء العقل والعلم والمنطق..".

قال الشيخ أبو مصعب: "فالقائد يجب أن يكون منطقيًا؛ أحيانًا تجد إنسانًا يفعل شيئًا غير منطقي، فغير منطقي أن تدخل مستودع متفجرات فتجد بنزين، فإذا سألت من وضع البنزين هنا؟ يقول لك: "والله يا شيخ لا يوجد مكان وجاء البنزين فوضعناه هنا"، فأول سؤال تسأله: "أين عقلك؟ ألم يخطر في بالك أنه من الممكن أن يحدث حريق؟!"، وأخطاء مثل هذه أودت بأرواح وجاءت بمصائب وأصلها من العقل".

قلت: ومثلها أن يُترك سائل كيميائي خطير، حارق مثل ماء النار والأسيد بدون أن يغلق ويعلّم بكتابة تدل على محتواه وخطره، ليعلم الجاهل به أنه مادة خطيرة في مستودع عام، وقد تقع أخطاء فادحة كتشوهات عميقة لا تنمحي لمن يسكبه بالخطأ بعد أن ظن بأنه مجرد ماء.

وقال الشيخ أبو مصعب: "ولكن إذا كنّا نطالب الرجل المخطئ أن لا يُخطئ، فالمطلوب من القائد بعد وقوع الخطأ أن لا يفقد أعصابه أمام الجنود، فهنا مطلوب منه الحِلم، أن يتصبّر ويتعقّل ويأخذ الجندي لوحده ويعاتبه ويجازيه أو حتى يفصله، ولكن لا تنهار أعصابه أمام الناس، وهذا من الحلم".

وعلق الشيخ أبو مصعب على ما أدرجة الشيخ سعيد في صفة الحلم فقال: "وسبحان الله الإنسان عندما يقع على هذه الحِكَم يتأسّف على الوقت الذي يُضيعه في القيل والقال والكلام والنوم والأشياء غير المفيدة، لأنّك عندما تقرأ هذه الأشياء تنتصب أمامك مرآة وتبدأ تنظر

لنفسك، فتبدأ تستدرك على نفسك، فمع كثرة مجالسة من فيهم هذه الخصال وكثرة مجالسة الكتب التي تتكلم عن أخلاق الرجال تبدأ تكتسب هذه الأخلاق شيئًا فشيئًا.

هناك أشياء فطرنا الله –سبحانه وتعالى- عليها لا نستطيع أن نغيّرها، فهي مثل لون عيونك وطولك لا تستطيع أن تغيّرها وجفّ القلم عن ما هو كائن، ولكن هناك صفات تُكتسب كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ)[37]، (ومن يَتَصَبَّر يُصَبِّرِه الله)[38]، فهذه كلها صفات مُكتَسَبَة.

ويكفي حديث رسول الله -ﷺ- للأشجّ: (إن فيك خصلتينِ يُحبُّهما اللهُ ورسولُه؛ الحِلم والأناةُ).

6. الصبر واليقين.

نأتي للخصلة التالية والتي ذكرها الشيخ سعيد منفصلة وهي الصبر ووصلها الشيخ أبو مصعب بصفة اليقين، وقدمها أيضا بعد أن أتى بها الشيخ سعيد في الصفات المتأخرة مع أنّه من أهم ما يلزم القائد، ويبدو أن الشيخ سعيد لم يتعمّد الترتيب. لكن الشيخ أبو مصعب وصل الصبر باليقين لعلاقتهما ببعض، وقال: وكما أن الشجاعة متفرعة عن الكرم، فالصبر فرع من اليقين، واليقين هو أبو الصبر، لأن الإنسان يصبر ويصبر ويصبر، ثم في

[37] حسنهُ الألباني في صحيح الجامع: 2328.

[38] صحيح البخاري (1469).

لحظة ما ينقطع صبره ولا يعود قادرًا على الصبر والسبب انقطاع يقينه من النتيجة، وحتى يتضح أضرب مثالًا؛ تُخرج رجلًا في التدريب ثم تقول له: عندنا مسير طويل، فيخرج، ثم يعطش، فإذا قلت له: "اعطش ما بدا لك ليس هناك ماء إلا بعد 500 كلم"، فسينقطع صبره نهائيًا ولا يصبر ولا عشرة أمتار، وإذا قلت له: "إن شاء الله هناك ماء قريب، بعض الإخوة مرّ من هنا وكان هناك ماء"، فنمشي، فيقول لك: "يا شيخ الماء؟"، فتقول له: "بعد قليل إن شاء الله"، فتبدأ تستفز عنده حوافز الصبر وقدرات النفس الكبيرة جدًا، بينما لو قطعت يقينه لا يصبر.

فإذا قلت له: "قضيتكم ناجحة بإذن شاء الله، وأسباب نجاحها كذا وكذا فاصبروا وقاتلوا وإن شاء الله تَصِلون"، فيصبرون، بينما لو قلت لهم: "هذه الشواهد قائمة فيكم وفي غيركم وأن النصر لن يأتي، واصبروا هكذا للجنة والشهادة"، فسيصبر فقط المتعلّق بالله، أما من أراد النتيجة والإنجاز لن يصبر، وهكذا.

فالصبر فرع من اليقين، ومن لوازم الصبر أن يكون عند الإنسان يقين بالنتيجة، ولذلك فيقيننا بالجنة هو سبب الصبر على العبادات".

وقد أتى الشيخ سعيد ببعض الشواهد عن الصبر نأخذ منها استشهاده بقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[39]، ولاحظ ربط الآية بين الصبر واليقين، وللإمام ابن تيمية كلام مشهور جعل فيه الصبر واليقين من أساسيّات الإمامة، أخذها من هذه الآية، جعلنا منهم أي من بني إسرائيل أئمة ورثوا الأرض وحكموها، متى؟

[39] سورة السجدة، الآية: 24.

لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، فقال ابن تيمية: "الصَّبْرُ وَالْيَقِينُ بِهِمَا تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ" [40]اهـ.

يقول الشيخ سعيد حوّى: قال ابن الأزرق: يتأكد على السلطان التَّخلُّق بهذا الخلق العظيم الصالح:

- **المصلحة الأولى**: حصول ثمرات القوة المعبَّر عنها به، قال ابن ضفر: "وَهُوَ -أي الصبر- عبارَة عَن ثَلَاث قوى؛ الْقُوَّة الأولى قُوَّة الْحِلم وثمرتها الْعَفو، الْقُوَّة الثَّانِيَة قُوَّة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمَارَة المملكة، الثَّالِثَة قُوَّة الشجَاعَة وثمرتها فِي الْمُلُوك الثَّبَات".
- **المصلحة الثانية في الصبر**: هو إبقاؤه به على نفسه عند فوت مقصدها فيُرغم أعداءه، يقول أرسطو لتلميذه الإسكندر المقدوني[41]: "لا تجزع على ما فاتك، فإن ذلك من خواصّ النساء والضعفاء، وأظهر الأدب والمروءة فإنه يُنمِّي مالك ويذلُّ أعدائك".

[40] مجموع الفتاوى 358/3.

[41] ويسمى الفاتح المقدوني، أو الإسكندر الأكبر، (356 – 323 قبل الميلاد) القائد الذي لم يخسر أي معركة طيلة أحد عشر عاما من القتال ضد قوات تفوق قواته عددا، بحلول نهاية عام 330 قبل الميلاد كان الإسكندر يسيطر على كل أجزاء آسيا الصغرى وبلاد فارس وفي أقل من خمس سنوات كان قد أنشأ أكبر إمبراطورية في تاريخ العالم، ولكنه استمر مع ذلك في غزو أفغانستان وآسيا الوسطى وشمال الهند خلال السنوات الثلاث التالية، ولم يهزم الإسكندر في أي معركة خلال تلك الحملة التي شملت مواجهة دامية مع الملك الهندي بورس والذي استخدم أكثر من مئتي فيل مدرب في القتال ضد المقدونيين أثناء معركة هيداسبس. وبعد أن سيطر على الأرض، وقبل العودة للديار، أمر الإسكندر عشرة آلاف من ضباطه وجنوده بالزواج من نساء فارسيات، كما تزوج هو نفسه من امرأة فارسية الأصل، بيد أن الإسكندر لم يعد إلى موطنه، فقد تمكن منه المرض ولم يشفع له ادعاؤه الألوهية شيئا، حيث أدركه الموت عام 323 قبل الميلاد في بابل وهو شاب لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر، وقيل أنه قد توفي بمرض الملاريا. وانهارت إمبراطوريته بعد موته بعام واحد فقط لضعف القادة الذين خلفوه. الصفحة 202 من (موسوعة مشاهير العالم، الجزء الثالث القادة العسكريين والسياسيين، طبعة دار الصداقة العربية ، بيروت) بتصرف.

- **المصلحة الثالثة في الصبر**: احتمال تعب التدبير، قالوا: ليس في الأرض عمل أَكَدُّ من سياسة عامة. وقالوا: سيد القوم أشقاهم، وطلب الملوك الراحة فحصلوا على التعب.

قال الطرطوشي: "وجميع ذلك محمود عند كل ملة وعند كل أمة مؤمنة كانت أو فاجرة".

ولاحظ كيف أنّ علماء الأخلاق يأخذون قضية تبدو لنا بسيطة ويبدأون بالربط بين الأخلاق وأسبابها ومسبّباتها.

أما عن اليقين فقال الشيخ أبو مصعب: "لم يرد عند الشيخ سعيد في صفحاته وإنّما جاء ضمنيًا في بعض الأمور. فأقول تعريفًا لليقين: ذكر الإمام علي بن أبي طالب -ﷺ-: "لو كُشف عنّي الحجاب ما ازددت يقينًا"، يعني لو رأيت الجنة والنار والعقاب والحساب فلن يزيد إيماني؛ فهو بلغ قمّة في اليقين فصدّق الغيب حتى تحوّل عنده عاملًا من عوامل الشهادة.

فلو أردنا أن نُعرّف اليقين نقول: هو التصديق بالمآل وتقريب عالم الغيب من عالم الشهادة، فالنصر والهزيمة من عالم الغيب، الله أعلم به هل سيحصل أو لا يحصل، ولكن عندما يكون عندك يقين يقرّب لك النصر وكأنه من عوامل عالم الشهادة.

فنأخذ من هنا خصلة أنّ من يريد أن يعمل للجهاد فيجب أن يكون عنده يقين بالله، ويجب أن يكون عنده يقين بالنصر، فيجب أن يعرف أنه منصور، ولذلك ابن تيمية عندما أراد أن يخرج بالناس لقتال التتار رأى فيهم الخوف والجبن، فالتتار مسحوا الأرض وخربوا الدنيا ومسكوها من بكين مرورًا بكابول إلى بغداد ثم وصلوا دمشق، فأوشك أهل دمشق أن يجبُنوا

فكان يصبّرهم، فمن جملة ما قال لهم: "والله إنكم منصورون"، فقالوا له: "قل إن شاء الله"، فقال: "إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا"[42].

فاليقين بالنصر يساعدك أن تخرج بعزيمة بحيث لو فاتتك أسباب النصر تبدأ تبحث لماذا وتُتمّم العوامل، فهذا من الأمور التي تلزم القائد، ولا تنسى أصل الموضوع الذي اجتمعنا من أجله، واربط هذه الأخلاق بلوازم القائد؛ فإذا القائد ليس عنده حسن ظن بالله وليس عنده صبر وليس عنده يقين، فما بالك بمن بعده؟!.

وقرأت مرة لطيفة جميلة مستفادة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[43]، قال: في هذه الآية دلالة على أن لا تتَّبع أميرًا وقائدًا غفل عن ذكر الله، فمن غفل عن ذكر الله وبان عليه سوء العبادة وسوء الدين فالأصل أن لا تطيعه. فالعلماء عندما يقرأون هذه الآيات ويُخرجون منها لطائف لا تخطر في بالك بصورة طبيعية.

فهذه صفات القائد، فإذا كان القائد غير مقتنع بالنصر لن يستطيع أن يقود المعركة، مثال على ذلك أيَّام الجهاد في سوريا، عندما كنا مع (الطليعة) كانوا يهوّنون من عالم الأسباب لحدّ التفريط، ولا يربطون القضية بالأسباب أبدًا، حتى أنّ أحد قوّادهم قال كلمة هي خطأ في التطبيق ولكنها تدلّ على اليقين، قال: "الله تعالى أمرنا بجهاد النصيريّة، وأنا الآن عندي 7

---

[42] يقول ابن القيم في (مدارج السالكين) 458/2: "ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم. وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا. فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا. وسمعته يقول ذلك. قال: فلما أكثروا علي. قلت: لا تكثروا. كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ. أنهم مهزومون في هذه الكرة. وأن النصر لجيوش الإسلام. قال: وأطمعت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو." اهـ.

[43] سورة الكهف الآية 28.

طلقات في مسدسي فأُطلقها الآن، ولا أعلم من أين سيأتي ما بعدها ولا أستطيع أن أعرف ولا أريد أن أعرف أكثر من ذلك، وأتوكل على الله وأمشي". وهذا الكلام إذا طُبِّق بهذه الصورة فيه تفريط، وهم دفعوا ثمن التفريط، ولكن من جانب من الجوانب يدل على يقين قوي[44].

قلت: ويذكرني هذا بما كتبه الدكتور عبد الصبور مرزوق في كتاب "ثائر من الصومال" الذي يروي فيه قصة الملا عبد الله مُحَّد حسن أمير الدراويش في الصومال، حيث ذكر أثناء دراسة أسباب الهزيمة في معركة "جدبال"[45] التي انتصر فيها الانجليز على الدراويش ووضعت هذه الهزيمة قيادتهم في الموقف الذي لا يحسدون عليه، وتعرضت زمنًا غير قليل لعدم الاستقرار بسبب إحاطة الأعداء بهم من كل ناحية ووجودهم تحت التهديد الحقيقي المستمر. فذكر من بين الأسباب التي أدت للهزيمة قائد هذه المعركة والذي كان ممن يمكن وصفه بأنه "رجل متهوس" تنقصه حكمة القيادة الحازمة التي تعرف الفاصل الدقيق بين الشجاعة والتهور. فهو منذ بداية المعركة كان حريصًا على أن يموت بدليل أنه عندما اصطفت الجيوش أسرع يقود جواده نحو معسكر الأعداء حتى ظنوا أنه رسول تسليم. فلما أصبح على مقربة من الضباط أطلق رصاصة على أحدهم أرداه قتيلًا ثم لوى عنان جواده وانطلق يسابق الريح وظل يكرر هذه العملية ست مرات حتى قتل في النهاية. إن هذا دون شك ضرب من السفه والحمق، ومهمة القائد ليست القيام بمثل هذه الحركات الطائشة وإنما الثبات والهدوء وتدبير مصير المعركة في حزم"[46].

---

[44] الكلام للشيخ أبي مصعب تم التصرف فيه.

[45] في صباح الأحد 1321/10/22هـ الموافق 1904/1/10م زحف الجيش الانجليزي على "جديال" وأسفر اللقاء الرهيب عن هزيمة الدراويش التي كان تعدادها يبلغ (6000) ستة الآف مقاتل خسرت منهم (460) أربعمائة وستين شهيدا مع أسلحتهم ، (205) مائتين وخمسة من الجرحى في حين فقد العدو تسعين قتيلا.

[46] ثائر من الصومال طبعة بيت المقدس صفحة 81

ولكن مع ذلك كانت قوة اليقين أحد أهم أسباب انتصار الدراويش فقد قال د. عبد الصبور مرزوق في مقطع آخر من نفس الكتاب يصف انتصار الدراويش في معركة "بيرطكا"[47] وفي 1320/8/5 هـ الموافق 1902/11/6 م التقى الجيشان في مكان يسمى "سلح إيركو" من أرض هود، والتحم القتال وكانت معركة من أندر معارك الدراويش وأروعها فيما حدث فيها من قتال رهيب واستبسال عوض به الدراويش ما كان ينقصهم من الأسلحة الحديثة الوافرة لدى العدو، فقال: " وقد هرب سوين وفلول جيشه إلى "بوهودل " ثم إلى "برع" وعزل عن القيادة العامة وتسلمها الجنرال "منك" وقد حاول "سوين " أن يدافع عن هزائمه المتتالية أمام الدراويش بادعاء الكثير من المفتريات، واختلاق المبررات والأعذار الواهية، ولكنها لم تشفع له أمام رؤسائه، ولم تستطع أن تنقذه من الحرج الفظيع والمهانة التي ساقها له الملا ودراويشه غير مرة..

ومرة أخرى أثار الانتصار الكبير روح البسالة النادرة لدى كثير من الصوماليين ورأينا كثيرين منهم يقدمون على أعمال لا يكاد يتصورها العقل لولا أنها تتم في لحظات خارقة من الاستهانة بالموت، وكان لها أثرها في إذهال الأعداء وهزيمتهم.

من ذلك أن رجلا يسمى "مُحَمَّد أسك ررن" شهد هذه المعركة ولم يكن لديه سلاح فاندفع إلى ساحة المعركة، هو يصيح صيحة الدراويش التقليدية: الله .. الله.. ووقف أمام الرصاص المنهمر كالمطر من الرشاشات وهو يلوح بعصاه الكبيرة، ثم ضرب بها رأس أحد الانجليز وانتزع منه بندقيته وأخذ

[47] بيرطكا: معناها "الانبطاح" لأن الجيش الانجليزي كان يطلق أسلحته وهو في وضع الانبطاح.

يقاتل بها حتى انتهت المعركة دون أن يصاب بسوء، وكان عمره يومها يربو على السبعين.

ومن ذلك أن رجلا يسمى "عرب بن الشيخ عثمان" أمسك بيديه فم رشاشة من رشاشات الأعداء وهي تمطر نيرانها كي يأخذها من يد صاحبها فأصيب في صدره بأربعين طلقة لم تنفذ واحدة منها إلى داخل جسده وخرج من المعركة سالما ليس به إلا خدوش من أثر هذا الرصاص.

ومن هذا وغيره نرى كيف كان الدراويش ينتصرون بروح الفدائي المتعطش إلى الموت أكثر مما ينتصرون بالعدة والسلاح".[48]

وأضاف الشيخ أبو مصعب: أما عندما ذهبنا إلى (الإخوان المسلمين) فكنّا نجلس مع القائد فيقول لك: "ما في فائدة، نحن نعمل لأنّنا أُجبرنا على العمل، ولكن كيف ننتصر وعند العدو دبابات وطائرات؟"، فيبدأ يخذّل جنوده ويمسخ فيهم الإيمان واليقين، وهو صعلوك مهزوم من الداخل قزم، ولذلك كان أولادهم يدرسون في الجامعات ونحن في الجهاد، لأنّه ليس عندهم يقين!.

وقال أبو مصعب ضاربًا مثلا وصفه بالجميل جدًا: جاء واحد من المجاهدين وخطب ابنة واحد من القيادة العليا، وكان يمكن أن يعتذر بأيّ عذر، ولكنه قال له كلام في غاية الغباء، قال له: "يا ابني أم البنت تقول أنّك أنت مش ضامن مستقبلك"، يعني بالعرف العادي واحد ليس عنده جامعة ولا شهادة فمستقبله في الكسب غير مضمون، فالشاب عمل حملة حركيّة، قال له: "أنا مستقبلي معك وبعد أن نفتح سوريا سنكون من عِلية الناس

[48] ثائر من الصومال طبعة بيت المقدس صفحة 68.

وقوّاد البلد"، فهذا دليل أنه يائس من القضية التي يجاهد لها أصلًا!، فلو كان يعرف أنهم سينتصرون فهذا يعني أنه سيصبح وزير الداخلية وأن الرجل الخاطب سيصبح معاون وزير الداخلية، فمستقبله مضمون، ولكنه يرى نفسه مهزوم وبالتالي لن يكون لابنته مستقبل مع الخاطب.

فالشاهد: إذا فقد القائد اليقين بالنصر لم يعد يمكنه الاستمرار، وكلها شواهد يمكن أن يكون فيها الكثير من التفصيلات.

وقديما قال الشاعر:

لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالبَةٌ إذا استعنَت بصبرٍ أنْ ترى فَرَجا

إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مسالِكُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا

أخْلِقْ بذي الصبرِ أنْ يحظَى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا

وقال تعالى ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة 24)[49].

7. كظم الغيظ والغضب

وفي هذه قال الشيخ أبو مصعب: "ثم نأتي إلى صفة كظم الغيظ والغضب وهي فرع عن الحلم، ولو دمجها مع بعضها فهي صفة واحدة، وهي من آثار الحلم ومن توابعها الصبر والعقل، ومن لوازمها وما يُعين عليها الإيمان؛ فالإنسان عندما يكون عنده إيمان ويعرف الأسباب والنتائج والمسببات لا يجهل على الخلق، ويعذر المُخطِئ.

[49] إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وقارن نفسك عندما تخرج من البيت مرتاحًا كيف تتصرف مع الناس، وعندما تخرج من البيت غضبان وكيف تتصرف مع الناس، عندما كنت أقود سيارة في أوربا لاحظت في نفسي أني عندما أخرج من البيت مرتاحًا يأتي واحد ويسبب لي مصيبة فأنظر إليه هكذا وأتجاوزه، ومرة من المرات انتبهت على نفسي أن واحد أخطأ عليّ فأخطأت عليه فعمل لي إشارة فعملت له إشارة فتركت الموضوع الذي خرجت من أجله وسرت خلفه أريده فقط أن يقف في طريق من الطرق حتى أفش خلقي، ثم انتبهت أن لي خمس دقائق أمشي في موضوع ليس لي به علاقة.

والسبب في هذا أني خرجت وأنا متعصب، ولو عرضت لي هذه العارضة في وقت عادي ربّما أنظر إليه فقط وأتجاوزه فالدنيا مليئة بالحمقى، فهذا من آثار الإيمان واليقين والعقل، فعندما يسمو إيمانك تبدأ تسمو عن هذه الأمور الصغيرة."

وأضاف: "طبعًا كثرة التجارب وتقدّم العمر وتجاوز مرحلة الشباب؛ كلّ هذه الأشياء تساعد على الحلم وطول البال، وسبحان الله سن الأربعين عجيب في آية من آيات الله، تجد فيه انعطاف في كلّ شيء، وكثير من العلماء وضعوا لأنفسهم قاعدة أن لا يُفتوا ولا يتولّوا القضاء حتى يبلغوا الأربعين، وهو سنّ بعثة النبي –عليه الصلاة والسلام– وكثير من الأنبياء والمرسلين.

فلذلك حماسة الشباب لازمة في القيادة، ولكن القائد الذي يشرف على إدارة الأمور يكون أفضل كلّما تقدّم به العمر دون أن يصل للشيخوخة والعجز. وأفضل القادة هو الذي قضى شبابه يعمل ووصل سن الكهولة

والرجولة والأربعين وهو في هذا الحال؛ فحافظ على طاقة الشباب وحيويّته، ورجح عقله دون أن يدخل عليه عجز الشيخوخة، وهذا من التجارب".

قال سعيد حوى في الغضب والأسباب المهيجة للغضب وكلها ينبغي أن يتجنب: "الكبر والزهو والعجب والمزاح والهزل والتعبير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وتسمية الغضب بالألقاب المحمودة كالشجاعة والرجولية وعزة النفس وكبر الهمة جهلا" قال الغزالي: وهي بأجمعها صفات مذمومة شرعا، لابد من إزالتها بأضدادها، إذ لا خلاص من الغضب مع بقائها".

قال ابن الأزرق من الكلمات الحكيمة في الغضب: "الغضب يصدي القلب حتى لا يرى صاحبه حسنًا فيفعله ولا قبيحًا فيجتنبه أسرع الناس جوابًا من لا يغضب، الغضب عدو والعقل صديق إذا جاء الغضب تسلك العطب، من أطاع الغضب حرم السلامة، أول الغضب جنون وآخره ندم إياك والغضب، فإن الغضب على ما لا يملك عجز، وعلى من يملك ندم، الغضب يفسد الإيمان، كما يفسد الصبر العسل، الغضب مفتاح كل شر، رأس الحمق وقائد الغضب من رضي بالجهل استغنى عن الحلم من أطاع غضبه في شهوة قاده إلى النار".

وكما أن للإفراط في الغضب مثل هذه الآثار القبيحة فللتفريط فيه آثار تشارك تلك في القبح وسوء العاقبة كسقوط الهيبة واحتمال الذل، وخور القلب، والسكوت عند مشاهدة المنكر والانقباض عن تناول الحق الواجب والعجز عن رياضة النفس قال الإمام الغزالي: إذ لا تتم إلا بتسليط الغضب على الشهوة، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة".

قلت: وهناك نماذج لشخصيات في الجهاد يعتبر الغضب سمتهم الملاصق لهم، لا ترى الرجل إلاغاضبًا فينفر الناس من حوله ويتفادون التعامل معه وهو من المشاكل النفسية التي وجب علاجها، وبعض طباع الغضب من مخلفات الحياة الجاهلية التي كان يعيشها المجاهد قبل نفيره ومنها نتيجة اعتبار هذا الطبع يكسب الهيبة والاحترام في حين أن أكثر صنف تسبب في مشاكل في الساحات الجهادية هم الغاضبون أو سريعو الغضب ذلك أنهم القنابل الأولى في مدافع رؤوس الفتن الذين يستعينون بهم لإحداث البلابل والقلاقل وليستفيدوا من عصبيتهم في خلق الفوضى وعدم ضبط الأزمات. فاحذر أن تكون ممن يقول عنه أصحابه "ذلك رجل صعب جدًا لا يمكننا التعامل معه بسبب عصبيته وغضبه".

8. العفو

وصفة العفو من تَبِعَات الحلم، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[50]؛ لأن كظم الغيظ والعفو هو من الإحسان، وقد جاء الشيخ سعيد حوى في هذا المقام ببعض الشواهد.

والأسباب المعينة على كظم الغيظ نوعان علمي وعملي: أما العلمي فهو الفكرة فيما يحمله على الرغبة في ثوابه، الرهبة من عقاب التجاوز عنه إلى التشفي والانتقام، ففي بعض الكتب السابقة يقول الله تعالى (يابن آدم اذكرني حين تغضبن أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق).

---

[50] سورة آل عمران الآية 136.

وتـذكير الـنفس بمـا في الانتقـام مـن نفـرة القلـوب عـن التشـفي بـه، ومـن نسـبته إلى الخفـة والطـيش وأشـد مـن ذلـك علـى الرؤسـاء إعمـال الحيلـة في طلـب الخلاص منهم متى عرفوا بسرعة البطش ومعالجة الانتقام.

وأمـا العملـي فهـو أقـوال وأفعـال أمـا الأقـوال فكمـا ورد في الصـحيحين عـن سـلمان ﷺ قـال: كنـت جالسـا مـع النـبي ﷺ ورجـلان يسـتبّان وأحـدهما قـد احمـر وجهـه، وانتفخـت أوداجـه، فقـال رسـول الله ﷺ إني لأعلـم كلمـة لـو قالهـا لـذهب عنـه مـا يجـد، لـو قـال أعـوذ بالله مـن الشـيطان الـرجيم ذهـب عنـه مـا يجـد، فقـالوا لـه: إن النـبي ﷺ قـال: تعـوذ بالله مـن الشـيطان الـرجيم، فقـال: وهل بي من جنون؟".

وأمـا الأفعـال فهـي جلـوس الغاضـب مـن قيامـه واضـطجاعه مـن جلوسـه إن لم يـذهب عنـه غيظـه وكـذا وضـوؤه فعـن أبي ذر ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: إذا غضـب أحـدكم وهـو قـائم فـليجلس، فـإن ذهـب عنـه الغـيظ، وإلا فليضـطجع" رواه أبـو داود وعـن عطيـة بـن عـروة السـعدي ﷺ، قـال: قـال رسـول الله ﷺ : إن الغضـب مـن الشـيطان وإن الشـيطان خلـق مـن النـار وإنمـا تطفـأ النـار بالمـاء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ".

9. الرِّفق.

ومـن توابـع الحِلـم الرفـق، أن الإنسـان يرفـق بمـن حولـه، لا يحطمهـم، يحسـب حسـاب تعـبهم، إذا كـان هـو رياضـيًا وسـيخرج في مسـيرة 50-60 كـم يحسـب حسـاب أن بعـض النـاس مـا زالـوا جُـددًا، ولا يسـتطيعون بعـد القيـام بهـذا الأمـر، لا تكـون مجـالًا لإظهـار عبقرياتـه وعجـز الآخـرين، فيرفـق بهـم كمـا أوضح الشيخ أبو مصعب.

قلت: ومن الأخطاء الفادحة أن يستعمل القائد للتدريب رجلًا لا يرحم، أو أبعد ما يكون عن صفة الرفق، فتجده يسرف في إرهاق الجنود واستنزاف طاقاتهم وقد وقعت قصة كهذه في أحد معسكرات التدريب حيث استغل القائد الجديد منصبه في إرغام الجنود الجدد على الركض لساعات طويلة ومن يتوقف كان يقسو عليه ويعزّره، حتى انهار الجنود وانهارت نفسياتهم وكان أن أصبح هذا المدرب مكروها منبوذا لدى الجنود، وانتهى به الأمر أن أعفي من منصبه.

والرفق أمر هام جدًا للقائد، ويعاقب الله –سبحانه وتعالى- عليه إذا تخلَّف، روى مسلم عن عائشة ﷺ أنها قالت: (سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به) ولاحظ أنه قال:"ولي شيئًا" ولم يُحدد، وليس بالضرورة الحكم، قد يكون تولى تدريبًا، قد يكون أمر الطعام، أو كنت قاضيًا أو كنت حاكمًا وصارت مصائر الناس بيدك فحمَّلتهم ما لا يطيقون.

وجاء الشيخ سعيد بشاهد آخر قال فيه: (من ولي منهم شيئًا فشقَّ عليهم فعليه بَهْلَة الله، قالوا: يا رسول الله وما بهلة الله؟ قال: لعنة الله)، نتيجة لأنه شقّ على الناس ولم يرفق بهم، ويكفي هذا الشاهد.

10. التثبُّت والأناة

ثم انتقل الشيخ سعيد إلى خلق مستقل، قال عنه الشيخ أبو مصعب: "ما أحوجنا إلى أن نكتب فيه مؤلفًا، ونعمل فيه منشورًا ونوزعه على كل أهل

أفغانستان وكل التنظيمات وكل القادة وكل الأعوان؛ وهذا الخلق هو التثبُّت والأناة".

وأوضح بقول: "الآن نحن ندفع ثمن غياب هذا الخلق عند عامة الناس، فما بالك إذا غاب عند القادة الكبار؟! لأن القائد إذا ما تثبَّت يستطيع أن يخسف بالآخرين، وإذا رمى إنسان بخلق معين ينقل عنه الناس، يقولون: "قال فلان أن فلان كذاب"، هو لم يتثبّت ولكن بقوله هذا أحرقه وأتلفه في الدنيا".

قلت: وقد بتنا ندفع ثمنه في ساحاتنا الجهادية اليوم، حين يخرج الكاذب بالفريّة ويأخذها الناس على محمل الجدّ ويسلمون لها دون تثبت ثم لا تسأل بعدها عن التهم وكيل المسبّات بل والتكفير والإخراج من ملة الدين في حين أن قاعدة التثبت كانت تكفي لتفادي هذه الورطة، ولا شك أن بعض الجماعات المبتدعة قد امتهنت هذا الأمر لضعف وازع الخشية وقاعدة التبين لدى الناس وأصبح من أسهل الأمور لمز الجماعة الفلانية وتجريم الأخرى وتكفير الثالثة وهلم جرا ولو أن أحدهم توقف واستبان لوجد أن أكثر القول افتراءات وكذب وبهتان، فما أحوجنا لهذه الصفة اليوم في ساحاتنا الجهادية.

قال ابن المقفَّع: "لا يدعنَّ السلطان التثبت عندما يعطي ويمنع، فإن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع بعد الكلام، فإذا كان ساكتًا ثم غيّر رأيه وقرر أن يتكلم فلن يخسر شيئًا، أما لو تعجّل فتكلم وأخطأ فالآن يحتاج أن يصلح ويعتذر ويرد الحقوق..، فهذا لقلة التثبت[51].

[51] أبو مصعب السوري في شرحه لدورة مهارات القيادة.

قال الشيخ سعيد: "وأنَّ العطيَّة بعد المنع أفضل من المنع بعد العطية، وأن الإقدام على العمل بعد التأني فيه أحسن من الإمساك فيه بعد الإقدام عليه".

وذكر فضائل خلق التثبت، وشواهد أخرى كان منها:

قال ابن المقفع: "كل الناس يحتاجون إلى التثبت وأحوجهم إليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث من الناس".

قال ابن الأزرق: "يتأكد التثبت في مواضع: أحدهما عند نقل ما يوجب المؤاخذة بتقدير صحته مخافة الندم على التعجل بها إذ تبين بطلانه، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. الثاني والثالث عند العطاء والمنع".

وقال ابن المقفع: "لا يدعن السلطان التثبت عندما يعطى ويمنع فإن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع بعد الكلام، وإن العطية بعد المنع أفضل من المنع بعد العطية، وإن الإقدام على العمل بعد التأني فيه أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه".

يقول الشيخ سعيد هنا: "وكم أهلك تركُ التَّثبُّت ناسًا، وكم خلَّف آلامًا، وكم أوقع بين الإخوة والأقارب، وبين الأمراء بعضهم ضد بعض، وبين الوزراء بعضهم ضد بعض، فلا تستقيم حياة ولا حكم ولا إمرة بدون هذا الخلق".

وهو من أساسيات الدين بحيث لو وقع إنسان في مشكلة بسبب غياب التثبت يُعاقب عليها شرعًا، ناهيك عن أن يكون عدم التثبت تسبَّب في سفك دم أو طلاق زوجة أو كارثة.

11. اللين

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159].

دلت هذه الآية على أن الأصل في علاقة الأمير مع من حوله اللين وأنه تستحيل سياسة الخلق من خلال الفظاظة والغلظة، وأن اللين يقتضي عفوًا واستغفارًا ومشاورة، وأن لين الأمير مع من حوله مظهر من مظاهر رحمة الله، وأن قوة الأمير على إخوانه وأصحابه ومن يخالطه أو على رعيته مظهر من مظاهر العذاب الإلاهي. ولذلك كان هذا الخلق أهميته الكبيرة في باب الإمرة.

ومعنى اللين قريب من معنى الرفق وهو من ثمرات حسن الخلق وقد وعد المتخلق به أن يحرمه الله على النار فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار، تحرم على كل هين لين سهل" رواه الترمذي. وقد جعل الطرطوشي هذا الوصف من الخصال التي بها نظام الملك والدول.

12. الوفاء بالعهد والوعد

من الخصال اللازمة للأمير الوفاء بالعهد والوعد، قال ابن الأزرق: "السلطان أحق الناس برعاية هذا الوفاء لترفُّع منصبه عن رذيلة ما يخل به، خصوصًا حين يقترن العهد بالإيمان".

وتظهر خطورة هذه الصفة في أن الشريعة جعلتها من صفات المنافق، قال الرسول ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر"، متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

قال أبو مصعب السوري: "طبعًا لا يخفى عليكم إذا أنت أمير ووعدت بشيء مثلًا: "سآتيكم في الساعة الثانية وأُخرجكم للتدريب"، وما أتيت، "سأعمل كذا.."، ولم تعمل، "سأفعل كذا، سنعمل عملية.."، ولا تحصل.. فبهذا تسقط مصداقية القائد والأمير عند أتباعه، بحيث يكون أحيانًا صادق فعلًا ولكن يظهر التكذيب في عيون الناس، لأنهم أخذوا على أنّ الرجل لا عهد عنده.

وسبحان الله تجد حساسية الفطرة البشرية عند الأطفال؛ الولد إذا وعدته أن تعطيه أمرًا بسيطًا جدًا وما أعطيته يحاسبك، "قلت لي أول البارحة أنك ستفعل كذا وكذا" وأنت نسيت نهائيًا!

ذاك اليوم انتبهت لابنتي الصغيرة وأني ارتكبت خطأ، قالت لي: أريد كذا، قلت لها: إن شاء الله، فقالت: "ما إن شاء الله، ستعطينا"، فلاحظت أنها ربطت بين (إن شاء الله) وأن هناك نكثًا في العهد، فأنت لا تقصد لكن سيُحاسبك الصغير والتابع على خُلُقك.

وحتى جاء قبل أيام واحد من الضيوف عندي ووعدهم بشيء، فرأيت ابنتي تقول لابني الصغير: "هذا مثل بابا"، يعني خلص غسلت يدها منها وقالت هذا مثل بابا يقول لي سأعمل ولا يعمل!

فأحيانا لكثرة المشاغل تغفل عن طفل صغير عمره سخيف، ولكنه ينتبه أنك وعدت وأخلفت، فتأخذ من هذا درسًا أنك حين تكون قائدًا سيُطالبك الأتباع بنفس الحساسية، خاصة عندما تكون أمورهم وشؤونهم متعلقة بوفاء الوعد، فأفضل شيء أن تقتصد في الوعود ولا تُطلق منها إلا ما أنت قادر عليه".

قال سعيد حوى: "قال النووي أجمع العلماء أن من وعد بما لا ينهي عنه فينبغي أن يوفي بوعده وجوبًا عند عمر بن عبد العزيز وجماعة، واستحبابًا عند الشافعي وأبي حنيفة والجمهور" وعلى هذا "من تركه فاته الفضل وارتكب كراهة شديدة ولكنه لا يأثم".

قال ابن العربي وعند المالكية إن ارتبط بسبب كقوله تزوج ولك كذا وجب وإلا فلا.

13. الصدق

وورد في شأن الكذب وعيد شديد بشكل مطلق وفي حق السلطان خاصة، ففي الصحيح عن سمرة بن جندب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : "رأيت الليلة رجلين أتياني قالا لي الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة".

وعن ابن عبد الحكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ويل للذي يحدث الحديث ليضحك به القوم، فيكذب، ويل له ويل له" رواه الترمذي.

وكما غلظ وعيد السلطان فقد غلظ الوعيد لمن يصدق السلطان الكاذب، فعن جابر بن عبد الله ﵁ أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: "أعاذك الله

من إمارة السفهاء" فقال: وما إمارة السفهاء؟ قال: "أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولايردون على حوضي، ومن لم يصدقهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون على حوضي" الحديث، رواه الإمام أحمد واللفظ له ولغير واحد، قال ابن العربي: وهو صحيح.

ومن شؤم الكذب هدايته إلى الفجور المؤدي إلى النار واسوداد القلب في الصحيح عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا.

وهناك حالات يجوز فيها الكذب فقد ثبت في الصحيح جواز الكذب للمصلحة في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها.

قال الغزالي : وفي معناه ما ارتبط به غرض صحيح له أو لغيره.

قال النووي ضابطًا لذلك: الكلام وسيلة إلى المقاصد والمحمود منها إن أمكن التوصل إليه بالصدق والكذب معا، حرم فيه الكذب وإن لم يكن إلا بالكذب فهو في حكم المقصود جوازًا ووجوبًا، نعم ينبغي الاحتراز منه، ما أمكن خشية التجاوز به عن حد الضرورة" انتهى ملخصًا.

قال ابن الأزرق ناقلًا: ومما هو في معنى المواضع الجائز في حق السلطان فيها الكذب ما يعرض منه للسلطان في استمالة العصاة إلى أن قال ما نصه:

"إن احتاج الملك إلى الكذب في مداهنة بعض المفسدين، لم يلحقه الوعيد، لأنه أحد المواضع التي استثني فيها جواز الكذب".

ومهما استطاع الإنسان أن يوري فعليه أن يفعل، قال النووي: "التورية والتعريض معناهما إطلاق لفظ ظاهر في معنى، والمراد به معنى آخر يتناوله اللفظ على خلاف الظاهر وهو خداع، فإن اقتضته مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب، أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض وإلا فهو مكروه، إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق فيحرم".

ومن الأدب الذي لا يصح أن يفارق الإنسان التثبّت في كل ما يرويه ويحكيه فذلك من مظاهر الصدق.

قلت: وأمام هذه الصفة أستقرأ معنيين، الأول الصدق في النية والطلب والبذل في سبيل الله، ثم الصدق في القول والحديث، وقد يقول قائل لا فرق بينهما ولكن هناك فرق بما تبين من خلال ما شاهدناه في الساحة الجهادية، فقد يكون المرء مخلصًا محبًا لعمله ولكنه يكذب مرات في أقواله. وقد نصادف بين الصفوف من يصطفيه الله سبحانه في موقف حسن خاتمة تقشعر له الأبدان ولكن في سيرته مواقف كذب عديدة، فصدق النية والطلب قد لا يقترن دوما بصدق اللسان بل في بعض الأحيان يكون الشخص صادقًا ولكنه يستعين بالكذب، لأجل تحقيق ما يعتقده حقًا.

والمطلوب أن يكون المرء صادقًا في كل أموره قولًا وفعلًا. ويزداد الإلحاح حين يكون المرء في منصب قيادة، ولاشك أنها صفة يستوجب وجودها في الأشخاص المنتخبين للقيادة.

14. كتم السر

وتعد هذه خصلة مصيرية لأي أمير أو قائد بل لسير العمل الجهادي عمومًا، والقائد الذي لا يعرف كتم الأسرار لا يمكنه أن يدير عملًا أو يقود جماعة، وقد علّق الشيخ أبو مصعب على هذه الصفة قائلا: "طالما أننا بصدد تنظيمات جهادية وبصدد تنظيمات عسكرية سرية، فهذا الباب يجب أن نقف معه وقفة طويلة –في غير هذا المقام– لأنه من أخطر الأمور".

وقال موضحًا: فقد جاء الشيخ سعيد حوى "وأعطاه ستة صفحات وهذا في كتاب صغير؛ لأن الشيخ سعيد حوّى كان حركيًا في تنظيم يعرف قيمة كتم السر ومصائب عدم كتم السر".

ومن الشواهد التي عرضها الشيخ سعيد عن كتمان السر: قال الطرطوشي: "هو من الخصال المحمودة في جميع الخَلْق، ومن اللوازم في حق الملوك، والفرائض الواجبة على الوزراء والجلساء والأتباع"..

"يعني إذا كنت أميرًا فمن الأفضل أن تكتم السر وهذا من لوازم الأخلاق، لكن إن كنت مستشار الأمير أو عضوًا في القيادة أو عضوًا في مجلس عسكري، ليس بيدك أن تختار كتم السر أو عدم كتم السر".

وسلط الشيخ أبو مصعب الضوء على حالة هامة ومألوفة في العمل الجهادي فقال: "وهناك طبيعة عجيبة في الإنسان وهي أنه يحب فرحة الناس ويحب أن ينقل الخبر، ويحب التحذير، ويحب أن يأتي بما لم يأتِ به الأوائل فيكون أول من جاء بهذا الخبر، وهذا أصبح من البلاءات الآن في الإشاعة، فتكون القضية متعلقة بسر عسكري أو بخطة فيُفشي الأمر ولا يكتمه! والآن سبحان الله أعجب أنا حين أجلس في مجلس فيقال: "فلان

وفـلان خرجـوا في عمليـة استشـهادية"، يعـني أنـت تـرى الوسـط وتـرى وجـود الجواسـيس، وهـذا رجـل خـرج وروحـه علـى كفّـه إذا قلـت اسمـه ثم نُقـل الخـبر وجـاءت الاسـتخبارات وعرفـت صـورته وأُمسـك الرجـل وقُتـل، فهـذا قـد يأتي ويطالبك بدمه يوم القيامة، فالأمر ليس لعبة!!".

وقِس على ذلك من البلاءات الحركية التي عندنا مما تقشعرّ له الأبدان.

قلـت: وفي الشـام ظهـرت ظـاهرة جديـدة دخيلـة علـى العمـل الجهـادي وهـي كشــف خطــط الهجمــات والغــزوات علــى مواقــع التواصــل الاجتمــاعي، وأضـحت تحركـات المجاهـدين مكشـوفة للعـوام والأعـداء، وأضـحى نشـر خطـط الجهـاد سـاحة تبـاهي وتفـاخر علـى القنـوات! وهـذه مـن أهـم أسـباب إجهـاض الهجمــات للأســف بــل إن مراكــز المراقبــة الغربيــة تتعمــد أن تســمح لهــذه القنـوات بالبقـاء لمتابعـة أي تطـورات تحـدث في صـفوف الجماعـات الجهاديـة والتصـدي لهـا، ومـا زاد الطـين بلـة سياسـة "نشـر الغسـيل" فكـل خـلاف ينشـر علـى المـلأ ولا يراعـى فيـه سـرية العمـل الجهـادي، ومـن التقـوى والعقـل أن تحفـظ الأطـراف في الخصـومة شـرف الخصـومة ومصـلحة الجهـاد، وأن تسـتذكر المشـهد علـى الأنترنـت بوجـود أجهـزة الاسـتخبارات والعمـلاء والأعـداء مـن كافـة الأشـكال والألـوان يكيـدون لأمـة الإسـلام ليـل نهـار، ولكنهـا للأسـف حظـوظ الانتصـار للـنفس الأمـارة بالسـوء وحسـبنا الله ونعـم الوكيـل. فتجـد المجاهـد يختلـف مـع جماعتـه وينشـق عنهـا، ثم يتحـول لنشـر كـل مـا كـان مـن أسـرار عمـل ومعلومـات مهمـة وأخـرى مصـطنعة لنصـرة نفسـه علـى مواقـع التواصـل بحجـة الصـدع بالحـق، وهـي كلمـة حـق أريـد بهـا باطـل بـل هـو يقـدم بـذلك خدمـة عمالـة مجانيـة لأعـداء الإسـلام والعيـاذ بالله. ولا يـؤمن علـى حـيّ فتنة. وفرق كبير بين النصيحة والفضيحة، وبين كلمة حق وكلمة غدر.

ومن الشواهد التي نقلها الشيخ سعيد حول كتمان السر، قول الغزالي: "لمستَوْدَع السرّ أنْ يُنكره وإن كان كذَّابًا، وليس الصدق واجبًا في كل مقام. وكما يجب للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره، فكذلك يجب أن يخفي عيوب أخيه المسلم وأسراره. قال: وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإنه بمنزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن".؛ ذلك لأن سرك عنده وسره عندك فصرتما كأنكما شخصية اعتبارية واحدة.

وقال ابن الأزرق: كما روي أنه قيل لبعضهم: "كيف تخفي السرّ؟ فقال: أَجْحَدُ المُخبِر وأحلف للمستخبر. فزاد الحلف للضرورة".

وطبعًا الأمر بحسب خطورة الموضوع وبحسب ما يترتب عليه من الأمور، وهكذا. وهذا أفتوا فيه أيام بني العباس حين كانوا الطالبون يسألون: أين فلان؟ فإن قيل في المكان الفلاني ذهبوا وقتلوه، وإن قيل: لا أعرف، قالوا له: احلف، فيحلف لأنه يُحصّن بذلك دمًا.

فقضية السر تتدرج من الخلق المحمود إلى اللزوم إلى الواجب إلى أن تصبح في حق المستشارين والأعوان وخاصة أعضاء الجماعات السرية؛ لأن تدمير هذا الخلق عندهم يسبب كارثة.

قلت: ويدخل في هذا حفظ القائد أسرار العمل عن زوجته وأهل بيته، وإلا فستسير أحاديث القيادة بين النساء وما أدراك ما مجالس النساء التي تزيد في الكلام وتنقص في البيان وتظهر معها الفتن والغيبة وإفشاء الأسرار.

ولا يقطع على الجاسوس الطريق مثل التزام قاعدة " المعلومة على قدر الحاجة" فيصبح الفضول المذموم أصعب مهمة للجاسوس بل أحد أسباب كشفه.

15. الحَزْم

تناول الشيخ سعيد حوى هذا الخلق المهم جدًا وأطال فيه وهو الحزم، وعدَّد مراتب كثيرة جدًا. فالحزم هو الجِدّية في سياسة الأمور، والإنسان الحازم هو الإنسان الذي يُنفِذ قراراته، الإنسان الذي أفكاره في رأسه واضحة، حزم أمره، نوى، عزم، قرَّر يُقدم على شيء، ليس متذبذبًا في فكره وفي قراراته. ويتفرّع عنه أخلاق كثيرة. وهذا من الملكات.

ومن الأشعار التي قالها العرب: "خُلِقَ الحزمُ أَبْكَمَا"؛ يعني أخرس، يعني من الصفات المميزة للإنسان الحازم كثرة الصمت، لأنه إذا فلتت منه الأمور يحتاج أن يرقِّعها واحدة وراء الأخرى، فلا يكون من الحزم.

ومما قيل في الحزم: رب رأي أنفع من مال، وحزم أوفى من رجال.

وتظهر أهمية الحزم حين تتعثر الأعمال ويتأفف الجنود وتنتشر الفوضى والخمول، فيحوّل القائد الحازم حالة الضعف هذه إلى حالة الانتاجية والنظام".

ولولا الحزم لما تمكن القائد من ضبط الصفوف وإتمام المهمات وإنجاز الأعمال، والحزم يستوجب قوة شخصية وقدرة على حسم القرارت والمواقف بجدية. وإلا فإن مصير العمل الجهادي ستعبث به تداعيات التسويف واللامسؤولية والفوضى.

16. الدَّهاء والتغافل

قال المرادي في الدهاء: هو اسم لوضع الأمور في مواضعها والكف عما لا نفع فيه انتظارًا لما فيه النفع.

وقال الجاحظ في التغافل: من أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في ملك، ولا يضع من عز فذلك يزيد من أبهته.

وقالت العرب: الشرف التغافل.

ومن أبرز ما قيل في هذه الصفة: ليس الغبي بسيد في قومه ولكن سيد قومه المتغابي.

قال ابن خلدون: قل ما تكون ملكة الرفق في المتيقظ الشديد الكيس وأكثر ما توجد في الغفل والمتغفل، وأقل ما في اليقظ أن يكلف الرعية فوق طاقتهم، لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعه على عواقب الأمور في مباديها فيهلكون لذلك، قال رسول الله ﷺ : سيروا بسير ضعفائكم" ولذلك يتأكد طلب التغافل في حق بعض الناس ولقد ذكروا من مظاهر التغافل عدم الاستقصاء فقالوا: ما استقصى كريم قط حقه ألم تسمع قوله تعالى: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾[52] ورأس التغافل عن خطأ الجاهل فمن شدد نفر ومن تراخى تألف".

وقال الشيخ أبو مصعب عن هذه الصفة: "الدهاء من الصفات اللازمة للقائد لأنه يعالج نفوسًا بشرية، ويعالج أعداء، ويعالج طامعين بالسلطة، ويعالج متسابقين على القيادة، فالدهاء له حد يكون مباحًا وحلالًا، ويتجاوز حدًا فيصبح مكرًا وخديعة، ويصبح في الصفات المذمومة.

[52] سورة التحريم الآية 3.

ذُكر أن دهاة العرب أربعة، وكلهم كان في صف معاوية بن أبي سفيان – رضي الله تعالى عنه–، معاوية كان من دهاة العرب، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، ولذلك موقفهم كان في غاية القوة".

وقيل الدهاء هو أن تُخرج نفسك من كل ورطة، أو هو المؤامرة المباحة.

ومما روي عن عمرو بن العاص أنه لما كان في فتوح الشام سمع بحصن من الحصون شديد جدًا وأراد أن يعرف أسراره وما استطاع الاستطلاع أن يذهب ويأتي بالأسرار، وكان حكيم الروم رجلًا مشهورًا اسمه (الأرطبون) هو الذي يمسك هذا الحصن، فذهب عمرو بن العاص إليه وقال له: "أنا رسول عمرو بن العاص وأريد أن أتفاوض معك"، فتفاوضا على الأمر وبدأ يمشي في المنطقة حتى كشف بعض أسرار الحصن، ثم شعر أن الأرطبون لمس منه دهاءً وذكاءً فطمع أن يقتله حتى لا يعود مثل هذا الرجل الذكي للمسلمين، فأحس بهذا الأمر. وطبعًا كله شعور، كله في العيون دون أن يتكلم أحد، هو يعمل شيئًا فرأى في عيون الآخر أنه بدأ يفكر، ففهم ماذا يفكر، فقرر هو أيضًا ماذا سيعمل، وهذا دهاة في بعضهم ليسوا ناسًا عاديين.

فقال للأرطبون: "على كل حال هذا الأمر نحن وصلنا به إلى أمر معيّن، ولكن عند عمرو بن العاص عشرة من المستشارين أنا أقلهم، فآتيك بهم ليفاوضوك فربما نصل لاتفاق أحسن من هذا". فأطمعه بقتل عشرة، فأفلت، فلما خرج أدرك الأرطبون بحكمته أن لا يفعل مثل هذا إلا عمرو بن العاص، فقال لهم: هذا عمرو فأدركوه، فخرجوا وراءه ولم يُدرِكوه. فلما بلغ الخبر عمر بن الخطاب قال: "رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب".

فهذا من الدهاء، والدهاء قمة من نتائج الذكاء، وإذا استُخدم في محرّم يسبب كوارث؛ لأنه بالدهاء تُخرب البيوت، وتُطلَّق الزوجات، ويُتآمر على الناس، ويُغتال القادة، وتنشقُّ التنظيمات، هذا كله بالدهاء. فإذا الدهاء اجتمع معه قلة الدين مصيبة!

وبعضهم يبيح لنفسه الإفساد في الأرض باسم الجهاد ويتبع منهج الغاية تبرر الوسيلة ويعتبره من الدهاء وهو في الوقع من الخيانة والغدر.

وعموما المقصود بكلمة الدهاء؛ هو رجاحة العقل والحكمة وحياكة المخططات والخروج من المآزق ونصب الكمائن والتفكير بصورة شمولية بعقل كبير.

17. التواضع ونفي الكِبر والغرور

ولا شك أنه من أهم الصفات التي على القائد التخلق بها، وقد أفرد لها الشيخ سعيد ستة صفحات، وجاءت أيضًا في كتاب كارتوا لأهميتها.

قال الغزالي في التواضع: "هو كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة، فطرف إفراطه تكبُّر، وطرف تفريطه خِسَّة ومهانة، والوسط المحمود هو التواضع".

قال الشيخ أبو مصعب: "فيمكن للإنسان أن يتواضع فيتذلَّل ويصل لمرحلة من المهانة، قرأت في بعض كتب المتصوّفة يريد أن يُعرّف نفسه، ففي سطرين أو ثلاثة من التعاريف، حتى قال: "الفقير، الحقير، الزبيب.."، حتى قال: "أفقر الورى وأحقر من ترى فلان الفلاني"!، فالشاهد في الموضوع هذا دخل في التفريط حتى وصل للخسة والمهانة والتذلل".

وتواضع الأمير يُجرّئ الرعية، يجعلهم لا ينفذّون أمره، فدخل في التذلل والمسكنة. تكبُّر الأمير يُنفّر الرعية ويجعلهم لا يحبون أن يجلسوا معه، فهذا من الأخلاق التي لها وسط وإفراط وتفريط كما ذكره الغزالي.

"وقد جعل الطرطوشي العُجب مع فرعه الكِبر من الأوصاف التي لا تدوم معها مملكة، ونُقل عن الأوزاعي: "يهلك السلطان بالإعجاب والاحتجاب".

وقيل: لا تدوم مملكة وسلطان وقيادة لرجل ضُرب بالعجب والكبر والغرور!

والشواهد هنا كثيرة والصفحات كثيرة، ومراتب العجب وآفات الغرور، يمكن الرجوع إليها عند الغزالي مُفصَّلة تفصيلًا رائعًا في كتابه الماتع "الإحياء".

وقال بعض الحكماء: "الذي يحدث للملوك التيه في أنفسهم والإعجاب بآرائهم كثرة ما يسمعونه من ثناء الناس عليهم ولو أنهم أنصفوهم لأبصروا الحق، ولم يخف عليهم شيء من أنفسهم".

وعلاج الكبر إنما يكون بمداراة أسبابه.

وهناك فارق بين الكبر والمهابة وبين الكبر والصيانة.

قال ابن قيم الجوزية: "والفرق بين الكبر والمهابة أن المهابة أثر امتلاء القلب بعظمة الرب ومحبته وإذا امتلأ بذلك حل فيه النور وألبس رداء الهيبة، فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة، فحنت إليه الأفئدة، وقرت به العيون، والكبر أثر العجب في قلب مملوء جهلا وظلماء نزل عليه المقت، فنظره شزر ومشيته تبختر، لا يبدأ بسلام ولا يرى لأحد حقا، ويرى حقه على غيره، فلا يزداد من الله إلا بعدًا، ولا من الناس إلا صغارًا أو بغضًا" انتهى ملخصًا.

وقال: "والفرق بينه وبين الصيانة أن الصائن لنفسه كلابس ثوب جديد نقي البياض يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ وأنواع الآثار، ومتى أصابه شيء من ذلك بادر إلى إزالته ومحو آثاره وكذا الصائن لقلبه ودينه، فذلك لا يتقرب من الناس ويحترس من غوائل مخالطتهم بما ظاهره التعزز مخافة أن يتأذى قلبه بما هو أعظم في الأثر من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي، والمتكبر وإن شابهه في العزة والتحرس، فقصده أن يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه، فقال: هذا لون وذاك لون". انتهى ملخصًا.

قال الشيخ عز الدين: "ليس من الكبر أن يعرف الإنسان ما فضله الله تعالى به على غيره، وإنما الكبر أن يحتقره ويعتقد أنه عند الله في الآخرة خير منه، مع جهله بما يؤول إليه أمرهما".

وفي الواقع لم يزد الكبر والغرور والعجب بالنفس صاحبه إلا وضاعة وسقوطًا ومهلكة، ولا يلبث أن يفتضح بين الناس وينبذه المجاهدون، لأنها صفة مبغضة ذميمة ولم توصل هذه الصفة صاحبها لمكانة محترمة مهما حاول التسلق بل مصيره السقوط، وعلى القيادة الجهادية أن تمنع صاحب الغرور والعجب بالنفس والكبر من الوصول لمراتب قيادية لأن مصير أعماله وأدائه هو الظلم، كما أنها صفة قد تظهر بعد حسن سيرة واختيار لمنصب القيادة، فإن كان كذلك فلابد من موعظة وتذكير لصاحبها حتى لا يغفل عن خطورتها وإن وصل الأمر لإقالته من منصب القيادة إن ثبت تأثيره السلبي على سير العمل وعلى الجنود تحت إمرته.

18. سلامة الصدر من الحقد والحسد

والأمير إذا كان حقودًا ظلم ودمّر، وإذا كان حسودًا ظلم وغمط، قال ابن الأزرق: "عد الحكمات الحسد من الخصال التي لا تغتفر من السلطان". وقال الطرطوشي: "لإنه إذا كان حسودًا لم يشرف أحدًا، وإذا ضاعت الأشراف هلكت الأتباع".

وإنما الحسد ثمرة الحقد.

وللحقود عند القدرة أحوال: أن يستوفي من غير زيادة ولا نقص وهو العدل، وأن يحسن إليه بالعفو والصلة، وهو الفضل، وأن يظلمه بما لا يستحقه وهو الجور.

قال الإمام الغزالي: "والأول درجة الصالحين، والثاني اختيار الصديقين والثالث اختيار الأراذل".

وأحد أبرز مساوئ الحقد في القيادة أنه يقود مشاعر القائد فيسيّره لأسوء القرارات للاستجابة لأحقاده فتعمى بصيرته ويعمى بصره عن اختيار أفضل القرارات. وتصبح ردوده محكومة بالانفعالات الناتجة عن الحسد وما يتعلق به من مساوئ الأخلاق.

19. الشكر

ليس هناك أجدر من الأمراء بالشكر لأنهم شاركوا غيرهم بنعم وزادوا عليهم نعمًا وهم معبر النعم إلى الكثير من عباد الله.

قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ: 13]

ومراتب الشكر بحسب متعلقه من الإنسان ثلاث:

القلب واللسان وسائر الجوارح.

قال: أفادتكم النعماء مني ثلاثة: يدي ولساني والضمير المحجبا.

فالأولى: باعتقاد أن لا نعمة إلا وبدايتها من الله تعالى. أين أيقن أنها من الله ومحل ذلك إنما هو القلب ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: 53].

والثانية: بترديد الثناء على الله تعالى والإكثار من حمده ويندرج فيه التحدث بنعمة لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، والثناء على الوسائط لحديث: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله".

والثالثة: يعمل الصالحات كلها بحسب الإمكان لقوله تعالى ﴿ اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: 13] وفي الحديث قام النبي ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له في ذلك قال: "أفلا أكون عبدًا شكورًا".

ومن الشكر التحدث بنعمة الله وقد يخالط ذلك الفخر وبعضه من الدنيا قال ابن قيم الجوزية: "الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها، أن المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات موهبها، ومحض جوده وإحسانه ثناء عليه وشكر ودعاء إليه ينشر نعمه، حتى لا يرجى سواه والفخر بها استطالة على الناس واستعباد لقلوبهم بالتعظيم لأجلها".

ومن أراد دوام النعمة فعليه بالشكر ومن أراد المزيد عليه بالشكر قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "وأجمعت حكماء العرب والعجم على قولهم: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود".

ويـدخل في هـذا المفهـوم شـكر الجنـود علـى حسـن الأداء لمهـامهم وأعمـالهم وتقـدير جهـودهم. وأيضـا ذكـر أهـل الفضـل ممـن لهـم يـد في نجـاح العمـل أو تميّزه ولا يغمط الباذلون حقهم.

20. مخالفة الهوى

قـال تعـالى: ﴿وَمَـا يَنْطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُـوحَى ﴾ [النجم : 3 – 4].

وهـذه مـن أصـعب الصـفات علـى القائـد حيـث عليـه أن يختـار الأفضـل وإن كـان علـى حسـاب هـواه، فقـد يكـون هـوى القائـد أن يسـتفيد مـن الغنـائم أو الأموال بالطريقة التي يريد بينما يستوجب منه أن يصرفها بضميره.

21. المُداراة

ومعنـاه أن يعـرف الإنسـان كيـف يُـداري الظـروف ولا يتَّخـذ مـا يُوجبـه المبـدأ وما يُوجبه العِزَّة والكرامة، لأنه يُداري وضعًا معيَّنًا استثنائيًا.

جـاء في الصـحيح عـن عائشـة –رضي الله عنها– قالـت: اسـتأذن رجـل علـى النـبي –صلى الله عليه وسلم– فقـال: (إيْـذَنُوا لـه بِـئْسَ أخـو العشـيرة). فلمّـا دخـل أَلانَ لـه القـول، فقالـت: يا رسـول الله، قلـت الـذي قلـت ثم أَلَنْـتَ لـه الكـلام؟ قـال: (يا عائشـة إن شرّ الناس، مَن وَدَعَهُ الناس اتِّقاءَ فُحشه). فداراه حتى لا يفجُر عليه.

وعـن أبي الـدرداء –رضي الله عنه– أنـه قـال: "إنا نُكشِّـر –يعـني نتبسّـم– في وجـوه أقـوام وقلوبنا تلعنهم". صحيح البخاري.

قال الشيخ أبو مصعب معلقًا على صفة المداراة في عرض الشيخ سعيد حوى: "جاء هنا بشواهد لابن القيم وغيره، ولكن أريد أن أقول لكم شواهد عملية في قضية المداراة، خذ الآن أمرًا بسيطًا جدًا هنا في أفغانستان، أتعبنا وأدخلنا في الكثير من المشاكل، ومن أيام الجهاد الأول ومن أيام الشيخ عبد الله عزام، وما حُلّ مع أن الشيخ أفرد له عشرات أو مئات الصفحات، والآن يسبب لنا المشاكل ويكاد يُهلكنا في هذا البلد، وهو مداراة الأفغان في مذهبهم الحنفي؛ مداراة المصلّين في طريقتهم في الصلاة. فلأن هذا الأمر غاب عن كثير من الإخوة تجد أنه ما عاد هناك مسؤولية، ورغم أنه أخذ الأحكام وأخذ أنه جائز.

في مرة من المرات سمعت من الشيخ أسامة نفسه يطلب من الناس أن لا يرفعوا الأيدي في الصلاة، وقال: "أريد أن أوجب عليكم أن لا ترفعوا الأيدي في الصلاة"، وذكر أثرًا عن ابن عبد البر وهو من أئمة المالكية، -والمالكية يُسبلون في الصلاة لا يعقدون الأيدي على بعض أئمتهم-، قال: "كنت إذا دخلتُ مسجد قوم يُسبلون أُسبل، وإذا دخلت مسجد قوم يعقدون أعقد، فالخلاف شر كله"، بدون أن يكون قد يترتَّب عليه شيء فقط من أجل عدم إشاعة الخلاف في المسجد، وربما أذهب خشوع بعض المصلين لأنهم يرون شيئًا غير طبيعي.

مراعاة الناس هي هذه المداراة، خاصة إذا كان يستطيع أن يؤذي، خاصة إذا كان جاهلًا، خاصة إذا كان فاحشًا أو صاحب سلطان يمكن أن يبطش.

فبعد أن أورد هذه القضية سمعت تهامس بعض الشباب قالوا: "لا نسمع للشيخ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"!!

فغـاب عـنهم عامـل المـداراة، ومـن أقـوال العـرب المشـهورة: "دارِهِـم مـا دُمْـتَ في دَارِهِــم"؛ فأنــت تــداري الإنســان لضــعف عقلــه، في الحــديث عــن الرســول – عليـه الصـلاة والسـلام-: (إنـك لـن تُحـدِّث قومًـا بمـا لا تبلغـه عقـولهم إلا كـان لبعضــهم فتنــة)، أو كمــا روي عنــه عليــه الصــلاة والســلام، فأنــت عليــك أن تداري الجاهل لأنك إذا حمَّلته فوق فهمه سيضجر".

وقـال: "أذكـر أنا مـن تجـاربي البسـيطة في القيـادة، أيام الجهـاد في سـوريا أردنا أن ننجـد حمـاة، فحشـدنا كـل الإمكانيـات الـتي عنـدنا، فحوّلـونا مـن مـدربين بسـطاء عـاديين في جهـاز عسـكري إلى قُـوَّاد، جـاءت الحشـود ولـيس هنـاك قــادة فأخــذوا يقســموننا، فــأنا خرجــت حصــتي أنــني أمــير 500 شــخص، عمـري عشـرون سـنة وبـدون خـبرة ومـا زلـت في التـدريب فوجـدت أمـامي خمســمائة واحــد أصــغرهم لم يبلــغ الحُلُــم وأكــبرهم شــائب في الســتينات مــن العمـر، أنا كنـت متـدربًا في الجهـاز العسـكري مـن قرابـة ثلاثـة سـنوات فـدخلت علـيهم بـنفس الطريقـة؛ أنـت ادخـل في هـذا الصـف، أنـت تعـال مـن هنـا... وكنا في ساحة مطار في بغداد.

فخـرج لي رجـل شـايب فقلـت لـه: ادخـل هنـا، فخـرج مـن الصـف ونسـفني بهدلـة أمـام باقـي الجمـوع حـوالي ألـف وخمسـمائة شـخص في سـاحة المطـار، فقـط لأنـني لم أعـرف كيـف أداريـه وأُقـدِّر الوضـع، أخـذت درسًـا في القيـادة مـن أعظـم الـدروس، فأخـذت أفكـر كيـف أتعامـل معـه؟ وهـو رجـل كبـير في الستين مــن العمــر، لم يــدرس شــيئًا في الحركــة، ومهــاجر للجهــاد جــزاه الله خــيرًا، واكتشـفت أنـه خـال لـبعض المجاهـدين المشـاهير عنـدنا في المدينـة، ويعتـبر أن عليـك أن تحترمـه وتقـدّره، فـلأني لم أُدارِه أخـذت الـثمن أمـام ألـف وخمسـمائة واحد.

لما رجعنا إلى المهجع أخذت أتفكَّر في هذه المصيبة التي حصلت، فسألت كم عدد هؤلاء الشباب؟ فقالوا ستة أو سبعة في كل المجموعة، فجمعتهم وأعطيت كل واحد مسدسًا، وكنا نوزع المسدسات فقط لقائد قطاع أو قائد جناح، والباقي سلاح كلاشنكوف. وصرت أناديهم في وقت العشاء ليجلسوا معي وأتكلم معهم؛ كيفك يا أبو فلان ويا أبو علان، فأشاعوا الاحترام في كل الباقين فيما بعد.

وهذه من الدروس التي أذكرها من تجربتي الشخصية، فإذا لم تدارِ جاهلًا أو فاحشًا أو قليل عقل أو صاحب سلطان تدفع أنت الثمن، وقد يكون الثمن دماءً ودمارًا للقضايا وارتحالًا عن بلد وإغلاق فرص لا يعلم بها إلا الله –سبحانه وتعالى–.

فما بالك إذا كنت أنت قائدًا، وقام أحدهم بفعل شيء، فيجب أن تُعرض وتتظاهر بأنك لم تره، لأنك لو أظهرت أنك رأيته ولم تعاقبه فهذا ضعف، فيتجاوزون عليك مرة أخرى.

فهذه أمور بعضها تكسبها بالعلم وبعضها هو مَلَكَة أصلًا، وأكثره بالخبرة من كثرة ما تمر بمشاكل ومصائب فتتعلم أن تداري الآخرين، فهو خلق لازم جدًا للقائد.

والعجيب لما تجد الإنسان يداري عن ضعف، لما تجد من يذهب إلى بلاد الكفار، وكثير من إخواننا يبدأ يداري الكافرين في عاداتهم وطعامهم وشرابهم؛ لأنهم قادرون عليه، هذه ليست مداراة بل هذا ضعف ومذلة ومهانة، ولكن يداريهم لأنهم ظاهرون عليه. وتدخل إلى بلادك فتجد الكفر والعهر والضلال فتداري، ثم تأتي في مكان أنت فيه في عزة ومنعة فلا تداري!

في ذاك اليوم أحد الإخوة من الجزيرة قال لي: ما المشكلة لو نحن ضربنا المؤسسات الصليبية هنا؟ ونُظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قلت له: أنت من أين؟ قال: من جدة، قلت له: الآن إذا ترجع إلى بلدك تنزل في المطار وأول ما تصل تجد أربعة صور للأوثان الأربعة؛ عبد العزيز وعبد الله وسلطان وسلمان، لماذا لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتأخذ العصا وتنزلهم؟ وهذا عند السلفيين وعند الوهابيين وعند الحنابلة هذا من فروض الدين، فلماذا لا تعملها وتداري؟!

الآن هنا تريد أن تظهر أنك بطل، فمداراة العاجز ليست مداراة، المداراة هي مداراة الحكيم، فهو قادر أن يعمل ولكنه دارى ولم يعمل".

22. عدم قبول السِّعاية والنميمة

قال الشيخ أبو مصعب: "عدم قبول السِّعاية والنميمة، هذا واجب في كل مسلم، الذي يقبل النميمة والسعاية مشارك فيها، والنميمة –كما تعرفون– ليست مثل الغيبة بل هي أفحش؛ الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره، النميمة هي نقل الكلام المكروه بين المتخاصمين، وهذا شائع جدًا من القواعد إلى الأمراء. حتى يتقرب من الأمير يأتي ويقول له: فلان لا يطيعك، فلان ليس مؤمنًا بالمنهج، فلان لا يفعل كذا على طريقتك...

فمن أهم أخلاق الأمراء أن لا يأخذ بهذه النميمة من ناحية، وأن يحتقر صاحبها من ناحية، ويحذر منه، ويعلم أنه من الذين يسعون في الأرض بالفساد، ويريد أن يصل لقلب الأمير بالمحرَّم. وهذا شائع جدًا عند الملوك،

وكلما ارتفع مستوى الإنسان في السلطان كلما كثر السُّعاة إليه، كلما كان يعطي إمارات وقيادات وأموالًا كثر السعاة إليه.

وهذا من البلاءات التي ضُرب بها العمل الإسلامي، وضُربت بها الصحوة الإسلامية، وللأسف غزت حتى بعض الأوساط الجهادية بحيث تجد أحيانًا أن المقرب من الأمير هو الذي يكون إمَّعة، وهو الذي يُفسد على الناس وينقل أخبارهم إلى السلطان وهكذا ليصبح محبوبًا.

فيجب على الأمير من تمام خُلُقه أن لا يقبل هذه السعاية والنميمة ويشك بصاحبها".

قلت: وعلى القيادة ألا تلتفت للسعاة بالنميمة وأن ينظر في حظوظ النفس والأحقاد والحسد التي تكون عادة الدافع الأول لصاحب هذه الصفات للوشاية والإفساد.

وأقول حتى وإن حاول النمام إسقاط شخص ما، وثبت على هذا الشخص التقصير، فلينظر في الواشي ودوافعه إن كانت سيئة أو مرضية، ويعالج الأمر بحكمة وتروي، وإن كانت من شخص تدفعه الغيرة لدين الله والغيرة على العمل الجهاي، فليتحرك القائد بما يستوجب التقويم.

23. المتابعة

فيجب على الأمير أن يتابع عمله ويباشر الأمور بنفسه.

قال الماوردي[53] يتكلم عن الأمير-: "ولا يُعوِّل على التفويض تشاغلًا بلذّة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال تعالى:﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ

[53] صاحب كتاب (الأحكام السُّلطانية) المعروف في السياسة الشرعية.

عَــنْ سَــبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:26]، قــال: فلــم يقتصــر تعــالى علــى التفــويض دون المباشرة، ولا عَذَر في التَّشاغل اكتفاءً بالاستنابة حتى قرنه بالضلالة".

فيجب أن يباشر هو مهمَّات حكمه.

قـال ابـن رضـوان: "ينبغـي للملـك أن يتفـرّغ للنظـر في أحـوال الـولاة وأعـوانهم وخـدّامهم حيثمـا كـانوا، والنظـر في أحـوال أقاصـي الـبلاد وأدانيهـا ومعرفـة مـا لـه مـن الجبـايات، ويتفـرّغ لسـماع الشـكوى ممّـن يشـتكي مـن ولاتـه، واختيـار مَـن يـولّي مكـان مَـن مـات منـه أو عُـزل، ويتفـرّغ لتجهيـز الجيـوش والكتائـب، وقـراءة كتب الأخبـار الـواردة عليه مـن كـل بلـد مما لا ينظـر فيـه غـيره، مـن فتـق ثغـر أو مـوت والٍ ومـا يوجـب عزلـه، وفي معـاناة خلـة أهـل بلـد تحـل بهـم جائحـة مـن جوع أو مرض، أو سيل أو عدو أو غير ذلك".

هــذا كلــه جعلــه مــن المباشــرة الــتي يجــب أن يشــرف الأمــير عليهــا بنفســه، صـحيح هـو لا يجـب أن يتـدخل في كـل شـاردة وواردة -وهـذا سـنعرض لـه في فنـون القيـادة-، ولكـن هنـاك حـد وسـط يقتضـي أن يـدبّر الأمـور ويشـرف عليهـا بنفسـه، فـإذا أعطـى اختصاصـات أو أعطـى تـوكيلًا فهـذا أمـر آخـر، عنـد ذلـك لا يتـدخل لأنـه أعطـاه بموجـب خطـة معينـة، ولكـن لا يعـني أن لا يتدخل أنه لا يشرف ولا يتابع.

ولقــد قــال عمــر -ﷺ-: "أرأيــتم إن اســتعملتُ علــيكم خــير مــن أعلــم ثم أمرتـه بالعـدل، أقضـيتُ مـا علـيَّ؟ قـالوا: نعـم. قـال: لا، حـتى أنظـر في عملـه أعمل بما أمرته أم لا؟.

هـذه المتابعـة، حـتى تابـع خالـدًا فسـمع أنـه يلـبس شـيئًا مـن الزركشـة في الحـرب ويضـع علـى رأسـه الأسـهم، فجـاءه مـرة وعلـى رأسـه أسـهم –رضـي الله تعـالى عنـه- افتخـارًا بالحـرب فكسَّـرها واحـدة واحـدة. وسمـع أن معاويـة جعـل بابًا

بينه وبين الناس –رضي الله تعالى عنه–، فأرسل الرسول وقال له: لا تكلمه وأحرق الباب وارجع، فذهب رسول عمر فأحرق الباب ورجع للمدينة.

واحد من أقربائه –وهذا الوحيد الذي ولَّاه عمر من أقربائه الأبعدين، وكان والي البحرين–، سمعه يقول بيت شعر يتغنى فيه بعض أشعار العرب في الخمر وكؤوس الخمر، فقال:

إذا كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِي ولا تَسْقِنِي بالأَصْغَرِ المُتَثَلِّمِ

لَعَلَّ أَمِيرَ المؤمنينَ يَسُوُؤهُ تَنَادُمُنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

يعني لا يرضى لنا أن نشرب الخمر في الكؤوس المتكسِّرة، كلام من الشعر، فدعاه فورًا، وقال: والله إنه ليسوؤني، قال: يا أمير المؤمنين والله ما شربت الخمر ولا ذقتها، قال: والله أعلم أنك صادق، لكن والله لا تلي لي عملًا. وما ولَّى بعدها أحدًا من أقربائه.

فالشاهد أن هذا كله من المتابعة.

وما من عمل يتابعه قائده إلا وأثمر نجاحًا وخيرًا وفي أسوء الأحوال كانت خسائره أقل.

24. بذل النصيحة وقبولها

وهذا دأب الأنبياء كما قال سعيد حوى، وهو القدوة العليا للأمراء، قال تعالى في حكاية نوح عليه السلام ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ

أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: 34] وقال عن شعيب عليه السلام ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79].

وعرف رسول الله ﷺ الدين بالنصحية لتبيان أهميتها في دين الله تعالى فقال: "الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

والأمير ينبغي أن يكون أحرص الناس على نصحية تقدم له وأن يكن أكثر الخلق نصحا لرعيته، ومن آداب النصيحة:

- إلقاؤها بالسر.
- التلطف في التعريف بالعيب الذي يعلمه المنصوح من نفسه وهو يضمره، وذلك بالتعريض مرة والتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش، قال الغزالي: فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاضطرار عليه فالسكوت أولى.
- اتقاء ضرر الناس فلا ينصح إلا بما ينفع.
- استعمال حسن المداراة مع بذل الوسع فيها فقد قالوا: استعمل مع فرط النصيحة ما يستعمله الحزمة مع حسن المداراة ولا يدخلك العجب من فضلك على أكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به.

وتأمل هذه القاعدة الذهبية: هناك نصيحة وهناك تأنيب وهناك غيبة وهناك سعاية وعلى الناصح أن يعرف الفارق بين هذه جميعًا فيتجنب التأنيب في النصيحة وليحذر أن يقع في غيبة محرمة أو أن يكون ساعيًا في الإفساد.

والفارق بين النصحية والتأنيب على ما قرره ابن الجوزي: "إن النصيحة إحسان صادر عن رحمة وشفقة، مراد به وجه الله تعالى في أذى المنصوح ولائمته بعد التلطف له، في إلقاء النصيحة، قال ومن الفرق بينهما أن الناصح لا يعادي إذا لم تقبل نصيحته لاقتناعه بوقوع أجره على الله تعالى مع الكفّ عن عيوب المنصوح والدعاء له بظهر الغيب والمؤنب بضد ذلك".

والفارق بين الغيبة التي تقتضيها النصيحة في الصورة وبين الغيبة المحرمة، أن القصد في الغيبة في الصورة تحذيرًا للمؤمنين عمومًا أو خصوصًا وأما تلك فقصد التفكه بتمزيق العرض بها فقط.

والفارق بين النصيحة والسعاية أن النصيحة يراد بها حفظ الإسلام والنظام في الله ولله والسعاية إيهام بالنصيحة في الظاهر وإفساد ذات البين في الباطن.

قلت: وليس من النصيحة الطعن في دين المرء وسبه وشتمه ثم يقال هذا من باب النصيحة، ولا ما نراه من تهكّم واستهزاء وسخرية ثم تغلف بغلاف النصيحة ولا ما يتستر به الحاقدون أو المرجفون بالمبالغة والافتراء والحكم بخاتمة السوء لمجرد تخمين ثم يقال إنا لكم ناصحون، ذلك أن الناصح مشفق يرجو الخير للمنصوح ويتمنى هدايته أما من ذكرنا فمفسدون هدفهم النكاية والأذى وتفريغ شحنات أحقادهم.

والخلاصة أن للنصيحة آداب وحيثيات ولها أساليب وأهداف وهي تخضع لقاعدة المفاسد والمصالح وتتأدب بآداب وأخلاق المسلمين، وشتان بين ناصح مشفق محب وبين ناصح مضمر للشر حاقد، والله لا يصلح عمل المفسدين.

وقد شاهدنا من يزعم النصيحة وهو يهدم الجماعة برمتها أو يتهم الحركة الجهادية بكل أفرادها بالإجرام والسقوط والخيانة، لا يراعي حق صادق أو مظلوم فيها، وهذا أيضا من باب المبالغة والكيل بمكيالين وفي أحيان كثيرة يكون هذا أعراض التطبيق لأجندات جماعات منافسة (خصم) أو لبرامج دوائر الاستخبارات التي تتربص بأهل الجهاد الدوائر بالتستر خلف ستار النصيحة (بل لأجل الفضيحة).

وكم من الفتن اشتعل فتيلها بحجة النصيحة! وكان مآلها إجرام وظلم سافر وتعدي لحدود الله فاضح وسفك لدماء المسلمين.

ومن المفارقات أن الكثير ممن يزعم النصيحة يكون هو نفسه غارق في الظلمات بل ومنهم من يزبد ويرعد لمجرد أن تصله نصيحة لشخصه! وهنا تظهر بوضوح مآرب الناصح الذي يرى القذى في عين المنصوح ولا يرى الجذع في عينه وهذا من تلبيس إبليس.

وتبقى قاعدة ثابتة هي أن الدين النصيحة، لكنها نصيحة في سبيل مرضاة لله سبحانه بنية صالحة وأسلوب تقيّ.

25. أحكام التدبير

قال ابن الأزرق: "لا خفاء أن التدبير قوام الملك وحافظ وجوده كما أنه من مالك الملوك سبحانه وتعالى الفعل الممتدح به في حفظ نظام العالم بأسره كقوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[54] وقوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[55] وقد ربط بعض الحكماء ثبات الرياسة به،

[54] (الرعد : 2)
[55](السجدة: 5)

وأحكامه يوجب عقلًا بقاء النعمة، ولذلك اشتد الطلب عليه في كل ما له صله بالخيرات.

وإذا كان التدبير بهذه المنزلة فتوهم الاستغناء عنه باطل والغر من الأمراء من ظن أنه غني عن التدبير حتى مع استقامة الأمور لأن على الأمير في مثل هذا الوقت توفير خراجه وانتخاب رجاله، وخدمة العدل والسنن المحمودة في بلدانه وتناول كل ما تشغله المشكلات عنه وتمنعه منه.

وإنما يعتد بالتدبير إذا صدر من ذوي التجارب العارفين بما تحسن منه العاقبة وترضى به الاستقامة التي لا انحراف فيها عن نهج الصواب فذلك لا عبره به من الأحداث وإن أوهم صلاحًا، فقد قالوا: "لا تعتمد تدبير الأحداث فليس يليق التدبير بهم، وإن حسن منهم في بعض الأوقات فإنه قبيح العاقبة وهو كوجود الشيء، بالحس يرى حسنا والعقل يبين بعد قبحه".

والتدبير يحتاج إلى مركزية فيه وتعاون بين القائمين على تنفيذه وتدقيق في شأنه فلا ينقلب على أهله. ومن التدبير الجيد أن يترك للمنفذين فرصة اقتناص الفرص وتلافي الأضرار وخاصة في الحرب فإن القيادات الميدانية ينبغي أن تكون طليقة اليد إلى حد كبير لتكون قادرة على المبادرة والمناورة وقد قال المهلب وهو من أقوى القادة في التاريخ الإسلامي "إن البلية أن يكون التدبير لمن يملكه دون من يباشره".

ومن أهم ما يلزم فيه إحكام التدبير عشرة أمور:

- **إحكام إقامة الشريعة**: هذه هي البداية والنهاية بالنسبة لكل أمير مسلم، وكل أمير يطالب من ذلك بقدر ولايته وبحسب استطاعته، أن يقيمها في نفسه وفيمن هم تحت رعايته ولا تقوم الشريعة

الإسلامية إلا إذا قام كل أمير بواجبه في شأنها وذلك نأخذه من الحديث الذي رويناه (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة). فعلى الأمراء أن يحكموا تدبير إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه علامة إقامة الشريعة عند الأمراء ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[56] فعليهم إحكام تدبير هذه الأمور الأربعة بحيث تبقى حية على كل مستوى وإحكام هذه الأمور يقتضي تعليما ومحاسبة وعقوبة.

- **تدبير أمر العصبية التي قدمت الأمير**: فمن قدمته جهة للإمرة فعليه أن يحكم أمر تدبير شؤونها ورعايتها وتعميق الصلات بينه وبينها وتقوية الروابط بينه وبين قادتها فمتى غفل الأمير عن ذلك فاته خير كثير وسمح للمتآمرين أن يتآمروا، وإن كثيرين من الناس يركبون على أكتاف الناس ليرتفعوا فإذا ارتفعوا ركلوهم بأقدامهم، ينطبق ذلك على قادة أحزاب وممثلي جماعات في وزارات ومجالس نيابية إلى غير ذلك أمثال هؤلاء لا يحصدون هم ومن قدمهم إلا الندامة في الحاضر والمستقبل.

قلت: ويدخل في مفهوم تدبير أمر العصبية التي قدمت الأمير، دعم وتوطيد العلاقات مع القبائل المجاهدة التي ينظم أبناؤها لقوافل المجاهدين بأعداد كبيرة، وهذه تستحق التكريم والعناية بشكل خاص لأنها تجود بالنفس والنفيس في سبيل أن تستمر عجلة الجهاد سائرة، وهذا لا يعني

---

[56] (الحج: 41)

تهميش بقية القبائل ولكن من حسن التدبير إيتاء كل ذي حق حقه من التوقير والإجلال والاحترام كتلبية طلباتهم وتوفير الخدمات لهم وحل مشاكلهم ومساعدتهم ماديًا ومعنويًا وتقديم التسهيلات لهم بما لا يخرج عن حد المعقول.

- **تدبير أمر الحرب والقتال:** ويدخل في ذلك إيجاد الجيوش وإحسان تدريبها وتسليحها وعدم الغفلة عنها ورصد تحركات الأعداء وتهيئة الخطط لكل احتمال والبحث دائما عن أنجع الوسائل لكسب الحرب والتفتيش عن آخر ما توصل إليه العالم في فن الإدارة أو في التعبئة أو في فن الحشد أو في فن القتال، وملاحظة الأبحاث العلمية التي لها علاقة في ذلك وتخصيص الأموال الكثيرة للبحث العلمي وإيجاد الملكات القيادية الراقية المستوى وإيجاد رجال استراتيجيين أو حركيين على أعلى مستوى في العالم وكل ذلك له صلة بأحكام مقدمات القتال، ويدخل في أحكام تدبير القتال وضعه في إطار سياسي لا يؤلب عليه أحدًا ويجعل خصمك في عزلة، فإذا اتخذ قرار القتال فلابد من إحكام التمويه وإحكام المكيدة والخدعة. ويدخل في هذه الحراسة الليلية والكمائن السرية ونصب عيون الجواسيس عند العدو وما يدخل في دائرة الرصد والاستطلاع ومراقبة تحركات العدو وحراسة ثغور المسلمين ليلًا ونهارًا. وقال الشيخ سعيد: والحرب النفسية أهم ما ينبغي ترتيبه وفي الحديث (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ومن أهم ما ينبغي إحكامه إقامة آداب القتال. قال صاحب

مصارع الأشواق[57]: فإن الله تعالى أمر المقاتلين فيها بخمسة أمور ما اجتمعت في فئة إلا نصرت وإن قلت وكثر عدوها، وهي: **الثبات وكثرة ذكر الله وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع الموجب للفشل والوهن** فإنهم إذا اجتمعوا كانوا كحزمة من السهام لا يستطاع كسرها جملة فإذا تفرقت سهل كسرها سهما سهما والصبر. وفي حديث وفد بني الحارث بن كعب: أن رسول الله ﷺ قال لهم: "بم كنتم تغلبوم من قاتلكم في الجاهلية؟" قالوا: لم نكن نغلب أحدًا، قال: "بلى كنتم تغلبون من قاتلكم"، قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: "صدقتم". ومن أحكام تدبير الحروب ما ذكره ابن الأزرق عن بعضهم: "إذا ابتليت بالحرب فأذك العيون بالنهار وبالغ في الحرس في الليل، وخندق إن كنت مقيما وحصن مضاربك وليكن جندك عليك حصنًا ولأنفسهم حرسًا واجعل الشمس أن تكون معك عند اللقاء والريح أن تكون معك وقت الهجوم، والماء والمرعى أن يكونا معك في مكان النزول، واخف آثارك عن عدوك واعمل في حين لقائه على إراحة الظهر والكراع، وتقفّ جهات العدو بمن تثق من رجالك، واحذر من الكمين أن يأتيك غفلة ومن رحلك أن يخالف إليه، وإن استطعت أن تخالف عدوك إلى رحله فافعل، وإذا هزمت قوما فتقف ثبتًا في محلتك وإذا غلبت فغمّ آثارك، واعلم أن الهزيمة محل العزيمة وأن الهارب لا يعرج على صاحب، وأن الفرار في وقته ظفر، وأن القتال في غير مكانه عناء".

---

[57] يقصد ابن النحاس رحمه الله

- **تدبير أمور المعيشة للناس**: وهذا شيء يعتبر عند الناس هو الميزان المحسوس فمن فشل في ذلك فلا يطمع باستقامة الناس على محبته ولا بطاعتهم له، وتدبير أمور المعيشة يترتبط به أمور كثيرة من أحكام أمر الصناعة والتجارة واستخراج المواد الخام وإحياء الأرض وتحريك رأس المال العام والخاص للأمة ورسم سياسة ضرائبية عادلة.

قلت: وفي الواقع الناس، هذا ما يدخل في مفهوم القاعدة الشعبية، وهي دعم الجماهير للمجاهدين والتي يكون من أسباب تحصيلها تقديم الخدمات للناس ورفع درجة وعيهم ومعالجة القضايا التي تعنيهم والخلافات التي تؤزم حياتهم.

- **أحكام التدابير الأمنية**: وهذه كذلك من أهم الأمور التي يحس بها كل فرد ولذلك يجب أن تعطى أولوية كبيرة في التدبير ويدخل في ذلك أمن الأمير وحكومته، وأمن الأمة جميعًا ويدخل في أحكام هذا الأمر موضوعات كثيرة: الحرس الخاص، الجيش، المخابرات، الشرطة، القضاء العادل، والعقوبات الرادعة المشروعة.
- **تدبير أمر المواطنين غير المسلمين**: فأمر هؤلاء مما لا ينبغي أن يغيب عن بال الأمير ويدخل في ذلك الوفاء بعهودهم ورعاية شؤونهم ورفع الظلم والأذى والحيف عنهم، والبحث عما يزعجهم ورفعه، فهؤلاء إن لم يستشعروا الرعاية وإن لم تضمن لهم حقوقهم سيكونون عونًا على الدولة وعينًا عليها، والعلاقة مع غير المسلمين تضبطها مواثيقنا وعهودنا معهم، وللأمير العادل خيارات واسعة في التعاقد معهم على حسب قوة المسلمين أو ضعفهم وعلى حسب المصلحة

ولا ينقض عهدهم إلا إذا خرجوا على الأمير أو نبذوا العهد أو قتلوا أو ظاهروا عدوًا، فإذا وفوا بعهودهم ولم يأتوا بناقض فلنا برهم وعلينا واجب العدل والدفاع عنهم.

- **تدبير أمر المعارضين والناقمين والناقدين**: إن الأمير لا يصح أن يغفل عن الأصوات الشاذّة والآراء المعارضة والاندفاعات الخطرة والأصوات القلقة، بل عليه أن يعالج ذلك أولًا بأول، فمن كان نقده بحق يجب أن يزال ومن كان يريد الشهرة ينبغي أن يعالج أمره ومن كان داعية بدعة ينبغي تأديبه، ومن كان يريد الخروج على النظام إن كان ذلك لظلم من النظام ينبغي إزالة الظلم وإلا فينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة وهذا باب واسع، وإذا عجز أمير عن معالجة أمور هؤلاء سواء بتأليف القلوب أو بغيره فهو على غيره أعجز وهل السياسة إلا إحكام التعامل مع الناس كل الناس فضلًا عن هؤلاء.
- **إحكام أمر العقوبات وإنزالها بمستحقيها**: وجعلها بالقدر الذي يحتاجه التأديب دون تجاوز ذلك إلى الظلم وعدم التساهل بما هو حد أو قصاص. وقد أعطت الشريعة للأمير خيارات كبيرة في التعزير عن الفسوق والعصيان والمعاصي كما ألزمته بإقامة الحدود والقصاص، وتعريف التعزير الذي جعلت الخيارات فيه كثيرة للأمير هو: تأديب استصلاح وزجر على ذنوب لم يشرع فيها حد ولا كفارة.

قال ابن القيم: "اتفق العلماء في أن التعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد بحسب الجناية في العظم والصغر، وحسب الجاني في الشر وعدمه".

وقال ابن الأزرق: "من السياسة في العقوبة السلطانية أن تعجل تارة وتؤجل أخرى، لما في ذلك من الفائدة المقصودة الحصول"، قال بعضهم: ليكن عقابك معجلًا ومؤجلًا حتى يظن السالم منه أنه سياسة فلا ينبسط إلى العدوة إلى مثل فعله لخوفه من عقوبته.

والتعفف عن الدماء مطلوب من وجهين أحدهما شرعي وهو ما يدل على تحريم الهجوم عليها إلا بحقها كقوله ﷺ في الصحيحين من رواية ابن مسعود ﷺ (أول ما يقضى يوم القيامة بين الناس في الدماء) الثاني سياسي.

وتستحب الشفاعة فيما سوى الحدود إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق مالم يكن في حد وأمر لا يجوز تركه ودلائله ظاهرة من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة لقوله تعالى ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وكانَ اللهُ على كُلِ شيء مقيتًا﴾ [النساء: 85].

- **ومما ينبغي إحكام تدبيره النوازل العامة أو الخاصة**: فالأمير ينبغي أن يكون أكثر الناس إسراعًا إلى الإنقاذ والمواساة، ومن ثم فعليه ترتيب الإداريات والأجهزة اللازمة لذلك. ويدخل في ذلك معالجة أمور القحط وأمور الزلازل والطوفان والحريق والأمراض السارية والمصائب والفجائع. إن على الأمير أن يحس به كل فرد أنه معه وبجانبه ويدخل في قيام الأمير بواجبه هذا على المستوى الخارجي بحيث يواسي ويرعى ويبادر فلا يسبق.
- **إحكام أمر الرسائل والرسل إرسالًا واستقبالًا**: فرسولك عنوانك ورسالتك نائبك، واستقبالك للرسول وحسن التعامل معه سفيرك إلى

من أرسله والإحسان في رد الجواب أدب الوقت الذي لا يجوز تضييعه.

26. العناية بمن حوله وتخصيص أصناف بعناية خاصة

وهذه من أبرز أخلاق الأمير وأدخلها في أخلاق الإمرة ويدخل في ذلك:

6. العناية بآل بيت الرسول ﷺ.
7. العناية بعلماء الشريعة.
8. رعاية الصالحين برؤيتهم ومبرتهم وسماع نصحهم وقبول شفاعتهم.
9. رعاية أهل الوفاء ومن رعايتهم وفاء.
10. رعاية وجوه الناس وكبراء القبائل.

27. مكافأة ذوي السوابق

وهذه من أوجب أخلاق الأمير، قال ابن المقفع: "ليعلم الملك أن الناس يصفون الملوك بسوء العهد فليتدبر بعض قولهم وليكذب عن نفسه وعنهم صفات السوء التي يوصفون بها".

وقيل للاسكندر: بم نلت ما نلت؟ قال: باستمالة الأعداء، والإحسان إلى الأصدقاء.

وقيل له: أي شيء نلته في ملكك، كنت به أشد سرورًا من غيره؟ قال القوة على المكافأة من أحسن إلي.

وإن من أكره أخلاق الأمراء من يحقد على من له سابقة أو له عليه فضل فهذا النوع من الأمراء بهم خراب الدنيا والدين.

28. حسن الترتيب والهندام

حسن الترتيب والهندام علامة على سلامة الذوق وحب النظام وذلك مظهران حسيان يظهران لكل راء وجليس وزائر، ولذلك فلابد للأمير منهما، وهذا يقتضي من الأمير أمورًا كثيرة وهي نفسها تستدعي أمورًا أخرى ولا يظهر حسن الترتيب في شيء كظهوره في مجلس الأمير وفي ترتيب أوقاته بحيث يسعه القيام بجميع أعبائه من صلة بالناس ومعرفة لقضاياهم إلى سياستهم. فههنا جملة أمر:

- تجمل الأمير، فالهيئة الدنية أو الرثة تسقط هيبة الأمير من أعين العامة.
- تنظيم مجلس الأمير وعاداته. وما يطالب به الأمير في مجلسه ضربان: أحدهما ما يحسن به فعله كالتجمل والوقار والصمت والانقباض بمحضر العامة وحسن الجلوس والضحك تبسمًا وتخير الحديث والإصغاء إلى الكلام الحسن من غير إظهار تعجب مفرط، الثاني: ما يجمل به تركه كتشبيك الأصابع وإدخالها في الأنف، ووضع اليد على اللحية والضحك والالتفات ومد الرجل أو رفعها في وجه المخاطب، وكثرة القيام والقعود، والتحول من الحالة التي جلس عليها واللهب بالخاتم وتخليل الأسنان والإشارة باليد، وكثرة البصاق، والتمطي والتثاؤب، والانبساط الدال على الفرح والانقباض الدال على الحزن لئلا يستدل بذلك على ما في نفسه.

وعلى الأمير ألا يتساهل في الأدب وخاصة في مجالسه ومع خلطائه ومن آداب المجالس السلطانية:

. السلام على الأمير عند الوصول بتحية الإسلام.

. جلوس الداخل حيث تقتضيه مرتبته أو حيث يضعه الأمير.

. عدم الدنو منه إلا إذا أدناه.

. أن يثني على الأمير بما يستجيش عواطف الثأر لله وعواطف الخير والإحسان وهذا أدب رفيع وصراط مستقيم لا يحسنه كل أحد.

. التهنئة بالمحبوب والتعزية بالمكروه.

. من المندوب عند القيام من المجلس الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في الذكر الذي يقوله عند قيامه من مجلسه، ففي الترمذي عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك. وفي الحلية عن علي ﵁: "من أحب أن يكتاب بالمكيال الأوفى، فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".

. ترتيب أمر الظهور والاحتجاب، وللأمير أوقات للعمل والظهور، وقال ابن حزم: "ويمنع أهل الفضول من الوصول إليه وملازمة داره ومجلسه لئلا يشتغل بمجالسة من لا يجدي نفعًا في دينه ولا دنياه وليغلق الباب دون ذلك جملة، فلا يطمع أحد في الوصول إليه لغير معني".

ت. صفات القائد الواردة في كتاب "لمحات في فن القيادة":

عرض كتاب كورتوا "لمحات في فن القيادة" مجموعة من الصفات التي خلصت التجارب والخبرات إلى ضرورة توفرها في أي قائد أو رئيس، وكان فيها عدد من الصفات المشتركة مع كتاب الشيخ سعيد حوى، سنذكر التي لم تتكرر كالتالي.

1. الهدوء وضبط النفس

فعلى القائد أن يقود نفسه أولا، يحسن السيطرة عليها قبل غيرها، أن يكون هادئًا متزنًا، ليأمنه من حوله، يحسن الردود والتفاعل أمام مرؤوسيه، قد تعود على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية. لا يعرف الخوف، يتقن إخفاءه حين يشعر به فيعكس مشهد صلابة في أنظار مرؤوسيه. يتجنب أي رد عصبي ويستقبل المتاعب بروح مرحة. يتقبل المخاطر بصبر ويتقن فن طمأنة مرؤوسيه. ويتجنب أن يقعوا في الهلع لأنه من أكبر الأخطار في الحروب.

كتب أحد القادة الذين حضروا معركة "فردان" وهو ينتظر المعلومات والأخبار عن الهجوم في مقر قيادته: "إن القلق يفترسني والضيق يقتلني. ولكن علي إن أردت أن أحافظ على مركزي وواجبي أن أبعثة الثقة في الآخرين، بأن أقدم لنظراتهم القلقة المحيطة بي قناعًا هادئًا وأن أحافظ على إشاراتي عادية وصوتي هادئًا وأوامري واضحة وهذا لعمري أصعب تجربة تمر برئيس".

تبدد نظرة القائد الهادئة العميقة شعور القلق لدى المشاغبين ومثيري المشاكل من المرؤوسين.

وتبقى الدعاة أبعث للثقة من النظرات المحمومة والتصرفات الهوجاء.

والصحة والقدرة على العمل من الصفات الأساسية لكل قائد. وليس كبر مهمة القيادة منهكًا بقدر استمرارها.

والاستراحة فن يجب أن يتقنه القائد وإلا وقع في الانهاك وفقد السيطرة على تصرفاته.

ولقد قال جنكيز خان[58]: "الرئيس الذي لا يتعب غير أهل للقيادة".

القادة الناجحون يحبون الانعزال للتأمل والتفكر وهذا ما أسماه غاليبيني "حمام الدماغ".

على القائد أن يغذي نفسه ثقافيًا وروحيًا، يقرأ ويفكر، يناقش الأمور الاجتماعية والعلمية باستمرار.

وينمي في نفسه موهبة الإبداع، فيتخيل المعضلات والتجارب الجديدة ويسعى لحلها، ويتمرن على الفراسة .. من خلال التعامل مع جنوده يتعلم من تجاربه وأخطائه. عليه أن يكون مرنًا في أحكامه بشأن رجاله.

---

[58] جنكيز خان وهو تيموجين (1162 – 1228 م) وهو وارث الزعامة المغولية لم يبلغ حين استلامه الزعامة بعد الثالثة عشر من العمر، ولد جنكيز خان في أسرة ذات نفوذ بمنطقة وسط منغوليا الواقعة على امتداد نهر أونون، في عام 1167 أو في عام 1155 وفقا للروايات التاريخية المختلفة، اختارت له أسرته اسم تيموجين ، وكان والده هو الذي انتقى هذا الإسم تكريما لعدو من التتار كان له احتراما خاصا. وكان جنكيز خان فلاحا أميا، أسر على يد إحدى القبائل المنافسة لقبيلته ولمنع هربه وضع طوق خشبي حول رقبته، كان لهذا الحادث الأثر الأكبير في تمرده ليصبح أقوى رجل في العالم. بعد هربه من آسريه انحصر همه في توحيد المغول لتصبح القوة الأولى في العالم. استطاع جمع شمل القبائل المغولية بالسياسة حينا وبالحرب أحيانا أخرى، وفي العام 1206 حقق طموحه الكبير فأضحى أمبراطور العالم وسمي جنكيز خان أي السيد المطلق.... ودامت الامبراطورية التي كونها جنكيز خان لأكثر من 150 عاما عقب موته بفضل القيادة المقتدرة من قبل أبنائه وأحفاده.(موسوعة مشاهير العالم، الجزء الثالث القادة العسكريين والسياسيين، طبعة دار الصداقة العربية ، بيروت. صفحة18 وصحفة 22) وقد سطر جانكيز وقادته وورثته مجازر يعجز الحبر عن وصف بشاعتها وقبحها في العالم الإسلامي وتصدى لجبروته فرسان الإسلام في عهد المماليك، حيث هزم جيش هولاكو بقيادة كتبغا الهزيمة الكبرى أمام المظفر قطز في شهر رمضان من عام 658 هجرية، في معركة عين جالوت، وأكمل المشوار من بعده القائد الظاهر بيبرس فمحي اسم دولته التتارية من البلاد الإسلامية.

لا يتحدث بدون جدوى، يحفظ السر، لا يثرثر بمشاريعه الخاصة أو بحالته النفسية. يقول ريشيليو: "السر روح الأعمال".

وقد لوحظ أن مردود الأشخاص يبلغ ذروته حين يعملون كثيرًا وبصمت.

فضلا عن أن الثرثرة تفقد الاحترام أحيانًا والثقة دائمًا.

على القائد إن رام الهدوء ألا يغرق نفسه بالمتاعب والمشاغل.

لا يثني عزمه أو يوقف عمله مخالفة من شخص أو انتقاد من أحدهم. بل يعتبر هذا الشخص عنصرًا جديدًا من العناصر المعضلة التي يجب حلها.

لا يفتح الباب للتوتر العصبي وفقدان الصبر من خلال تكرار "أنني غارق في المتعاب" لأن تكرارها يعني الاعتقاد بصحة ما يقوله.

على القائد أن يخط جدول أولويات لأعماله وتقسيم وقته ونظام حياته يحسب فيه حساب الإرهاق.

يقول المربي الأمريكي هوشس: "الصبر أكبر ضمانة لحفظ النظام".

قال أحد شعراء الهند القدماء: "أخضع نفسك لتستطيع إخضاع الآخرين فإن لم تفعل ذلك تعذر عليك أن تنقل أفكارك إليهم".

القائد العصبي سريع الانفعال لا يمكنه أن يؤدي مهمته.

لا يجب أن ينفعل القائد حتى وإن واجهته عقبات غير متوقعة. بل يتماسك حين يقنط الجميع أو تفتر همتهم فهو شعلة الحماسة.

وهذه نصيحة يعطيها قائد ابتلي بالحياة وجربها يحدثنا عما يجب عمله عند الوقوع في مأزق خطر، لا تقل لمرؤوسيك لتشجعهم: "هذا أمر بسيط أيها الجبناء، ولا تبالغ صارخًا، لقد ضاع كل شيئ فلينج من استطاع النجاة". ولكن قل لهم : "الحالة خطرة وتتطلب جهودكم جميعا كونوا هادئين وثقوا بحزمي كما أثق بإخلاصكم".

2. معرفة الرجال

وهذه الصفة تدخل في حجم التجربة والعقل اللذان يتميز بهما القائد.

يقول كورتوا: تعد القيادة فنًا صعبًا لارتباطها بالطبيعة البشرية وبالمزايا غير المتشابهة لدى المرؤوسين ولغموض القوانين النفسية التي تستند إليها حتى الآن.

يقول أحد رجال الأعمال الناجحين مجيبًا عن سؤال أصدقائه عن سر تفوقه الباهر: "لم أكن أعرف الآلات كما يجب ولكنني كنت أعرف الرجال".

إن أهمية معرفة رجاله تعادل أهمية إتقانه لمهمته.

يتطلب عمل القائد تفهم الرجال وهذا لا يتسنى إلا بالاحتكاك المباشر الذي يرافقه انسجام متبادل بين القائد ومرؤوسيه.

قاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب تسمح بتقييم الإمكانيات الحقيقة للرجال، فمن عمل عملًا يعادل إمكاناته سيبدو ذكيًا ومنتجًا، ومن عمل عملًا لا يلائمه بدا طائشًا قليل الخبرة.

لا يقرر القائد بسرعة أن فلانًا لا يصلح لشيء ففي كل شخص قدرة كامنة منتجة إن أحسن استغلالها وتمهل في القرار.

والكائن البشري بحاجة إلى الشعور بأنه معروف ومفهوم ومحترم حتى يستطيع بذل نفسه في سبيل مهمته. وأما المعاملة دون تفهم فتخلق مركبات نقص تدفع العمال إلى الإهمال والتمرد والحقد.

على القائد أن يحسن مناداة كل فرد باسمه وألا يخلط بين الأسماء.

ولا يمكن للقائد أن يسيطر على مرؤوسيه بشكل جيد إلا إذا خمّن حاجاتهم وميزاتهم وأذواقهم وشخصياتهم وأفكارهم وردود فعلهم، فمعرفة طبع المرء لا تكفي إن لم تخمّن ما يدور برأسه.

لابـد أن يكـون القائـد محـط ثقـة مرؤوسـيه، وحـين يفـتش المهمـوم عـن شـخص يبثـه آلامـه فسـيجد هـذا القائـد المنطقـي الشـخص الأنسـب ليشـتكي إليـه ويحصل على النصح والعون منه وإلا توجه لشخص جاهل أو غير مسؤول.

ويـدخل في هـذا أن يحتـك القائـد بمرؤوسـيه ويتعـرف عـن كثـب علـى تصـرفاتهم على حقيقتها وهي طريقة مثلى لتشجيعهم على البوح بأسرارهم وآلامهم.

وأحيـاناً كثيرا لا يتطلـب الأمـر مـن المشـتكي أكثـر مـن إيجـاد شـخص يسـمع لـه وليس بالضرورة أن يحل لهم مشاكله.

تقاس قيمة الخطيئة حسب ميزات مرتكبها والظروف المحيطة به.

3. الإيمان بالمهمة:

علـى القائـد أن يـؤمن بهدفـه وإلا فلـن يكـون أهـلا للقيـادة، وعليـه أيضـا أن ينقـل هـذا الإيمـان للآخـرين، بإفهـامهم مسـؤولياتهم وبعـث الشـجاعة فـيهم وترسيخ المثل العليا التي تدفعهم للعمل.

تبقـى القـوة المعنويـة أحـد أهـم مكـونات القـوة في الجـيش فهـي الـتي تحييـه وتنعشه، ولابد أن تكون هذه القوة محط اهتمام القائد باستمرار.

لا يمكن لفاتر همة أن ينتصر، ولا لمتشائم أن يحقق ذلك.

علـى القائـد أن يبتعـد عـن الأقـوال المثطبـة للهمـم، فهنالـك دائمـا مـا يمكـن عمله وكل عمل مفيد.

لـيس هنـاك مهمـة تافهـة أو شـخص يـدعو إلى السـخرية، وإنمـا التفاهـة كامنـة في إهمال العمل وليس في العمل نفسه.

تأتي سلطة القائد الناجح من عظمة الغاية التي يخدمها.

إن ذكـاء عـاديًا مسـتخدمًا بحمـاس لأجـدر بكثـير مـن ذكـاء نادر مسـتخدم ببرود.

لا يكـون القائـد ممـن إذا رأى نصـف القـارورة مملـوءة اشـتكى مـن أن نصـفها الآخر فارغ.

حين لا يكون المرء راضيًا عن نفسه يظهر سخطه على الآخرين.

يقـدم الأشـخاص المشـمئزون أعمـالا باردة، والمهملـون انتاجًـا باهتًـا، والمتشائمون هياكل ميتة.

هناك حكمة من كل حادثة، ولكل حادثة وجهان: جميل وقبيح.

علـى القائـد أن يثـق بنفسـه ثقـة معقولـة مشـوبة بالتواضـع والشـعور بالمسـؤولية والواقـع لا زهـوًا ولا مبالغـة بتقـدير إمكاناتـه ومواهبـه. ولا يعـني التواضـع القـول: لـيس لـدي إمكـانات أو لا يمكـني أن أعمـل شـيئًا ولكـن القـول: أن لـدي بعـض الإماكـانات الـتي لا يحـق لي أن أفـاخر بهـا أو أن أسـتغلها لنفسـي، وعلي أن أنميها وأصقلها وأستعملها لخدمة الآخرين.

4. الشعور بالسلطة

السـلطة أمانـة في عنـق القائـد، ولـيس مـن حقـه تبـذيرها، وهـي قـوة مسـتمدة من السلطة العليا فلا يجوز أن نجعلها مكروهة محتقرة.

حـين يفقـد القائـد احـترام مرؤوسـيه فقـد حقـه في المركـز الـذي يشـغله والمحـترم هو من كان مقدرًا في البيت والمجتمع والعمل.

يبحـث الرجـال عـن قائـد قـوي صـارم متأكـد مـن نفسـه، يسـتطيعون الاعتمـاد عليه عند الشدائد وليس عن قائد بشوش بإرادة ضعيفة.

أسوء أعمال التمرد تنجم عن فقدان هيبة القائد وسلطته.

يقود القائد رجاله كرب الأسرة الذي يدفعه حبه لأولاده إلى الصرامة في توجيههم.

على القائد أن يتلمس حاجات رجاله وأن يداوي عللهم قبل الشكوى، يندمج معهم في الخندق كما في المعمل.

يقول اندريه موروا: "على الرئيس إن أراد أن يكون محبوبًا محترمًا أن يحب مرؤوسيه ويحترمهم، ويتقن مهمته أكثر من أي فرد منهم، ويتقبل الرجال القيادة الحازمة الشديدة شريطة أن تكون حكيمة".

القائد هو من استطاع فرض السلطة وتحمل مسؤولياتها، ولايتطلب ذلك رتبًا مذهبة وشهادات وألقابًا علمية، بل يتطلب شخصية قوية جذابة ومهابة، وتوقع الأمور قبل وقوعها.

تقبل النصح ليس ضعفًا ولا فقدانًا للسلطة، والقائد الناجح من كان مرنًا لدرجة يتقبل فيها المشورة، وواثقًا من نفسه لدرجة يتخذ فيها القرار وحده.

يدرس القائد ويتعلم من مرؤوسيه الذين هم أكثر منه احتكاكًا مع متاعب المهنة العملية.

يستمع القائد لآراء مرؤوسيه دون أن يكون تابعًا بفكره لأحد، يتبادل الأفكار مع الآخرين لكن لا يسمح لهم بمشاركته مسؤولية أخذ القرار.

كان نابليون يستمع إلى الجميع بكل تبسط ويثير لديهم الرغبة في إبداء الرأي وترديد الذكريات ثم يعود إلى نفسه ليقرر ويتحمل مسؤولية قراره.

أسوأ علة يصاب بها شخص مسؤول هي الخشية من التحدث أو التصرف كقائد.

إذا تناسى القائد مركزه ووضعه تناساه مرؤوسوه.

الطاعة لا تستجدى استجداء، والقائد يأمر دون تكبر، ويملي إرادته دون تفاخر، فنقص السلطة يسيء إلى المجموعة أكثر من المبالغة فيها.

تردد القائد في أخذ القرار واحترام السلطة لفرط الدماثة أو لخوف من المسؤولية، يهيأ الجو الملائم للفوضى العاجلة، وسيكون ومرؤوسيه أول ضحاياها.

5. البداهة والمبادرة وأخذ القرار

قرروا أيها السادة يا من اختارتكم الأمة لقيادتها ولاتدعوا الأوراق ساكنة في أدراجكم، فللناس عليكم حقوق أنتم خدامها، إن قرارًا حازما غير كامل ومتبوعًا بتنفيذ جيد، لأفضل من الانتظار الطويل لقرار مثالي متأخر.

البداهة والشجاعة في تحمل المسؤوليات صفتان لازمتان لكل قائد ناجح.

يقول الماريشال فوش[59]: "لا تقل عن المرء أنه جريء ويتحمل المسؤولية إن سار بدون تفكير، فالجريء هو من حلل الأشياء ببرود ودرسها باهتمام

[59] فرديناند فوش قائد فرنسي (1851 – 1929) لم يتمرس فوش بالقتال عمليا إلا في مرحلة متقدمة من حياته العملية وبعد أن وصل إلى رتبة الضابط العام، ولد في 2 تشرين الأول – أكتوبر 1851 في تارب وكان والده موظفا، التحق بسلاح المشاة الفرنسي عام 1870 غير أنه لم يشهد القتال في الحرب الفرنسية – البروسية، وفي العام التالي التحق بالأكاديمية العسكرية في نانسي وكلف بالعمل ضابطا في سلاح المدفعية في عام 1873. وظل فوش طالبا ومعلما للنظرية العسكرية والتكتيكات، إلى أن أصبح مدير الأكاديمية العسكرية الفرنسية في عام 1908، وثبت أقدامه أكثر كطالب لفنون الحرب بإصداره عام 1903 كتابه (مبادئ الحرب). الذي ركز فيه على التكتيكات والاستراتيجية التي ستكون سائدة لاحقا فيما سوف يتولاه من قيادات ميدانية. وكان يقول بأن مفتاح النصر يكمن في "إرادة انتزاع الغلبة" من جانب الجنود وقادتهم. وشهد فوش أول قتال فعلي في الحرب العالمية الأولى وهو في الحادية والستين من عمره، حين قاد الفيلق العشرين الفرنسي، وكان يردد فلسفته في شن الحرب بقوله (ميسرتي تذعن، ميمنتي تخترق، قلبي يفتكك وضع ممتاز إني أهاجم). وعلى الرغم من أن قيادة فوش لجيش الحلفاء أثبتت نجاحها فإن مواصلته تطبيق استراتيجيته نجم عنها خسائر جمة ما أغضب قادة الحلفاء والقادة الفرنسيين، وإثر الخسائر الضخمة إبان معركة سوم عام 1916، والتي مني فيها الحلفاء بخسائر بلغت ما يزيد عن 600 ألف رجل، نقل فوش إلى منصب أقل نفوذا وشغل على مدى العامين التاليين منصبا استشاريا ثانويا، وقد أفاد فوش في الحرب من المعارك المريرة والخسائر الفادحة التي مني بها مسبقا فأعد خططه للهجوم على نحو ملائم، وبدلا من مهاجمة القوة الألمانية وجه فوش الذي كان قد رقي إلى رتبة مشير في آب أغسطس ضرباته إلى خطوط السكك الحديدية التي كانت تنقل عبرها إمدادات القوات الألمانية في الجبهة، وبعد أن قطع الخطوط التموينية وأجبر الألمان على التقهقر، أمر بشن هجوم مطاردة وبحلول تشرين الثاني نوفمبر كانت قوات الحلفاء قد أجبرت الألمان على طلب الهدنة. وعلى الرغم من الخسائر التي وقعت في صفوف وحدات فوش، إلا أنه لا أحد ينكر تأثيره في محصلة الحرب العالمية الأولى فقد حقق النصر بأسلوب حرب بالغ

ورأى المساوئ والمحاسن ووازن بينها وسار بعد أن رجحت لديه كفة المحاسن وقرر المسير".

كتب أحد المؤرخين يشرح نفسية وزراء لويس السادس عشر ما يلي: "كانوا يعملون حسب الروتين والعادة فلا يجرؤون على الإبداع معتبرين أن كل عمل يتمتع بصفة خاصة أو جهد شخصي مغامرة خطرة، فإذا ما تجرأ أحدهم على أخذ المبادرة في أمر ما، عرقلته العادات والنظام الروتيني المتبع وأخرت عمله، فلا يصل إلى القائد إلا بعد فوات الفرصة".

عدم القدرة على أخذ القرار خطر على القائد ومرؤوسيه، ويحتاج القرار إلى فحص مجرد ووجداني لكافة الحلول الممكنة، ولكن محاولة البحث بسرعة عن الحل المثالي الأنموذجي أمر خيالي.

حسم الأمور خير من الدقة.إذ يسبب تقلقل القائد كرقاص الساعة توتر أعصاب المساعدين وقلق المنفذين، وإضاعة الوقت والجهد.

القائد الناجح هو من كان دائمًا على أهبة الاستعداد للعمل وكانت ردود فعله حسنة وسريعة، فالحياة عبارة عن مجموعة قرارات صغيرة، فمن أحسن اتخاذها في حياته اليومية، استطاع في اللحظة الحرجة اتخاذ قرار حاسم وخطر.

إن رحلة طولها ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة.

من لم يحطم المتاعب حطمته.

القائد الأهل للقيادة يعرف في الملمات والأوقات العصيبة.

التكلفة. ومات فوش في باريس وعمره 78 عاما في 20 آذار مارس عام 1929 ودفن مع نابليون الأول وهنري دو لاتور دو آفرون دو تورين. الصفحة 470 من (موسوعة مشاهير العالم، الجزء الثالث القادة العسكريين والسياسيين، طبعة دار الصداقة العربية ، بيروت) بتصرف.

كم حطمت الوظيفة والروتين شبابًا ذوي كفاءات وقدرة على القيادة بقتلها روح الاندفاع في نفوسهم.

يقول اندريه موروا: "إن حدود الأشياء الممكنة مرنة، تزيد أو تنقص حسب مواهب المنفذين وبداهتهم".

السلطة وتحمل المسؤولية أمران متلازمان لكل منهما تأثير على الآخر، إذ لا يمكن للقائد أن يتحمل المسؤولية إن لم تكن بيده السلطة، كما أن سلطته لا تكبر إلا بتحمله للمسؤوليات.

المبادرة هي اتخاذ القرار الملائم واللازم لسير المهمة.

يقول المثل: "اختيار الطرق مفتاح النجاح"، فعلينا بالاختيار السريع المتعقل، فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

القدرة على أخذ القرار صفة لازمة للقيادة، وإلا تعطل العمل، ولكن إن تحلى بها مساعدو الأمير من دونه خلقوا الفوضى.

قال المارشال فوش مخاطبا ضباطه:" ليكن لديكم رغبة في تحمل المسؤولية وخذوا القرارات قبل أن تصبح مفروضة عليكم".

القائد الحق هو من درس العمل المناط به برغبة فقرر التنفيذ وقام به بحماس دافعًا الآخرين إلى العمل المثمر بفضل قراره الجيد وسرعته في الاختيار.

الرجل الذي ينفذ أفكاره القليلة بهمة ورغبة أفضل ممن امتلأ رأسه بالأفكار وعجزت يداه عن تنفيذها.

ليس هنالك ما يفسد السلطة كظهور القائد بمظهر المتردد الذي تتدافعه الأهواء بين إقدام وإحجام، حتى يفقد سلطته ويفقد مرؤوسوه اطمئنانهم.

يقول اندريه موروا: "إذا راقبت سائقي السيارات عند المنعطفات وجدتهم يقفون بحذر أمام سيارة اندفعت بإرادة بعد أن قرر قائدها اتجاهه، والتردد في هذه الحالة أخطر من القرار".

يقول موروا: "ليست الطاعة خضوع فرد لآخر، وإن هي إلا تخلي المرء بإرادته عن قسم من فرديته، في سبيل مهمة أو مصلحة عامة، ولا يحيي الجندي في رئيسه الشخص ذاته وإنما يحيي رمزًا للسلطة محترمًا ونافعًا، لا تستطيع الوحدة بدونه البقاء متماسكة منيعة الجانب".

تصلح كلمة "ربما" للفيلسوف في حين تصلح كلمتا "نعم" و"لا" للرئيس الحازم.

إذا أردت أن تعالج معضلة فحللها إلى قضايا بسيطة وابدأ بتحليلها إفراديًا مبتدئا بأكثرها أهمية.

المعرفة أساس ضروري للعمل، لينمي من أراد النجاح مواهبه الفكرية وقدرته على الحكم وتحليل الأمور إلى عواملها وتركيبها من دقائقها، ليكون أهلًا لإصدار أحكام منطقية تنفذ بدقة.

قال المرشال فوش يخاطب ضباطه: "إن ما يهمني هو العمل فاعملوا لتحصلوا على النتائج، ضعوا حجرًا فوق حجر لتشيّدوا بناء، تحركوا ولا تقفوا فاغري الأفواه، فالحركة البسيطة خير من الجمود".

وقد علّق الشيخ أبو مصعب على هذه النقاط مسلطًا الضوء على صفة الجبن وسلبياتها في العمل الجهادي فقال: ".. الجُبن في اتخاذ القرار أشرُّ من الجبن في المعركة خمسين مرة؛ القائد إذا وجد أنه يجب أن نصالح والجيش كله يريد أن يقاتل فعليه أن يصالح، وأمامك الحديبية، فصالَحَ ﷺ وأقام الهدنة، والكل كان غضبانًا وغير راضٍ، وقف أحد الصحابة يوم الفتنة

وقال: "أيها الناس اتهموا رأيكم، فقد وجدتني يوم الحديبية ولو أنني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته"، وتعرفون موقف عمر.

وكذلك قرار الانسحاب والانحياز من المعركة، إذا كانت كل الناس تريد أن تُقدِم والقائد رأى أنه يجب أن ننحاز ويترك المواقع فعليه فعل ذلك.

وخالد بن الوليد -رضي الله عنه- يوم اليرموك استطلع جبهة الشام، وكانت الفتوح وصلت إلى قرب حلب، وأخذ الجزية من الناس من أهل حمص، فجاء الروم بحشود عظيمة جدًا، وحين درس الموقف رضي الله عنه لم يجد في كل سوريا[60] مكان يستطيع أن يحيز الجيش إليه ويختار ساحة المعركة فيه إلا جنوب سوريا؛ لأنه بلد مُسطَّح، يعني يحتاج بمفهومنا أن يكرّ 320-340 كلم ويتركها للروم، وهذه الأراضي كان أخذها وأخذ الجزية من أهلها واستتب الأمر فيها وصارت دار إسلام، ولكن يجب أن يتركها عسكريًا فيرجع للخلف ويدير المعركة من الخلف، وذهب إلى أهل حمص وقال لهم: أخذنا منكم الجزية، ويجب أن نترككم، فسوف نرجعها لكم. فأرجع إليهم الجزية؛ لأنه لا يستطيع أن يحميهم، فكان هذا سببًا في إسلام كثير من نصارى حمص.

فرجع واختار مكان المعركة، فهل تتصور أن الناس كلهم كانوا موافقين؟!

فانحاز وترك البلد كلها، واختار المعركة هناك ففتح بلاد الروم إلى استنبول، وانكسر جيش الروم، فرجع وأخذ المناطق التي تركها وأخذ التي بعدها، فهل مطلوب من خالد بن الوليد أن يُفهم كل بدوي وكل أعرابي وكل مسلم من مسلمي الفتح وكل إنسان جاء البارحة وكل دكتور وكل صيدلي وكل واحد عنده شهادة الكترونيات أنه يجب أن ينحاز؟ فأين تنتهي هذه المصيبة؟ وأين حدود الشورى؟ وأين حدود القرارات؟

---

[60] -فهي بلد مسطحة-

فتح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الباب يوم السقيفة فوجد ضوضاء لاجتماع المهاجرين والأنصار لاختيار الخليفة، فرأى زحامًا، فقال لهم: ما القصة؟ فقالوا له: جئنا نشارك في الأمر. ولعلهم لم يكونوا رِعاعًا بل وفودًا وقبائل ومن كبار الناس، فقال لهم[61]: "ليعد صاحب المِحراث إلى مِحراثه، وليَعُد صاحب الصَّنْعة إلى صنعته، إنما الرأي للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والناس بعد ذلك لهم تَبَع"؛ الناس تَبَعٌ للنخبة، والنخبة تبع للقيادة، والقيادة تبع للأمير، هذا إذا أردنا أن نمشي، طالما اخترت الأمير على دين وعلى سابقة ولم تأتِ به من الشارع ليخرب بيتك!

عندما جاؤوا بأمير من الشارع – أبو عبد الرحمن أمين – في الجماعة المسلحة الجزائرية، كانت مهنته جزار دجاج! فتابع مهنته نفسها في المسلمين، فهذه مشكلتك أنت وليست مشكلة الشورى غير الملزمة.

عُزل الدكتور أبو خليل محفوظ، وهو دكتور تربّى في الحركة الإسلامية وشارك في الجهاد وأسّس خلايا العصابات في المدن، فعزل عن الإمارة، وسُلِّمت لهذا، فدفعت أنت ثمن الاختيار. فليست المشكلة أن الشورى ملزمة فهذا طبّق صلاحياته فنكب القضية، المشكلة ليست في القانون، فالقانون هو القانون الشرعي الذي جاءت به الشريعة، ونحن أجهدنا أنفسنا إجهادًا حتى نجد دليلًا على أن الشورى ملزمة، الشورى في الشريعة غير ملزمة.

فيجب على القائد أن يكون شجاعًا في اتخاذ القرارات، أعجبت من حوله أم لم تعجبهم.

طيب قد تقول لي: إذا نكبنا القائد؟!

---

[61]-سبحان الله تشعر أن شخصيته رضي الله عنه تُعشق-، (تعليق الشيخ أبو مصعب السوري)

القائد إذا نكبك أول مرة وثاني مرة وثالث مرة فسيسقط تلقائيًا، وهذا قدرك في النهاية وليس بإمكانك أن تغير هذه القضية، هناك كثير من الناس نُكبوا بالزواج الأول والثاني والثالث، ثم خلاص انتهت القضية ولم يعد عنده أسرة، فهذا قدره ألا ينجح في تكوين أسرة، أنت عندما تختار القائد بمواصفات أصولية من الدين والسابقة والقضية فتعطيه هذه الصلاحيات، ويجب أن يكون شجاعًا في اتخاذ القرار.

قال كورتوا : "ليس الرئيس الذي ينتظر في الملمّات الأوامر من رؤسائه"؛ وهذه نقطة مهمة جدًا، أنك قد لا تكون الرئيس الأعلى، قد تكون قائد الجبهة الشرقية وينقطع الاتصال مع القائد، فهل تتوقف ولا تتخذ أي قرار؟ إذا انقطع الاتصال فالمفروض أن يتصرف القائد الميداني، إذا صار هناك ضرورة فالمفروض أن يتصرف القائد الميداني.

وهذه مشكلة مشتركة، قد يكون القائد الميداني عنده مشكلة في عدم القدرة على اتخاذ القرار، فلا يتخذ القرار فتسقط الدنيا، وعادةً يكون الجُرم من القائد الأعلى الذي يعاقب كل قائد ميداني يبادر إلى صلاحيات استثنائيّة، فيقول له: لم آمرك فكيف فعلت ذلك؟ طيب لم يكن من الممكن أن تأمرني، وانقطعت الاتصالات.

فهناك نوع من القوّاد يقتلون في عناصرهم وأفرادهم كل قدرة على الإبداع وكل قدرة على اتخاذ القرار، فتجد القائد يدير الجهاز العسكري، والقائد يدير المطبخ، والقائد يحكّم كرة القدم التي نلعبها، والقائد يتدخّل في كل شيء! فلم يعد أحد يستطيع أن يتخذ أي قرار، وأصبح جبانًا أن يتخذ أي قرار؛ لأنه أصبح يعرف أن صراخ القائد أو سوطه أو سجنه مُسلط فوق رأسه إذا اتخذ أي صلاحيات استثنائية.

فهذا أمر دقيق جدًا في قضايا الحركة، إذا أفلتَّ الأمر إلى القوّاد الفرعيين فسيغيرون الخطط ويدمرون الجماعة، وإذا جمعتها للأمير كلها فسيقيِّد الناس ولن يكون هناك أي إبداع، فهذا الأمر "له طَرَفان وَوَسَط، ككثير من الأخلاق" كما قال الغزالي، فالقضية يجب أن تكون محسوبة أن هناك خطة عامة لا تُغيّر، وهناك تفاصيل تكتيكية يُمكن أن تغير.

أضرب مثالًا ببساطة: طلب منكم الأمير أن تذهبوا من باريس إلى ميلانو لتنفذوا عملية، ووُضِعت الخطة بوجود الرئيس أنكم ستركبون القطار وكذا وكذا، ثم ذهب القائد واختفى وذهب لبيته، فما هي الخطة هنا؟ الخطة هي نذهب إلى ميلانو؛ لنغتال فلان الفلاني.

فجئت -أنت قائد المجموعة- فوجدت أن كل القطارات عليها رقابة استثنائية لم تكن موجودة عند الاستطلاع، ووجدت أن سبب ذلك زيارة رئيس دولة أخرى إلى ميلانو، هكذا حصل الأمر فجأة، وهذا المثال حصل معنا عمليًا، حيث كنا نريد أن نذهب ونأخذ أوراق ووثائق وأجهزة تزوير في أوروبا من مكان إلى مكان ففوجئنا بانقلاب الدنيا، واكتشفنا فيما بعد أن السبب في هذا زيارة رئيس أمريكا إلى المدينة التي كنا نريد أن نعبرها، فكان هذا نتيجة الجهل بتتبُّع الأخبار، وهذه إحدى الفوائد، فتغير الموضوع.

فالرئيس قال لك أن تذهب بالقطار ولكن أنت ملزم بالتغيير، فلو ذهبت بالقطار سيُقبض على المجموعة، فيجب أن تذهب بالسيارة، هناك قادة يقول لك: كيف أذهب بالسيارة؟ سنمر بنقاط تفتيش غير مستطلعة، وإذا مررنا في السيارة بنقاط تفتيش غير مستطلعة وقبض على الإخوة فسيقطع

القائد رأسي، وسيقول لي: من قال لك أن تذهب بالسيارة؟ فالأفضل أن أمشي بالقطار وإن قُبض على الجميع.

فهنا الصواب أن يذهب بالسيارة؛ لأنه لو ذهب بالقطار فسيُقبض عليهم لا محالة؛ لأنهم يرون بأعينهم الحواجز على القطار، والسيارة قضية احتمالية، فقد يكون هناك تشديد وقد لا يكون هناك تشديد، فهي أقل ضرر، فيتوكل على الله ويذهب بالسيارة.

والمفروض على القائد العظيم أنه إذا حصلت كارثة لا يمسكك ويأخذك بنواصيك وأقدامك ويقول لك: كيف اجتهدت وذهبت بالسيارة؟ إذا علم أن مقتضى العقل السليم أن تغير تكتيك الهجوم، فأنت لم تغير المكان – ميلانو– ولا غيرت الهدف، ولم يقل لك: اقتل وزير الداخلية. فقتلت له وزير السياحة! ولكن في نفس الوقت لا تُدخل على الخطة أشياء تغيِّر استراتيجيتها.

ولذلك هذا من التربية الحركية الهامة جدًا، أنتم تظنّون أن التدريب فقط حبال وجبال ومسدسات وإطلاق نار؟!

هذه الدروس الحركية الجهادية والنماذج التي مرّت معنا عبر 20 سنة عملية سواء نفذناها نحن أو سمعنا بأحد نفذها أو عاصرنا أحد نفذها أو قرأنا عن كتب وتجارب حصلت، فالمفروض أن أعطيك إياها، وأنت تعطيني، والآخر يعطي؛ حتى يوجد عندنا عنصر حركي.

التدريب العسكري جزء صغير جدًا من إعداد المقاتل، فيجب أن أصنع قائدًا يستطيع أن يتصرف، وأصنع أميرًا يسمح له أن يتصرف؛ لأنه لو لم يسمح له أن يتصرف فسيخرب بيته، وهذا لا يأتي إلا بالتربية وبالدروس والتجارب.

نرجع لموضوعنا.

قال كورتوا: "ليس الرئيس الذي ينتظر في الملمَّات[62] الأوامر من رؤسائه أو الوقت الأفضل للعمل".

هذا النوع ليس أهلًا لقيادة الرجال؛ لأنه مجرد ناقل للأوامر، يقول الأمير: افعلوا كذا، فيقول هو: يا شباب قال الأمير افعلوا كذا، هذا يمكن أن ينفع مؤذنًا في المساجد الكبيرة يُبلّغ خلف الإمام، فإذا قال الإمام: الله أكبر، قال هو: الله أكبر. حتى يسمع البعيدون، فهذا هذه هي مهمته.

أما أن يأتي فيجد مشكلة جديدة فيجد لها حلًا، ويصلي بالخارج ويعمل جماعة، ولا يخاف من وزارة الأوقاف، فهذا شخصية أخرى. فنحن نبحث عن قائد يستطيع أن يتصرف لا أن يبلغ الأوامر من بعيد.

يقول كورتوا في النقطة التي بعدها: "على الرئيس ليستطيع أخذ المبادرة أن يكون عدوًا للروتين والأساليب المتعارف عليها والمبادئ الجامدة، وكم حطَّمت الوظيفة والروتين شبابًا ذوي كفاءات وقدرة على القيادة، بقتلهم روح الاندفاع في نفوسهم"، وأنا كتبت بجانب هذه القاعدة بين قوسين: (يا ليت قومي يعلمون) فقط، ولم أعلق عليها بأكثر من ذلك.

يأتيك الرجل تحسّ من ثناياه شخصية قائد، وشكله قائد، فيظلّ القائد يهمس في شخصيته ويسحق في إمكانياته ويقتل في مبادراته حتى يحوّله إلى جربوع لا يستطيع أن يفعل شيئًا.

فتجده بعد فترة إنسانًا منطفئًا هامدًا لا يقترح ولا يبادر؛ لأنه عند كل مبادرة أكل بهدلة، وعند كل تجاوز فعله جاءته مصيبة، فقال: "خليني، الكفالة ستأتيني آخر الشهر، وأنا عايش، والحمد لله مهاجر مرابط، وليس

[62]-والملمّات هي: الظروف الاستثنائية-

هناك فرق عندي سواء جاهدت أو لم أجاهد، واقترحت عليه أو لم أقترح" ففي النهاية يمل ويطفش.

صدقني فيه رجال طفّشوا نساءهم بهذه القضية، إذا غيرت طاولة من مكان إلى مكان يقول لها: لماذا غيرتيها؟ طيب يا أخي هذه هي مملكتها. صدقني دخلت في صلح في بعض القضايا الأسريّة، فرأيت تفاهات من الرجل في قيادته لبيته، أمور عجيبة جدًا!.

جاءته إنسانة مبادرة ويمكن تخطئ وتعمل قضية غير صحيحة، ولكن قتل عندها أي قدرة على الإبداع، فلا تختار طبخة ولا تختار قضية إلا انتقدها، وهناك رجال سلّموا القضية للمرأة في البيت وتفرّغوا لشؤونهم، وهناك نساء في بيوتهن مديرات أعمال بكل معنى الكلمة، وهناك نساء إذا جئت للبيت من خلف الباب وطرقت الباب وقلت: موجود أبو أحمد؟ فترد عليك بطرق الباب، فيجب أن تفهم لغة "مورس" حتى تفهم ما هي القصة، وكان يكفي أن تقول لك إذا سألتها: أين أبو أحمد؟ أن تقول: ليس هنا، طيب لو سمحت عندك رسالة؟ وتبعث الولد بورقة وقلم ليكتب ماذا يريد، فهي مسكينة لا تُحسن القيام بشيء أبدًا.

مرت علينا ظروف لوحقنا وتركنا بيوتنا فجأة، وتولّت النساء ترتيب البيت وتصفية الحسابات وتوصيل الرسائل وإذا هناك سلاح أوصلوه لأصحابه، فأصبحت هناك مائة قضية، اضطرارًا جعلت منها القضية بهذه الصورة، وإن كانت المرأة غير مطلوب منها هذا الأمر أصلًا، ولكن نتيجة ظروف استثنائية أصبح هذا مطلوبًا منها.

ومثل ذلك ابنك الذي قد يصبح في المستقبل رجلًا أو ذا شخصية مسحوقة، وكم أحزن أنا عندما أذهب ضيفًا إلى أحدهم فأرى أبًا يضرب

ابنه بالكف ويبهدله أمام كل الناس، ويريكم أنه أب عظيم حطّم الدنيا وضرب ابنه أمامك!

يا أخي عاقبه لاحقًا ولا تسحق شخصيته وتُخرج لنا إنسانًا آخر ينضم إلى هذه الأمة الذليلة.

وقس على ذلك بالنسبة للقائد، فتجد هناك قوادًا يثيرون الحب عندما يدخلون عليك، ويثيرون فيك الخشوع والتقوى وتجد أنهم من الجماعة الذي قيل فيهم: "إذا رُؤوا ذُكر الله -سبحانه وتعالى-".

وهناك قواد يثيرون الرعب، فإذا دخل لازم ينتقد مسألة ما ويبهدل أحد الحاضرين، وهذه قضية بالغة الحساسية؛ قضيّة حدود تدخُّل القائد، وحدود تفلُّت التابع.

قال كورتوا: "هناك مَثَل يقول: اختيار الطُّرق مفتاح النجاح. علينا بالاختبار السريع المتعقل فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"؛ يعني يوجب عليك الظرف أحيانًا أن تتخذ قرارًا بدون أن ترجع للمؤسسة والخطة.

وقال أيضا: "عاشرًا: القدرة على أخذ القرار صفة لازمة للقيادة، فإن لم يكن الرئيس متحليًا بها تعطَّل العمل، وإن تحلّى بها مساعدوه من دونه خلقوا الفوضى" وهذه مقالة خطيرة، يعني إذا هو لم يتخذ القرار ينشلّ العمل، وإذا صار المساعدون كل منهم يتخذ قرارًا ويغير الخطة ويقولون: قرأنا في كتاب (القيادة) وسمعنا في شريط أبي مصعب السوري أن القائد يجب أن يتصرف. فيتصرفون ويلخبطون الأمور".

6. الانضباط

الانضباط توجيه لأعمال الأفراد وجهودهم وحد من حريتهم ونزواتهم الشخصية في سبيل هدف أسمى ومصلحة جماعية عليا.

مناقشة القائد لقرارات رؤسائه أمام الجنود خطر جسيم، فهي لا تؤدي غالبا إلى نتائج مفيدة بل تسبب ترددا يكفي لإخفاق أحسن الخطط.

(نفذ ثم اعترض) فقرة نجدها في أسس الانضباط ذلك أن الابتداء بتنفيذ الأمر يظهر مدى تفاهة الصعوبات التي كنا كسلنا وخيالنا قد ضخماها بشكل مدهش.

على الأمير مراعاة آراء مرؤوسيه الشخصية.

لا يكون الانضباط مفيدًا إلا إذا كان ناتجًا عن رغبة واندفاع، والطاعة المقبولة هي الانضباط الناجم عن الشعور القوي بضرورة العمل الجماعي، لأن انضباطًا كهذا لا يشكل خطرًا على المبادهة أو الجرأة الأدبية.

يقول المارشال فوش: "ليس الانضباط صمتًا، أو تخليًا عن الحقوق أو تحاشيًا للمسؤولية إنه العمل ضمن فكرة أمر الرئيس بعد الدراسة والبحث وتفهم المتاعب والمشاكل الواجب حلها".

شعور القائد بثقة من حوله، يشجعه على أن يطلب منهم جهودًا أو تضحيات أثناء الخطر ليقودهم إلى النصر.

القائد الحق هو من حاول التخفيف من ظهور أخطاء رؤسائه، وبذل جهده ليظن الجميع بأن النجاح ناجم عن جهد المسؤولين.

الانتقاد أمام المرؤوسين يعرض معنويات الوحدة إلى الانهيار، فالمعنويات تعتمد على القناعة بسلامة الهرم القيادي.

يقول اندري موروا: "ليس الانضباط تنفيذًا للأوامر المعطاة دون إشغال الفكر، وإعمال البداهة أو ابتعادًا عن المخاطرة بتحمل المسؤوليات أو البقاء في زاوية ميتة بعيدًا عن أنظار الرؤساء بل هو العمل ضمن حدود فكرة الأومر، مع الإبداع في التنفيذ دون تجاوز الحدود".

يقول المارشال فوش: "إذا اكتفى الرئيس بإرضاء رغبات رؤسائه، ولم يستطع أن يجمع أفكاره إلى أفكارهم فإن تفاهمه معهم تفاهم مصالح خاصة لا يدوم ولا يخدم المصلحة العامة".

الانضباط لا يهدف لقتل الشخصية أو إذابتها، إنه يعمل على تحديد الجهود وجمعها، ليكون العمل مثمرًا باتجاه واحد.

لا يقاس الانضباط في قطعة ما بهندامها أو تحيتها بل بمردودها ومعنويات أفرادها وحبهم لرؤسائهم والجهد الذي يبذلونه عند الشدائد.

يجب أن ينمي القائد روح الانضباط بين صفوف جنده، يقول المثل العسكري: "الانضباط هو قوة الجيش الرئيسية" بل هو قوة الأمة التي تريد الحياة، إذ يتطلب نهوض الشعب من كبوته اشتراك الجميع وتعاضدهم.

على الجميع أن يدرك أن أفضل رأي هو ما قرره القائد بعد دراسة وتمحيص لإحاطته الواسعة بالمعلومات والخفايا التي لا يعرفها مرؤوسوه.

إنما الطاعة الحقيقية وقت الشدائد.

7. الفعالية

لا يكتفي القائد الناجح باتخاذ القرارات بل يعمل على نقلها إلى حيّز التنفيذ، ولا تستفيد المصلحة العامة من الأوامر المعطاة بل من الأوامر المنفذة.

يتقبل القائد المتاعب المتوقعة وغير المتوقعة ويعتبرها من جملة عناصر المنهاج الواجب تطبيقه.

على القائد أن يجمع بين الفعالية والدقة والشدة في التنفيذ دون أن يؤثر ذلك على مرونته وواقعيته. ويتعلق النجاح بفاعلية التنفيذ قدر تعلقه بالحذاقة أثناء التفكير والتخطيط.

القائد بالفطرة نفسه قوية، قال فوش في تفسير ذلك: "النفس القوية هي التي لا تفقدها الانفعالات والاضطرابات القوية توزانها وليست التي لا تعرف إلا الانفعالات القوية والتصرفات العنيفة".

ليس هناك عمل بدون خطر والأهم هو وزن الخطر، ومحاولة التخفيف من آثاره ومواجته بكل جرأة وثبات.

الحواجز الاستثنائية يتغلب عليها بجهود استثنائية وأصل ذلك الإرادة القوية التي تنحت على الوجه خطوطًا تدل على الرجولة، وفاعلية الرئيس وجهده في ضبط نفسه يهيئان له جوًا حسنا لفرض سيطرته.

أبسط الأعمال تتطلب بعض الصرامة وكثيرًا من الدأب.

يقول المرشال فوش: "الذكاء ضروري لكل رئيس ولكن للإرادة المحل الأول، وتصل الإرادة الثابتة إلى أهدافها حتى لو كان صاحبها متوسط الذكاء".

جهد المرء غير ضائع وتعثره غير نهائي.

يقول دوستويفسكي: "ثابر على العمل بدون كلل ولا ملل وإذا تذكرت في المساء عندما تذهب إلى فراشك أنك لم تفعل ما ينبغي عليك أن تفعله فانهض وأتمم عملك".

8. التواضع

القيادة مهمة اجتماعية، يحتاج صاحبها للتخلي عن الأنانية والمصالح الفردية والزهو الباطل.

اجتنبوا التحدث عن أنفسكم ولا تتبجحوا فليس هنالك ما يزعج مثل رجل يفاخر بنفسه في كل مناسبة. صحيح أن على القائد أن يعطي المثل لمرؤوسيه ولكن ليس عليه أن يذكرهم بذلك، والمثل الأفضل هو ما أخذه الآخرون بصورة لا شعورية وليس ما دفع إلى شعورهم دفعًا.

تبجح الأمير يؤدي إلى إذكاء روح السخرية والنقد عند المرؤوسين.

يقول لاكوردير: "تتم الأعمال العظيمة في العالم بدافع الواجب، وتتم الأعمال السيئة بدافع الأنانية والمصلحة الفردية والغرور".

المصلحة العامة تملي على القائد الحسن قراراته، دون أي اعتبار لفائدته أو هواه.

القوة بلا تواضع عنف.

الاعتراف بالذنب فضيلة.

الأنا كلمة مكروهة وخاصة عند تطبيق السلطة، وكل سلطة غير متواضعة مدعاة للسخرية.

الفرد المغرور من أكبر الأخطار على المجموعات، لأنه يحاول جذب كل شيء نحوه ويرى كل أمر بمنظاره فيغدو غير قادر على تفهم حاجات الآخرين أو التفاهم معهم.[63]

[63] ومهما جذب الأضواء فهو مجرد همة مغشوشة بين الصفوف.

على القائد ألا يقبل المديح من مساعديه، ويتقبل انتقادهم إذا كان معقولًا ومهذّبًا ومحافظًا على الاحترام ونابعًا من الرغبة في فائدة الصالح العام.

القائد المغرور يستجيب للمديح بدافع الأنانية وحب الظهور، ولكن في النهاية يجد نفسه محاطًا ببطانة لا ترى إلا بعينيه، ولا تسمع إلا بأذنيه فيفقد الفائدة التي كان يحملها إليه انتقاد معاونيه الصالحين الذين يرون الأشياء من زاوية مختلفة، كما يفقد الاحتكاك مع الوسط الذي يعيش فيه فيصبح غير أهل للقيادة.

إذا خدع القائد المرؤوسين وأوحى إليهم بأنه صاحب صفات ومزايا لا يملكها وأعطاهم وعودًا لا يستطيع الوفاء بها، وافتضح أمره فسينقلب الاحترام إلى كراهية وحقد.

القائد المخادع سريعًا ما ينفضح، والقائد المتواضع يبقى قويًا أمام الآخرين ويعزز علاقته مع من حوله صدقه.

التواضع يورث المحبة من المرؤوسين والصدق في البوح بما في قلوبهم له.

لا يتحدث القائد مطلقًا عن نفسه، ويلغي من حديثه كلمة "أنا" مستعيضًا عنها بكلمة "نحن"، قاصدًا بذلك الجماعة، لأن من تشغل الأنا باله يجعل من نفسه هدفًا لكل عمل، ويصبح عبئًا على جماعته ومجرد طفيلي.

لا تخلط بين الإرادة والعناد، أو بين الشخصية الصارمة المحترمة والشخصية المتبجحة المكروهة.

تقبل النقد والتفكير فيه، بتجرد ونزاهة أكبر دليل على عظمة النفس وسموها.

عبودية الفرد لنفسه إجرام.

9. الواقعية

الواقعيــة هــي معرفــة الحقيقــة المجـردة بمحاسـنها ومسـاوئها واسـتنباط الفوائـد التي يمكن أن تقدمها في الحاضر والمستقبل.

تتمثــل الواقعيــة في معرفــة الفــرد لنفســه وإمكاناتــه وحــدودها ووضــعها في مكانها الذي تستحقه لا الذي ترغب فيه.

علــى القائــد أن يتعــرف علــى الجهــة الواقعيــة للأمــور حــتى لا يكــون بــين أفكاره المثالية وبين الحياة العملية هوة كبيرة.

علــى القائــد أن يحــذر مــن أن يكــون مــن القيــاديين المتشــائمين الــذين لا يــرون إلا الوجــه القبــيح للرجــال والحــوادث، أو مــن القيــاديين المتفــائلين المتهورين الذين يلقيهم فرط ثقتهم بالناس بين براثن الخبثاء.

زرع الأقول لا يحصد إلا الأوهام.

عدم الانسجام مع الواقع أول خطوة لفقدان زمام الأمور.

يضــيع الحكــم الســديد حــين تعــيش العبقــريات الإداريــة والاقتصــادية والعسـكرية في جـو مـن النظـريات والأفكـار ولا تحتـك مـع حقـائق النـاس العملية.

علــى القائــد أن يــرى الحقيقــة بوضــوح ودقــة لا كمــا يريــدها أن تكــون فيسيء إلى أحكامه وتصرفاته وقراراته.

يقـول المارشـال فـوش: "لا تكتفـوا بمـا يقـال لكـم بـل انظـروا بأنفسـكم ثم أعلمـوني عـن حقيقـة الأمـر كمـا تـرون لا كمـا تظنـون فالمعضـلات لا تحـل بالعواطف والظنون".

الواقعيــة ابتعــاد عــن النظــريات الجامــدة والحلــول الجــاهزة، فلكــل حالــة لبوسها ولكل مشكلة حلها.

على القائد أن يبقى على احتكاك دائم مع واقع رجاله وعمله، يعدل مشاريعه حسب تطورات الحياة وحسب الشروط التي تفرضها الحوادث عليه، لا يتيه بين الحقيقة والخيال.

العمل بحاجة دائمة للتجديد في الروح والطريقة، وهو يبدأ غالبًا باندفاع كبير يخف مع الزمن حتى يغدوا آليًا لا نفع منه.

يستفيد القائد العاقل من مجموعة من المفكرين المبدعين مهمتهم المحافظة على اندفاع العمل وإدامة شعلة التجديد فيه.

الماضي مفيد في تفسير الحاضر وتوضيح خطوطه ولكنه لا يستطيع إيقاف من يود بناء مستقبل أفضل.

الواقعية الصحيحة هي تفهم الأمر، ومقارنته مع غيره، بغية معرفة قيمة النسبية حتى لا نهمل أهميته أو نضعفها. وتعيين العلاقات البعيدة والقريبة التي تجمعه مع غيره.

يقول ريشليو: "ليس هناك أخطر ممن يودون توجيه سياسة الدولة بحِكم يستخرجونها من بطون الكتب".

يقول نابليون: "لا يمكن أبدًا استخدام الحلول الجاهزة والأحكام المطلقة في القتال".

يتطلب حل المعضلات إلهامًا وليونة وتلاؤمًا مع الواقع، ونظرة شمولية لا تعرقلها الدقائق، وثقافة عامة كافية لتفهم كل شيء، وتركيزًا ذهنيًا لجميع العلاقات والخيوط القريبة والبعيدة.

قال نابليون: تفيدنا الشجاعة بالشروع بأي عمل ولكنها غير كافية لإنهائه.

القائد الواقعي يتقبل الأمور كما هي ثم يعمل لتحسينها وجعلها أفضل مما هي عليه وكما يجب أن تكون. والقائد الصالح هو من استطاع التمييز بين الممكن وغير الممكن.

وقال أبو مصعب السوري في تعليقه على الواقعية مسلطا الضوء على التنظير في الكتابات الجهادية: "وهذا المثال[64] وقع فيه كثير من الكتّاب الذين اختاروا أن يكونوا كتابًا جهاديّين وهم لم يمارسوا الجهاد ولا مرّة واحدة؛ كرجل يختار أن يكتب عن الفقر والفقراء وهو مليونير، ومع ذلك يريد أن يكتب عن الفقراء ومعاناتهم وماذا يحصل للفقراء بقضية التخيل، وكما يحصل لكثير من الشعراء الذين يكتبون عن الهيام والغرام وهو في حياته لا أحبّ ولا أحد أحَبّه ولا تزوّج ولا اقترن، ولذلك قال العرب:

لا يَعْرِفُ الشَّوقَ إلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ   ولا الصَّبابةُ إلا مَنْ يُعَانِيهَا

فتجد أن هناك فرقًا، الإنسان لا يمكن أن يكتب أن أي شيء ولا يتحدث عن أي شيء إذا لم يكن قد عاشه، فإذا انتقل إلى مستوى التنظير والتخطيط لأشياء لم يعشها تصبح أفكاره نظريّة جدًا بعيدًا عن الواقعيّة، ولذلك خصّ القائد بهذا العنوان (الواقعية)، فيجب أن يكتب من خلال معرفة بعلاقة النظريات بمجريات الأمر الواقع.

قال كورتوا: "يتلقّى الرئيس في حياته الواقعية صدمات جِسامًا لا يستطيع تحملها إن كان من الحالمين الذين يبنون قصورًا في الرمال"؛ يعني يبنون

[64] المثال المطروح والحلقة التي سبقت هذا الطرح مفقودة من دورة الشيخ أبو مصعب عن القيادة.

قصورًا على أرضية لا تصلح لبناية القصور، فالقائد إن كان بعيدًا عن الواقع غالبًا ما تجعله هذه الصدمات ينهار.

النقطة التالية قال: "لا تُلائم مهنة القيادة المتفائلين المتهوّرين الذين يلقيهم فرط ثقتهم في الناس بين براثن الجبناء"؛ يعني الإنسان الحالم النظري الذي لم يعرف الناس ولم يعرف الظروف ستلقيه هذه الهواية بين براثن الجبناء فيعتمد على أناس لن يستطيعوا أن يقوموا بالمطلوب في الواقع.

النقطة التالية قال: "تتطلب مهنة القيادة رئيسًا واقعيًا لأنّ عدم الانسجام مع الواقع أول خطوة لفقدان زمام الأمور".

يقول: "يكون في أعمال من السلف"؛ يعني من سلفنا لأنّ هذا الكاتب فرنسي يتحدث عن من سلفه في تجارب القيادة "تجارب كثيرة معقولة، يمكن الإفادة منها والبناء عليها، إن عليه أن يحتفظ لنفسه دائمًا بحقّ التبديل والتطور الذي يقبله المنطق وتُظهر الدراسة والتجربة فائدته": وهذه هي العلاقة بين النظري نتيجة دراسات تجارب من مضى، وظروفه هو واختيار خططه.

ثمّ قال: "لا يقول الرئيس الناجح مطلقًا: "هذا ما وجدنا عليه من كانوا قبلنا"، فالماضي مفيد في تفسير الحاضر وتوضيح خطوطه ولكنّه لا يستطيع إيقاف من يريد بناء مستقبل أفضل"؛ يعني القائد الناجح لا يقول أنا أعمل هذه الأشياء لأننا درسنا في الكتب ووجدنا أنّ من كان قبلنا وصل للنجاح بهذه الخطط، فيجب أن يربط ما بين واقعيته والنظريات التي درسها في الكتب من التجارب الماضية.

وقال: "يقول ريشيليو[65]: "ليست هناك أخطر ممن يسعون توجيه سياسة الدولة بِحِكَم يستخلصونها من بطون الكتب".

ونقف مع هذه النقطة وقفة للمثال فهي مهمة جدًا؛ الكتب التي فيها التجارب وفيها الفتاوى والقياسات والاستنباطات -خاصّةً في مجال السياسة الشرعية- تضع قواعد عامة وتستنبط أمورًا وُضعت لظروف فيها شيء من الاختلاف عن ظروفنا، فإذا توافق ما يسمّى مناط القياس والحكم بيننا وبينهم نأخذها كاملة، وإذا اختلفت لا نستطيع أن نأخذه بكليّتها ونبني عليها سياسة بهذه الصورة.

أذكر لكم مثالًا حتى يتضح الشاهد؛ عندما كنّا في لندن نقف ونؤيّد الإخوة الجزائريين في جهادهم، بدأت تجنح قيادة الجماعة المسلحة إلى مواجهة المنحرفين من المسلمين فكريًا في البداية، فبدأوا يقولون -نتيجة حمل المذهب والسلفي والعقيدة السلفية الصحيحة التي ليس بيننا وبينهم فيها خلاف-، يقولون: "العقائد الفلانية بدعيّة وكيف نقاتل الحكومة مع مبتدع؟!".

فبدأ الانفراج هكذا، فقالوا: لا نجاهد مع مبتدع على عقيدة غير صحيحة، ثم قالوا: يجب أن نُفرد شيئًا من جهادنا الفكري والأدبي وتأليفاتنا لمواجهة هؤلاء المبتدعة، ثم انتهى الأمر كما تعرفون بقتال المبتدعة وترك ساحة المعركة الأساسيّة.

كان أحد الشيوخ الذي رأى في هذا التوجّه صحّة استشهد يومًا من الأيام بشاهد دلّني على أنّ القضية لا تؤخذ من بطون الكتب، قال: "الحقّ معهم يجب أن نتصدّى للمبتدعة، سُئل الإمام أحمد أيّهما أنفع للمرء أن يصلي

[65]-وهو ممّن يستشهد بأقوالهم الكاتب-

ويتنفَّل ويقوم الليل أم يتكلم في المبتدعة؟، فقال الإمام أحمد –رحمه الله–: لو تكلم في المبتدعة فهذا أنفع للمسلمين ولو تنفَّل فهذا خير لنفسه، وما كان أنفع للمسلمين فهو أولى، فانظر إلى الإمام أحمد كيف قّدم الكلام في المبتدعة حتى على العبادة". وانتهى الشاهد.

وهذا جاء به من كتب الإمام أحمد، وإلى هنا الشاهد صحيح والإمام أحمد قاله فعلًا وهي قاعدة أخرجناها من الكتب.

وأنا لم أجد طريقة لنقاشه في أصل القاعدة، فالقاعدة صحيحة، والمبتدع مبتدع والذي على السنة على السنة، ولكن الذي خطر لي حتى نربط بين الواقع الشاهد أن قلت له: الإمام أحمد كان في زمن فيه خلافة، وفيه المأمون والمعتصم، وجيوش المسلمين تفتح في الأمصار، والسبي يأتي للمسلمين من كل الألوان من الشمال والجنوب والأصفر والأسود والأصفر والأحمر، والتجارة تحمل كل شيء، والشعراء في وديانهم يكتبون وأبو تمام والبحتري.. والحضارة قائمة، والأمة ليس فيها أي مشكل، فخرج المبتدعة ببدعة الجهمية وبدعة خلق القرآن، فأصبحت هذه المشكلة رقم واحد للأمة، فالطبيعي أن يتصدى الإمام أحمد –إمام أهل السنة– للمشكلة رقم واحد في زمانه ويجعلها مقدّمة على العبادة.

فالآن تعال رقّم لي مشاكل الأمة في هذا العصر وأعطي كل منها رقمًا، أولها سيطرة اليهود وسيطرة النصارى، ثم حكم المرتدين، ثم مطاردتنا في الأرض، ثم نفاق العلماء، وخوف أكثر الصالحين منهم، ثم مجازر البوسنة، ثم سفك الدم.. وتعال عدّد المشاكل في الجزائر.. ثم تأتي في لحظة من اللحظات المشاكل الفكرية ظهور المبتدعة فأعطيها رقم، كم يكون رقم هذه

المشكلة بالنسبة لما نزل بنا؟ يمكن رقم 270 أو 260، وربما تأتي خمسة آلاف مشكلة قبلها في التسلسل.

فلو كان الإمام أحمد موجودًا عندنا فهل تتصوّر أن يقول: أوقفوا المعارك والمشاكل فنحن عندنا مشكلة مع المبتدعة في قضية كذا وكذا؟!

كان أصل المشكلة عند إخواننا -وهم يريدون الحق أصلًا ويريدون الخير-؛ أنهم أخذوا جملة من بطون الكتب وأنزلوها على واقع منسلخ عنها نهائيًا.

هذا الكلام الذي يقوله هذا الرجل بناءً على تجارب، وصلوها هم بطريقتهم، فقال: "ليس هناك أخطر ممن يودّون توجيه سياسة الدولة بحكم يستخلصونها من بطون الكتب"؛ وهذا لا يعني أن نترك النصوص والعقائد والصواب، ولكن هذه النصوص والعقائد جعل أهل العلم إعمالها بشيء اسمه: فقه الواقع ومناط القياس وظروف الفتوى ومعالجة الناس ومخالطة القضايا وإلى آخره.

فهذا دفعنا فيه ثمنًا كبيرًا جدًا، إذا عدّى هذا الأمر على العلماء وطلبة العلم فليس هناك مشكلة، ولكن الإشكال إذا غاب عن القائد نفسه فبدأ يخطّط على أساس قالوا في الكتب كذا وأنا قرأت في حرب العصابات كذا كذا فيريد أن يطبقها، وقال الشيخ الفلاني أن القضية كذا فيذهب ليطبق، ومرّ علينا في التجربة السورية كذا فنريد أن نطبقها في المغرب، لن يستقيم الأمر.

أنت تأخذ من التجارب والحكم والتاريخ فهم منحى مسار التجارب، ثم تنزّله على ظرفك الخاص الذي تأتي أنت له باستنباطات جديدة وبطرق جديدة، وهذه هي الواقعيّة.

ننتقل إلى النقطة التي تليها، قال: "**لا** يجب الاندفاع إلى الأمام بتهور ودون رويّة اعتمادًا على الشجاعة وحسن الحظّ، ولكن على دراسة الإمكانات والوسائل للعدو والصديق".

وهذا هو الفرق بين عقليّة النظري وعقليّة المخطّط، قال لا تندفع إلى الأمام اعتمادًا على الشجاعة أو على حسن الحظّ، فتقول: "نتوكل يا شيخ ونقدم وبعدين نرى ماذا يحدث"، كما ضربت لكم مثل بإخواننا الذين حملوا السلاح وخرجوا بتجربة جهادية قصيرة جدًا في لبنان؛ الإخوة الذين زاروهم ليتناصحوا معهم وليقولوا لهم: "نعمل كذا.. انتظروا ربما نضع ما عندنا على ما عندكم ونخطّط ونجرّب لأنّنا كلّنا في الشام"، فكان قول الأخ -رحمه الله- وهم كلّهم قُتلوا: "كل الناس جرّبوا وكلّ الناس خاضوا فنريد أن نخوض نحن أيضًا ونرى ماذا يكون معنا".

الإخلاص والتزام بالسنة يجعل الإنسان مُتقبَّلًا عند الله -سبحانه وتعالى- بعمله إن شاء الله تعالى، ولكن تجاوز السنن القدريّة التي جعلها الله -سبحانه وتعالى- لا يجعل الإنسان في غنى أن يدفع ثمن تجاوز السنن.

فيجب أن تحسب حساباتك إذا أردت أن تدخل معركة، هناك هامش للتوكل على الله وهناك هامش للإيمان بالملائكة المردفين، هناك هامش لكلّ هذه الأشياء، إذا كان عندك سعة ولم تكن مجبرًا على المعركة، ولكن إن كان عندك فسحة أن تحسب إمكانياتك وإمكانيات عدوك وتستطيع أن توفر لهذه المعركة أكبر قدر ممكن؛ فإن تركك لهذه الطريقة هو ترك لـ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[66] فكان بإمكانك أن تتلافى بناءً على هذه الحسابات، وهذه الحسابات هي جوهر الواقعيّة.

[66] سورة الأنفال الآية 60.

ثم يأتي بقول لنابليون، قال: "تفيدنا الشجاعة في الشروع في أي عمل، ولكنها غير كافية لإنهائه"، الشجاعة تجعلك تبدأ ولكنها غير كافية لإتمام العمل، الذي يلزمك لإتمام العمل هو المواد اللازمة لإتمام العمل؛ الجنود الكافين، التخطيط الصحيح، والعوامل المادية لإتمام العمل.

بدون شجاعة لا يبدأ الجبناء الذين عندهم إمكانيات، إذا فقدوا الشجاعة فلا يبدأون رغم وجود الإمكانيات، ولكن مصيبة التيار الجهادي في كلّ التجارب التي دخلناها لم تكن أزمة شجاعة.

أزمة الصحوة الإسلاميّة في التعامل مع المرتدين خلال المائة سنة الماضية هي أزمة شجاعة؛ أنه لا يريد أن يدخل المعركة أصلًا، فيقول لك: "لا توجد إمكانيات"، طيب قل لي كم سنة تحتاج لتوفير الإمكانيات؟ فهو ليس عنده رغبة في تحصيل الإمكانيات أصلًا، فهذا مشكلته مشكلة نية وشجاعة في دخول المعركة، ولكن إذا توفرت الشجاعة فلا تعتقد أنها كافية لوحدها لإتمام المعركة، إتمام المعركة يحتاج بعد تقوى الله –سبحانه وتعالى– والاعتماد عليه إلى توفير الوسائط بالواقعية.

النقطة الأخرى قال: "هنالك أفكار حسنة، وأنظمة جيدة ولكنها غير صالحة للتطبيق في زمان معين أو بيئة معينة، والرئيس الصالح هو من استطاع التمييز بين الممكن وغير الممكن"؛ هنا جاء إلى جوهر السياسة، أقصر وأفضل التعاريف لعلم السياسة فقالوا: (السياسة فنّ الممكن)، شيء جميل جدًا الآن أن نضع مخططات وننتصر على أمريكا وندحر الروس ونفتح البلاد، هذا سهل جدًا على الورق.

البارحة جاءني أخ يطرح علي قضية: لماذا لا يكون لنا جهد كبير ويكون عندنا تجمع ضاغط وصف عربي منظم وبدأ يخطط هكذا، ولماذا لا يجتمع

الأخوة الكبار أنتم والجيل الذي سبقنا -يقصد جيلنا نحن- وتعملوا كذا، ولماذا لا يكون هنا مراكز دراسات..؟

وهذا الكلام جميل وصحيح، وأيّ إنسان عاقل مخلص يقول لماذا لا نمشي بهذه الطريقة؟ ولكن عندما تأتي إلى فنّ الممكن تنزل إلى أرض الواقع وتقول أريد أن أوحّد زيد على عمر، وتبدأ في دراسة الممكن وغير الممكن فتبدأ تحذف الاحتمالات لتجد القائمة في النهاية خاوية ويجب أن تبدأ بطريق طويل جدًا جدًا.

لا يمكن أن يوضع، هذا إن يسّر الله له، لأنه إذا كان يسّر الله له لكنّا في ألف خير ولما كنا محتاجين لهذه الدروس، لأنّنا كنّا قد أقمنا دولتنا وقضينا حاجتنا، نحن نعمل كل هذا الجهد بدءًا من المعسكر وانتهاءً بهذه الدروس النظرية لأننا غير واصلين، ونحن غير واصلين لأننا لم نأخذ بالسنن ولا تكاملت عندنا سبل الصواب، فلا نحتاج إلى مخططات هوائية فيها كثير من التفاؤل وكثير من التخطيط والتنظير.

ولذلك قال: "هناك أفكار حسنة وأنظمة جيّدة ولكنّها غير صالحة للتطبيق في زمان معين أو بيئة معينة، والرئيس الصالح هو الذي يستطيع التمييز بين الممكن وغير الممكن".

10. الدماثة والعطف

المعاملة الإنسانية من قبل الرئيس مع مرؤوسيه تخلق جوًا من الثقة والألفة، تخفف كثيرا من متاعب المهنة، تسمح بحل القضايا الشائكة بهدوء وبتفهم

القرارات والتوجيهات بشكل أفضل، وتخلص الخدمة العسكرية من بعض قسوتها وتسمح بإصلاح المرؤوسين.

المعاملة الإنسانية ليست سوى تصرفات صغيرة غير متكلفة صادرة من قلب بشري، كالسؤال عن الصحة أو الأولاد أو الحالة المالية والاهتمام بكل ما يهم الآخرين ويقلق بالهم.

والدماثة تسهل العمل وتصبغ متاعبه بصفة مستحبة. خاصة حين يتفهم الجميع أن هذه المتاعب إنها في سبيل مصلحة العامة.

المحبة المتبادلة تخلق الانسجام في العمل.

يقدم الأمير النصح أو التوجيه كأنه خلاصة لتجارب صديق أو أخ كبير.

القائد يتفاعل مع كل المناسبات بتشجيع وتهنئة أو تعزية بحسب المقام مما يشد أواصر المحبة في النفوس ويخلق شعور احترام ومحبة متبادل.

التعامل بدون دماثة يتسبب في الحقد والغضب والألم والمرارة لدى المرؤوسين.

لا يرد القائد بالكراهية على الكراهية ولا بالأعمال الأسوء على الأعمال السيئة فتشتعل نار البغضاء وتستعر.

لا تكن كمن ينقش أخطاء الآخرين مجسمة على النحاس ثم تكتب حسناتهم على سطح الماء كما قال شكسبير.

يوازن الأمير بين حسنات وسيئات مرؤوسيه فكلما رجحت الحسنات ارتفع رصيد الرحمة على السيئات.

وعلّق الشيخ أبو مصعب على "الدماثة والعطف" فقال: "ننتقل إلى صفة سمّاها: "الدَّماثة والعطف"؛ الدماثة تعني حُسن الطبع أو حسن الخلق أو هي إحدى إفرازات حسن الخلق، يعني عندما يكون الإنسان مؤدّبًا وحَسَن

المعشر، فربط بين الدماثة والعطف، وهي كلها في المعاملة، هذه الفقرات التي سنقرأها كلها شواهد على حسن معاملة الرئيس للمرؤوس.

قال: "تخلق معاملة الرئيس الإنسانية لمرؤوسه جوًا من الثقة والأُلفة، وتخفف كثيرًا من متاعب المهنة، وتسمح بحل القضايا الشائكة بهدوء، وبتفهُّم القرارات والتوجيهات بشكل أفضل، وتُخَلِّصُ الخدمة العسكرية من بعض قسوتها، وتسمح بإصلاح المرؤوسين وإلغاء الملاحظات القاسية الجافة، وتساعد على نشر فكرة التعاون نتيجة الألفة وحسن المعاملة".

لانّ عمليّة البناء التنظيمي ودخول المعارك والرئيس والمرؤوس هي حياة جافّة صعبة، فقال: تخلق معاملة الرئيس الإنسانية جوًا يلطّف هذه الحياة..

ثم قال: "ليست المعاملة الإنسانية سوى تصرفات صغيرة غير مُتكلَّفة صادرة عن قلب بشري -يعني قلب فيه حنان في عواطفي في إحساس-؛ كالسؤال عن الصحة أو الأولاد أو الحالة المالية والاهتمام بكل ما يهم الآخرين ويُقلق بالهم".

مثلًا أنت مقبل على كمين أو تدريب أو زحف أو تدريب متفجرات يحتاج دقّة وحضور؛ ورأيت واحدًا شاردًا غير مركّز، فإذا تريد أن تعمل كقائد عادي فستُتابع درسك وليس لك به علاقة شارد أو غير شارد، ولكن كقائد يتحلّى بالعطف والتي سمّاها دماثة وحسن المعشر؛ تخرج عن الموضوع قليلًا فتسأله عن صحته، هل عندك صداع؟ هل هناك شيء؟ ويمكن أن توقف الدرس قليلًا وتجعله يتصرف، أو تسأله عن الأولاد أو الحالة العائلية أو الحالة المالية أو إلى آخره.

ثم قال في النقطة التالية: "يكسب الرئيس احترام مرؤوسيه وتقديرهم بما يحمله من معروف، وبما يُقدّمه من أمثلة في الرجولة والحزم والانضباط، ثم

يكسب ثقتهم ومحبتهم باهتمامه بدقائق حياتهم -يعني تكونه علاقته معهم كعلاقة الأب والولد وليست العلاقة الجافة بين الآمر والمأمور- وباستماعه إليهم بكلّ تبسّط" يعني ينزل إلى مستواه ويكلمه على قدر عقله ويأخذ ويعطي معه بحيث يفهم مشكلته.

ثم وضع شرطًا مهمًا جدًا فقال: "شريطة أن لا يتعارض ذلك مع الانضباط -فلا يهدر شخصيّة الرئيس بهذا التواضع-، وبإفهامه أنه يهتم بمصلحتهم الخاصة بعد المصلحة العامة".

قال: "يعتبر الإنسان الحوادث الشخصية التي تمرّ كقضية ترفيع رتبته ونقله وولادة وفاة؛ يعتبرها أمور هامّة، والرئيس الذكيّ هو من علّق على هذه الحوادث ولو بكلمة تشجيع أو تعزية، فيشدّ بذلك أواصر المحبّة ويجتذب في النفوس شعورًا بتبادل العواطف".

هنا قال: "لا تردّوا على الكراهية بالكراهية، وعلى الأعمال السيئة بأسوأ منها؛ -يعني ولو بدرت الكراهية أو بدر عمل سيء من جندي أو مرؤوس أقل منك في الرتبة العسكرية أو في الإمارة فلا تردّ عليه بمثلها-، لأنّكم تُعقّدون بذلك الأمور وتزيدون نار البغضاء استعارًا؛ حاولوا أن تتفهَّموا المسيء وتحبّوه رغم خطئه؛ وسترون كيف يتبدّل بسرعة بعد ذلك، ولا تعتبروا التصرف على هذه النحو جبنًا أو ضعفًا، إنّه هو قوة تقهر الشيء السيء بالعمل الحسن".

يعني في كثير من الأحيان أنت تشتري رجلًا بالأخلاق، لا تستطيع أن تشتريه بالعنف والقسوة والشدّة فتشتريه باللين والأخلاق.

نكتفي بهذا القدر لأنّ الشواهد كلها بنفس المعنى؛ أنّ القائد يجب أن تكون علاقته حميمة دافئة علاقة أبويّة أسريّة وليست علاقة جافّة في حدود

العمـل التنظيمـي والجهـاد، لأنّ هـذه الأمـور بطبيعتهـا قاسـية وتولّـد علاقـات جافّة".

11. طيبة القلب

ليسـت مكافـأة القائـد في ثنـاء رؤسـائه بـل في تعلـق مرؤوسـيه الصـامت بـه لطيبـة قلبـه وشـدة إحساسـه، يقـول لاروي: "إذا أردت أن تعـرف قيمـة الرئيس، فارجع إلى نظرات رجاله لا إلى وصف رؤسائه".

يقـول أحـد القـواد: "لم أكـن أهـتم بحـب رؤسـائي ورضـاهم كاهتمـامي بحـب جنودي الذين أرتبط معهم برباط أخوي".

مـن الخطـأ الاعتقـاد أن الرحمـة والأدب يتنافيـان مـع السـلطة، والسـلطة الحقـة تبنى على المحبة الناجمة عن العدل والرحمة الإنسانية.

يقـول أحـد مسـاعدي فـوش يصـف طيبـة قلبـه: "كـان قاسيا في العمـل والقتـال فمـا أن ينتهـي العمـل حـتى ينقلـب لطيفًـا طيـب القلـب، يهـتم بالجنـود ويعـاملهم أحسـن معاملـة، لقـد كـان يقـول لي دائمـا: إن الـرئيس لا يخطـئ إن كان طيب القلب".

إذا كنت طيبًا سترى كل ما يحيط بك طيبًا.

يقـول جـورج دوهامـل: "عنـدما يشـعر الإنسـان أن طيبـة القلـب قـد غـادرت الكون فليعلم أنها لم تغادر في الحقيقة سوى قلبه".

القائـد الجـريء القـوي الطيـب هـو الـذي تنحـني لـه الأعنـاق وتفـتح لـه القلـوب، فالسلطة القوية مبنية على المحبة العميقة.

تبدأ المهارة عندما تفرض الإرادة دون قوة.

الهيمنة على الرجال تتطلب الهيمنة على قلوبهم.

النفس العظيمة نفس حرة لينة أليفة شعبية متواضعة يحترمها الناظر إليها عن قرب أو بعد، ويزداد احترامه بازدياد الاحتكاك معها، نفس تنحني بتواضع وعطف نحو المرؤوسين، ثم تعود إلى طبيعتها بدون عناء، نفس يقترب منها الآخرون ببساطة واحترام يدفعهم إلى ذلك محبة مشبعة بالإعجاب.

يقول أحدهم يصف قائدًا فاشلًا: "إنه ذكي جدًا ولكنه لن ينتج أبدًا، فهو بحاجة إلى محبة تعطي عمله صفة إنسانية تدفع مرؤوسيه إلى الأمام".

على القائد عندما يتكلم عن جنوده قائلًا رجالي أن يقدر قيمة هذه الكلمة، وأن يقول بعطف كما يقول الأب أولادي، أو المؤمن الصادق إخواني.

قال الشيخ أبو مصعب يعلق على هذه الصفة "طيبة القلب": "هذه الفقرة متعلقة بالتي قبلها من وجه من الوجوه وهي صفة "طيبة القلب"؛ يجب أن يتحلى القائد بطيبة القلب، أن يكون إنسانًا وليس مجرّد ميكانيك علوي يتحكم بمكانيك سفلي بدون مشاعر.

يقول كورتوا: "قد يُخيف القلب القاسي الجنود ويجعل منهم عبيدًا، ولكننا لا نقبل العمل مع العبيد في خدمة هدف مُقدّس".

في النهاية أنت هدفك ليس صناعة عبيد. وهنا موضوع تعرضت له في الأشرطة الأخرى المسجّلة عندكم، وقلت لبعض القوّاد هنا وفي أكثر من مناسبة وأكثر من تنظيم، عليك يا أخي باعتباركم في صدد عمل وفي صدد تكوين جماعات وأهداف سامية؛ عليك أيها القائد أن تختار هل أنت بحاجة إلى مجموعة قادة أو إلى كتيبة خدم؟ واحد من الإثنين؛ إذا كنت تريد عبيدًا فهذا سهل ولكن لا تطلب منهم عبقريات فيما بعد، فالعبد

المسحوق لا تخرج منه عبقريات ولا تخرج منه مبادرات لأنّك لم تعوّده أن يكون شخصًا مستقلًا ذا كفاءة.

الشخص القوي ذو الكفاءة شخص صعب القيادة، لأنّك صنعت منه إنسانًا محترمًا بشخصية وعقل وتفكّر، فلا يمكن أن تقول له: افعل كذا، فسيقول لك: "هذا الكمين غير صحيح فهل تسمح لي بالمناقشة؟"، فإذا قلت له: "ليس هذا من شغلك هناك ناس مختصون وأنت فقط افعل كذا"، فالإنسان المحترم لن يقبل منّك هذا الطرح ويجب أن يقتنع بالمهمّة، وأنا أتكلّم عن القائد وليس عن الجندي، أتكلم عن القائد الذي صنعته ليكون نائبك وتكون معه المشورة وإذا قُتلت واستراحوا منّك فسوف يأخذ مكانك ويُتابع حمل راية المسلمين.

فإذا صنعت إنسانًا إمّعة غير قادر على القرار فهذا الإنسان سهل القيادة ولن يُسبِّب لك متاعبًا، ولكن لن يُنجز الأهداف التي تتوخّاها للمسلمين، فعليك أن تختار بين تابع مسحوق أو قائد ناجح قد يكون صعب القيادة.

وأنا أتكلّم عن القائد المتبوع وليس عن الجنود؛ فالجندي الأصل فيه الطاعة وتتجاوزه ولا تبحث معه التفاصيل، ولكن القائد الذي تؤهِّله للصف الأول من القيادة؛ فعليك أن تختار بين خدم وبالتالي ابتداءً لا يشاورهم وإذا اعترضوا يقمعهم وإذا لم يقتنعوا يبيعهم في سوق العبيد ويتخلص منهم، هذا نوع والنوع الآخر أن تكون رجلًا قائدًا تريد أن تحُفّ نفسك بقيادة فاعلة. إما هكذا أو هكذا.

إذا أحد لم يفهم عليّ أضرب له مثالًا بسيطًا؛ تريد امرأة وزوجة تحمل معك البيت وتربي أطفالك وتجعلهم رجالًا كبارًا وتكون إنسانة مثقّفة وفاهمة تتباحث معك في شؤون المسلمين، وبعد جلسة الأخبار تجلس وتتكلم

معـك في القضـايا، إذا تريـدها هكـذا فهـذا النـوع مـن الزوجـات مُتعـب ولا يقتنع بسرعة ولا يأخذ الأوامر بسرعة.

وبالمقابـل إذا تريـد إنسـانة بسـيطة سـاذجة أميّـة تسـتطيع أن تـديرها بـدون إشـكال، وهـذا الأمـر يشـعر بـه الإنسـان الـذي كـوّن أسـرة. إذا تريـدها هـذه إنسـانة سـهلة المطواعـة تأمرهـا فتطيـع مباشـرة وهكـذا تقلبهـا يمينًـا وشمـالًا كمـا تريـد، مـع أنّ المـرأة يجـب أن تطيـع زوجهـا، ولكـن إذا تريـدها هكـذا لا تفكـر ولا تقـدر لا تقـترح ولـيس عنـدها أي هـامش؛ ففـي المقابـل لا تطالبهـا أن تكـون إنسـانة ذكيّـة ومُنتجـة وتحمـي غيبتـك ولـو تركـت لهـا ركامًـا مـن المشـاكل وخرجـت أنـت ملاحقًـا في سـبيل الله تُحلحـل أمـورك، لا يمكـن، إمـا هكـذا أو هكذا.

حـتى أنا مـرة سمعـت مـن واحـد قـال لي أنا تزوجـت إنسـانة مثقّفـة فـأنا أتحسّـر ويا ليتـني تزوجـت أميـة! وضـرب لي مثـالًا فقـال: الرجـل فـلان -وهـو داعيـة كبـير جـدًا في تيـار إسـلامي غـير جهـادي- مـن شـدّة تعبـه طلّـق زوجتـه الداعيـة الكبيرة المشهورة وحلف أن لا يتزوّج إلا أميّة وتزوج أمية وارتاح.

فخـلاص إذا كـان هـذا هـدفك أنـك تريـد أن تـرتاح فـلا تطلـب منهـا هـذا الإنتاج العظيم كإنسانة كبيرة وتطالبها أن تدعو إلى الله.

فـإذا تريـد قـادة محترمـين لا تخشـى علـى قيادتـك مـن مركـزهم، هتلـر حـفّ نفسـه بقـادة جبـابرة فلـم يسـحقوا شخصـيته ولم يتجـاوزوه، فهـو قائـد ملـيء أصـلًا. جنكيز خان كان حوله قادة عظام.

وتعـال ننظـر للقـادة المسـلمين، هـل تجـاوزت شخصـيات الصـحابة العظيمـة شخصـية الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام- في القيـادة؟، تعـال ننظـر لعمـر قـام للنـاس وقـال لهـم: قوّمـوني بسـيوفكم واقترحـوا علـي واعترضـوا، فهـل هنـاك

إنسان تجاوز شخصيّة عمر؟ لا أحد تجاوز شخصية عمر؛ لأنّ عمر قائد حقيقي بميّزات، والناس يحترمون القائد الحقيقي ويملأ عيونهم القائد الحقيقي.

وأنا قلت مرة لأحد القادة هل تريد أن نكون مائة ألف واحد، ونكون واحدًا وخمسة أصفار؟ وعندما يذهب والواحد نبقى خمسة أصفار، أم تريد أرقامًا فإذا ذهب الواحد بقي 99.999 ويكملون الموضوع بصورة هيكليّة.

لا تحاول أن تصنع أعوانك بالقمع، وإنّما ارفعهم إلى مستواك. مرة حضر معنا أحدهم بعض نصائح القيادة فقال: "يا شيخ نريد أن تساعدنا في جلسة استشارة لأحد التنظيمات"، فحضرت معهم في جلسة شورى لمجلس الشورى والأمير، تكلم الأمير، فتكلم أحد الذين يريد أن يؤهِّلهم لمجلس الشورى فالتفت إليه وقال له: "كيف تقول كذا؟"، فقال له: "لم أقصد هذا قصدت هكذا"، ثمّ تكلّم الذي بعده حصلت نفس القضية، فصدقني بعد ثلث ساعة بقيت أتكلم أنا وهو واستحى باقي الناس من القمع الذي حصل ولم يبقَ أحد يقترح أي شيء، وهي كانت الجلسة الأولى والأخيرة لعملية كان من المفترض أن تكون جلسة تدريب على عملية الشورى والمشورة واتخاذ القرار الجماعي!.

فبالمختصر إذا تريد قادة فيجب أن تصنع قادة بشخصيات قوية مع الأدب والاحترام والفهم ومعرفة حدود الأعلى والأسفل، ولذلك قال هنا: "قد يخيف القلب القاسي الجنود ويجعل منهم عبيدًا، ولكننا لا نقبل العمل مع العبيد من أجل هدف مقدّس"، في النهاية العبيد لن يعطوك الإنجاز الذي تريده.

في الفقرة التي بعدها قال: "الرئيس الطيّب القلب هو من كان قاسيًا على نفسه يعتبر المتاعب ناجمة عن أخطائه، رحيمًا بمرؤوسيه يعتبر أخطاءهم متاعب يسعى إلى تخفيفها".

كما قال الرسول –عليه الصلاة والسلام-: (الكيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنّى على الله)[67]، فإذا وقت مشكلة فالكيّس من دان نفسه لا الذي يُتبع نفسه هواها ثم يتمنّى على الله الأماني؛ في الآخر يريد فتوحات وانتصارات وهو أتبع نفسه هواها وتصرّف بطريقته ولم يَدِن نفسه وحمّل الأخطاء للآخرين وهكذا.

يقول المساعد عن فوش: "كان قاسيًا في العمل والقتال، فما أن ينتهي العمل حتى ينقلب لطيفًا طيّب القلب يهتم بالجنود ويعاملهم أحسن معاملة، لقد كان يقول لي دائمًا: إن الرئيس لا يخطئ إن كان طيب القلب".

يعني ليس خطأ أن يعامل القائد الجنود والأتباع بطيبة قلب، وطبعًا هناك توازنات صعبة جدًا؛ طيبة قلب وتبسّط مع احترام وأن لا يتجرأ عليك الناس، تواضع بدون أن تضيّع الإرادة العسكرية لاتخاذ القرار، هذه الأمور تحتاج أن تمضي بها بالحكمة والموازنة بينها بلا إفراط ولا تفريط.

قال: "لا يمكن الهيمنة على الرجال إن لم نستطع الهيمنة على قلوبهم".

ذكّرني هذا بقول الإمام عليّ –رضي الله عنه-: "من أحبَّ أطاع"، وهذا مشهود ومعروف، عندما يكون الناس في حالة ألفة فيقول القائد: "يلّا يا شباب لنفعل كذا" يطيعه الناس برحابة صدر، حتى الأولاد الصغار إذا كانوا في حالة من التفاهم وكانوا يلعبون بلعبة معينة فيتركوها ويذهبوا لأخرى بحالة

---

[67] ضعفهُ الألباني في 6 مواضع.

مـن الانسـجام بـدون تشـاكس، لأنّ هنـاك حالـة مـن الانسـجام والحـبّ فيمـا بينهم.

هـذه القضـية تـدخل في الحيـاة الزوجيـة، وتـدخل في تربيـة الأطفـال، وتـدخل بـين شـركاء التجـارة، وتـدخل في السياسـة وفي الحـرب وفي كـلّ شـيء، إذا لم تملك قلـب مـن معـك في العمـل المشـترك فلـن تسـتطيع أن تسـيطر عليـه وتسـيّره بطريقـة مناسـبة، حـتى ولـو كـان دابّـة أو خيـل، فـلا تسـتطيع أن تركـب الدابّـة وتكـون مطواعـة إذا لم يكـن هنـاك علاقـة حميمـة بـين الفـارس وهـذه الدابـة مـن خلال ما يسمّونه سياسة الخيل؛ ربطها فملك قلبها فأطاعته.

النقطـة التاليـة قـال: "يتعـذَّر الإنتـاج بـدون ثقـة متبادلـة بـين الـرئيس ومرؤوسـيه، وبـدون محبّـة حقيقيـة تهـيمن علـى كـل مـن يعملـون لهـدف واحـد، مـن مختلـف المراتب والدرجات".

وهنـا عمّـم الحـبّ مـن كونـه بـين القائـد والمقـود إلى أنّـه يجـب أن يكـون هنـاك حـبّ وانسـجام بـين أعضـاء الفريـق، ولـو رجعنـا لمقضـية الحـبّ في الله والعلاقـات الأخويّـة وكتـب الرقـائق والأخـلاق الـتي بنـت هـذا الأصـل؛ فسـنجد عنـدنا مـادّة كبـيرة جـدًا للتربيـة، يكفـي منهـا قولـه ﷺ : (لا يـؤمن أحـدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه)[68].

فأنـت تحـبّ لنفسـك أن تـرتاح في الليـل فـتُريح الـذي بجانبـك، صـدّقني الجهـاد عمليّـة عجيبـة جـدًا في كشـف النفـوس، مـرّة في خوسـت أيام الجهـاد السـابق نزلنـا ضـيوفًا علـى موقـع، جئنـا لـزيارة الإخـوة المـرابطين علـى مطـار خوسـت فرابطنـا معهـم أسـبوعًا، كـان هنـاك شـاب يمـني صـغير ونحيـف -مثـل معظـم الإخـوة اليمنيـين- نشـيط جـدًا فتجـده في السُّـخرة فيطـبخ ويحمـل ويضـع،

[68] صحيح البخاري: (13).

وانتبهت أنه عندما جاء المساء رآنا ضيوفًا وناسًا قادمين جددًا، فبدأ يسأل: "عندك بطانيّة؟"، وكان هناك دفعة من البطانيات والتبرعات الجديدة، وكان هناك بطانيات قديمة مليئة بالبراغيث والفسفس وهناك بطانيات جدية في البلاستيك، فأخذ يقسّم.

فهو يقسّم لاحظت أن بعض المجاهدين قام من بعد العصر للبطانيات الجديدة فوضع اثنتين تحته ولفّ واحدة وجعلها وسادة وجاء برابعة جعلها غطاء، ووضع غترته أو شيء من أشيائه كدلالة على أنّ حضرته سينام بعد ساعة فلا أحد يأخذ هذه الأغراض.

وكان جاء معي بعض الإخوة من أوروبا ليتدربوا، فعندما جئنا لنضع الطعام وضعوا السفرة فجلس، ويرى الصحون تأتي والناس تشتغل ذهابًا وإيابًا وهذا أخونا اليمني، ونحن كنّا في موقع في الصفوف الأولى والموت حاضر والشهداء يتساقطون؛ يعني لا يوجد أحسن من هذه الأجواء لتدفع الإنسان للخشوع والأخلاق الحسنة، فهذا هو أفضل جو يجعل الإنسان يتصرف بقرب من الله –سبحانه تعالى–.

فجلسوا وسقط وجهي لأنّ بعضهم كان جاء معي، ثمّ أثناء أكل الطعام التفت أحدهم وصرخ هكذا: "ملح، ما في ملح؟"، يا أخي قم جيب الملح لوحدك ولا تبهدلنا أمام الناس!، فوجدت أنّ الناس تتصرّف في الجهاد بحالة تدل على التربية وتدل على الأخلاق، فيصعب أن الإنسان يمثل فيها تمثيلًا.

ثمّ في آخر الليل وجدت هذا الأخ اليمني نائمًا هكذا متجمّع بدون غطاء بعد أن اطمأن أنّ الناس نامت، فقلت سبحان الله من هنا تفهم أن الله – سبحانه وتعالى– جعل للشهداء الذين هم أصحاب أعلى المنازل بعد

النبيين والصديقين؛ جعل لهم مائة مرتبة في الجنة، وما بين المرتبة والمرتبة كما بين السماوات والأرض[69]. فبماذا تفاضل هؤلاء الناس وكلهم قُتل في سبيل الله وذهبوا ليقاتلوا العدو؟ فهذا أبو أربعة بطانيات قُتل وذلك المتجمِّع حول نفسه قُتل، فليس من المعقول أن يكون هذا في المنزلة مثل ذلك.

قبل أيام قرأت أثرًا يجعل الإنسان يحزن على نفسه!، وفي الهامش سترى قضيّة كيف أنّ الإنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا كان يحب لنفسه هذه المنازل فيجب أن يحب للأخرين أن يبلغوا معه هذه النزلة، جاء في الأثر أنَّ "رجلًا من أهل الجنة من الدرجات العليا يرى أوّل ما يدخل على منزلته بريق ضوء التمع في أفق السماء، فيسأل ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان، فيقول: سبحان الله بما بلغ هذا؟ فعدّدوا له الفوارق فقالوا: كانوا يقوم حين تنام ويصوم حين تفطر..، فيجد في نفسه، فيُوضع في قلبه الرضا ويُصرف إلى منزلته"، حتى لا يحزن، ولكن لبرهة وهو في الدرجات العلا يرى أناسًا التمع نورها في السماء فوقه بمسافات كبيرة، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور فلان فيحزن.

فتربية الناس على هذه المعاني شيئًا فشيئًا تجعل المجموعة منسجمة، ولذلك جهاد بلا تربية ثم طلب النتائج والفتوح من أعجب العجب!، من أعجب العجب أن نقوم بجهاد بهذه الطريقة ونكتفي فقط بهذا الإعداد العسكري ولا نتعب هذا التعب ثمّ نريد النصر!

---

[69] أخرج الإمام البخاري في صحيح (2790) قول النبي -ﷺ-: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)

في أيام الجهـاد –وصـدقني لا أتواضـع علـيكم– أنا كنـت في أسـفل درجـات مواصـفات النـاس أثنـاء الجهـاد، كنـت بالمقارنـة كنـت أقـوم قبـل عشـر دقـائق قبـل الفجـر حـتى ألحـق أصـلّي ركعتـين، فـإذا كنـت علـى جنابـة أو أريـد الوضـوء بشـكل مبكّـر فـأرى واحـدًا سـاجدًا؛ فأذهـب لآخـر المعسـكر لأجلـب المـاء ثم أرجع فأجده لم ينفك من السجدة!.

فيجـب أن نتحـدث عـن مسـتويات النـاس ومسـتويات الحـبّ ومسـتويات الإخـاء ومسـتويات التربيـة؛ –ولـو خرجنـا قلـيلًا مـن الموضـوع– بـدون هـذه المحاضـرات وبـدون هـذا التكـوين لا تطمـع أن تقـيم قاعـدة صـلبة تسـتطيع أن تجاهـد بهـا، ولـو أخـذ بـك الوقـت ولـو تأخـرت؛ لأنّ الرسـول –عليـه الصـلاة والسـلام– والصـحابة والتـابعين وتابعـي التـابعين تـنخفض المرتبـة وتنـزل حـتى تصـل إلى مرتبـة الـذين أوصـلوا لنـا الإسـلام، فـإذا بـدأت بمائـة ينتهـي العمـل بستين أو سبعين ولكـن إذا كـان الطبقـة الـتي تبـدأ العلـم بمرتبـة عشـرين بعشـرين فالتي بعدها ستكون عشرة ثم ينقطع الموضوع ولا تقوم هذه القضية.

انظـر إلى مـا كانـت عليـه قضـية الحـب والعلاقـة بـين النـاس والتفـاني في أيام الجهـاد الأول وانظـر إلى مسـتوياتها في الظـروف غـير الطبيعيـة فسـترى الفـرق بـين النـاس، وعنـد ذلـك تـرى السـبب في النصـر وفي عـدم نـزول النصـر، وتـرى السبب في العقوبات وعدم نزول العقوبات وهكذا.

12. الحزم

وقد ذكر هذه الصفة الشيخ سعيد حوى في كتابه، ويقول عنها كورتوا:

الشـدة مـن أحسـن أسـاليب القيـادة عنـدما تكـون عاديـة لا تكلـف فيهـا. ولكنها تفقد الكثير من فعاليتها عندما تأتي بصورة مفاجئة وعنيفة.

على القائد أن يعرف ما يريد ويصر على طلباته حتى النهاية دون أن يمنعه ذلك من سماع رأي مساعديه وتصليح أخطائه وقراراته.

الحزم يداوي الوحدة ويشد أواصرها على عكس الضعف الذي يقتلها ويفككها.

يقول أحد القواد الكبار يصف قائد سريته عندما كان بمرتبة ملازم: "كان رئيسي برتبة نقيب، وكان قاسيًا وعادلًا بآن واحد ولم يكن أحد منا يفكر بمخالفة أوامره أو تنفيذها بشكل غير دقيق إذ كنا نشعر بوجوده يراقبنا بعينيه الجادتين حتى ولو كان غائبا.

كان يفتش السرية إبان العمل وينتقل من مكان إلى آخر بخطوات واسعة مطبقًا العدل بكل دقة وحزم، كان لا يتهاون ولا يسمح لأي جندي أو رتيب بإهمال واجبه.

لقد كنت أرافقه فأجد عنده أحيانًا مبالغة في التدقيق، وكنت أعتقد بإمكانية التسامح في بعض المواضع، ولكنني أشعر اليوم بأنه كان محقا فالنظام المستمر خير واقٍ للوحدة من الفساد والفوضى، والوقاية خير من العلاج.

كانت شدته تزداد بازدياد رتبة المسيء فالرتيب في نظره قدوة لا يجب أن يخطئ وخادم لواجب لا خادم لمنافع شخصية. ولم يكن يتواني عن تأنيب ضباطه أو رقبائه عند اللزوم ولكنهم لم يحقدوا عليه مطلقا".

هنالك مرؤوسون يودون الظهور بأي ثمن والغاية لديهم تبرر الواسطة، إنهم يريدون الوصول إلى الصف الأول ولو أدى ذلك إلى تحطيم الآخرين والسير على أشلائهم، إنهم يستغلون كل مناسبة ليتحدثوا يالسوء عن رفاقهم بغية إظهار تفوقهم وتشويه سمعة غيرهم.. هنا يجب أن يكون القائد حازمًا،

ومع هؤلاء ينبغي البطش، لأن التهاون ومسايرة هؤلاء الوصوليين، يضعف همم العاملين الذين يرون أن ثمرة عملهم الوجداني أتفه من ثمار التزلف الوقح، وينطوي عندئذ كل امرئ على نفسه، فيعمل بدون تعاون.

وينقلب التفاهم إلى حذر من الرفاق وكفاح للمحافظة على البقاء في جو مسموم.

هناك مرؤوسون أشد خطورة وأصعب كشفًا فهم مندفعون أمام القائد يطيعون الأوامر باندفاع مفرط، وتذوب شخصياتهم كليًا أمام من هو أعلى منهم، فإذا ما كانوا مع مرؤوسيهم عاملوهم بقسوة واحتقار وبدون تفهم أو رغبة في مساعدتهم أو مكافأتهم .. هنا يجب اللجوء إلى الحزم الواعي، المستند على معرفة القائد لكل فرد معرفة دقيقة مستمدة من التجارب العملية، لا مبنية على مظاهر الاحترام الخارجية.

كن دمثًا ولكن احذر أن تكون ساذجًا، كن على استعداد لمنح الثقة ولكن لا تمنحها إلا في الوقت المناسب للشخص اللائق.

منح الثقة لا يعني أن تنام بعد ذلك وتغمض عيناك هادئ البال بل أغمض عينا واترك الأخرى ساهرة تراقب المصلحة العامة.

ضع مساعديك في أحسن شروط العمل وحدد لهم المسؤوليات والصلاحيات والسلطات بتقنين، ثم زيدها باستمرار بحسب الظروف والإنتاج والإخلاص في العمل، ذلك خير من منحهم كل شيء بلا حساب، ثم الاضطرار إلى الانقاص نتيجة لعدم الكفاءة أو لكثرة الأخطاء، لأن من اعتاد سلطة صعب عليه التخلي عنها ومن نال صلاحيات هاله أن يتركها.

يحترم الجندي قائده عندما يؤمن بأنه ثابت حازم لا تتلاعب به الأهواء ولا تتقاذفه الآراء، ولا يستمع لذوي الحجة ولا يتزحزح إلا أمام الحق والمنطق السليم.

على القائد أن يكشف بين المتسابقين للحصول على تقديره من تدفعه الغيرة والمصلحة الشخصية ويهدأه لأنه خطر على تماسك الوحدة.

يقول فوش: "اعملوا بإصرار وحزم حتى تصلوا إلى الهدف ولا تنسحبوا من منتصف الطريق أمام المصاعب فهذا تخاذل وضعف".

وقال الشيخ أبو مصعب معلقًا على هذه الصفة "الحزم": "والحزم هو الجدّ والشدّة والجديّة في العمل، وهذا أيضًا له علاقة بقضية الطاعة وروح الجندية التي مرّت معنا سابقًا، ولهذا سنقلّل فيه من الشواهد فنأخذ ثلاثة وننتقل للذي بعدها. قال: "الشدة من أحسن أساليب القيادة عندما لا تكون مفتعلة متكلّفة، ولكنها تفقد الكثير من فعاليتها عندما تأتي بصورة مفاجئة وعنيفة".

هذا من أكبر الأخطاء التي يرتكبها القائد؛ أن يكون سمحًا سهلًا طبيعيًا وأخويًا وقبل قليل يتعشّى مع الجنود؛ ثم فجأةً يريد أن يصير قائدًا ويصيح، لا يستطيع الناس أن ينتقلوا معه هذه النقلة المفاجئة نفسيًا، وهذه من علاجاتها..، وهذه سألني عليها البارحة أحد الإخوة عن قضية الاختلاط بين القائد والمقود نأتي عليها إن شاء الله.

يجب أن يكون هناك روح للجد، يعني الآن ساعة سهر وسمر فتنتقل بصورة طبيعية إلى صفّ وطابور، فجاء الجد فانتقلنا، أمّا أن تفاجئ الناس فأعصاب الناس ليست مطاط تسحبها من الاسترخاء إلى الشدّة بصورة مفاجئة.

فقال: "الشدة من أحسن أساليب القيادة عندما تكون عادية لا تكلُّف فيها، ولكنها تفقد الكثير من فعاليتها عندما تأتي بصورة مفاجئة وعنيفة، يحقّ لكن أيها الرؤساء أن تكونوا حازمين وأشدّاء باستمرار، ولكن تجنبوا الانفعال المفاجئ بعد هدوء طويل" فلا يستطيع أن ينتقل بين شخصيّك التي ألفها وهذه الشدّة المفاجئة.

وقال في النقطة التي تليها، وهي نقطة متعلقة بالصفّ وتربية الجنود أكثر من تعلقها بالقادة، ولكن وضعها هنا -فيما أظن- للفت نظر القائد حتى ينتبه للجنود، قال:

"هناك مرؤوسون يودُّون الظهور بأيّ ثمن، والغاية لديهم تبرّر الوسيلة، إنّهم يريدون أن الوصول للصفّ الأول ولو أدّى ذلك إلى تحطيم الآخرين والسير على أشلائهم." يعني بالوشاية والسعاية والنميمة وكتم فضل الآخرين وإظهار فضله، يريد أن يقترب من الصفّ الأول ومن القيادة.

ثم يكمل فيقول: "إنّهم يستغلّون كلّ مناسبة ليتحدّثوا بالسوء عن رفاقهم بغية إظهار تفوّقهم وتشويه سمعة غيرهم، هنا يجب أن يكون الرئيس حازمًا ومع هؤلاء ينبغي البطش، -لاحظ الصيغة التي استخدمها، يعني يجب أن يقضي على هؤلاء وعلى وجودهم وعلى صفاتهم هذه-؛ لأنّ التهاون مع هؤلاء أو مسايرة هؤلاء الوصوليّين يوقف همم العاملين الذي يرون أن ثمرة عملهم الوجداني أتفه من ثمرة التزلّف الوقح، وينطوي حينئذٍ كل امرئ على نفسه فيعملون بدون تعاون، وينقلب التفاهم إلى حذرٍ من الرفاق وكفاحٍ للمحافظة على البقاء في جوّ مسموم."

فبالمفعول المعاكس لوصول هؤلاء أنّه عندما يرى واحد عامل ومجتهد وصول هذا النوع السخيف للأعلى فلا يعد عنده ثقة بجهده أن يمكن أن يوصله

بصورة طبيعية للقيادة، فيرى أن الناس بالتزلّف وبالوصوليّة وبالإمعيّة حقّقوا مراتب في الجماعة وفي التنظيم أكثر بكثير من رباطه في الخطّ أو جهاد أو قيامه وصيامه، فيرى أنّ الناس وصلت بأساليب غير شرعية وغير صحيحة، فعند ذلك يرجع لنفسه ولا يعود عنده رغبة في العطاء لأنّه لا يجد نتيجة لعمله.

فهذه من علل التنظيم والجماعات والعمل الجماعي التي يجب أن ينتبه إليها الرئيس.

وقال في النقطة التي تليها: "هنالك مرؤوسون أشد خطورة وأصعب كشفًا -من هذا المثال السابق- فهم مندفعون أمام الرئيس يطيعون الأوامر باندفاع مفرط وتذوب شخصياتهم كليًّا أمام من هو أعلى منهم، فإذا كانوا مع مرؤوسيهم عاملوهم باحتقار وقسوة وبدون تفهُّم أو رغبة في مساعدتهم أو مكافئتهم، هنا يجب اللجوء إلى الحزم الواعي المستند على معرفة الرئيس لكلّ فرد من أفراده معرفة دقيقة مستمدَّة من التجارب العمليّة لا مبنيّة على مظاهر الاحترام الخارجيّة".

يعني الإنسان إما مطيع أو غير مطيع، المطيع يطالب من تحته بالطاعة ويطيع من فوقه، يحترم من فوقه وبالتالي يطالب من تحته بالاحترام، وهنا ذكر نوعًا من الناس يكون مع القائد سلوكه التنظيمي وطاعته من أحسن ما يكون ولكن مع من هو أدنى منه يتعامل معهم بالقسوة والسحق، فما هي النتيجة؟

في النهاية قاعدة التنظيم مرتبطة بهؤلاء الذي نسمّيهم "قيادات الوسط"، القاعدة ليست مرتبطة بالأمير الأعلى ولا بالشيخ الأعلى ولا بمنظِّر التنظيم الذي قد يكون في بلد آخر، قاعدة التنظيم مرتبطة بالقائد المباشر؛ برئيس

المجموعة فرئيس المعسكر فرئيس التدريب، فتجد حسنات الرئيس لا تصل إلى قاعدة تنظيمه، فالذي يحصل هو فساد قيادات الوسط في هذه الجماعة.

أخيرًا تحت هذا العنوان قال: "يجب أن يتمتع الرئيس بشخصية طيبة قويّة وليس معنى ذلك -كما يعتقد الكثيرون- تمتعه بشخصية متكبرة صاخبة سريعة الانفعال، فقويّ الشخصية هو من حافظ على التفكير الواضح المنطقي رغم المتاعب، وبحث عن الحقيقة وتمسّك بها بكلّ إصرار مهما كلّفه الأمر، وثبت في المآزق بكلّ صبر ولو انسحب الجميع من حوله، وحكم بدون تحيّز على آرائه وتصرّفاته الشخصيّة، واعترف بأخطائه بكلّ صدق وأمانة".[70]

فقال: قويّ الشخصيّة هو رجل متوازن مع نفسه، منطقي، شديد حيث يجب، وحكيم طيب القلب حيث يجب، ومن أهم ما يجب أن يحكم على آرائه وأخطائه بصورة حيادية ولا يُحمِّل فشله إلى الآخرين.

13. العدل

العدل مطلب فطري، أما الظلم فيولد التأثر والثورة، حتى لو كان القائد محبوبًا.

وإن لم يظهر الجندي ذلك في حينه فإنه سيحفظه في قلبه كجرح صامت لابد أن يبدو على شكل حقد جارف أو كره عميق في المستقبل.

---

[70] قال أبو مصعب السوري معلقًا على هذه النقطة: يعني تمنيت لو كان الوقت أوسع من هذا لنقف معها مفردة مفردة.

العدل هو توزيع الثناء والتأنيب بكل تبصر والاعتراف بأعمال المرؤوسين الطيبة وأفكارهم المبدعة والتعمق فيها، ومراعاة أسباب الفشل لمن بذلوا قصارى جهدهم وإمكاناتهم ولم ينجحوا رغم ذلك.

العدل لا يتأثر بالمعرفة المسبقة أو المديح الذي يكيله المرؤوسون.

العدل هو احترام القائد للتسلسل الهرمي الموضوع من قبله ودعم المساعدين وعدم التدخل في عملهم دون علمهم.

العدل هو الاعتراف بالخطأ وتحمل نتائجه من قبل القائد وعدم إلصاقه بشخص آخر بحجة أو أخرى.

يقول ريشيليو: "إذا قبع الرئيس خلف مكتبه ولم يحتك مع مرؤوسيه ولم يراقبهم شخصيًا بل حكم عليهم بناء على أقاويل الآخرين وشائعاتهم، لم يبق في نظره شخص واحد صالحًا ومحترمًا ومهذبًا مهما كان عدد مرؤوسيه المحترمين الصالحين كبيرًا".

لا تجعل طلباتك كثيرة دون مبرر فترهق جندك من أجل تفاهات.

من العار أن يتحمل المرؤوس أخطاء قائده.

كل قائد قابل للإصلاح، ولتجعل أحكامك على الناس مؤقتة قابلة للتعديل، ولا تستعملوا سياسة الإقصاء التام، فهذا إجحاف، وظلم وأنانية وهروب من واجبك في إصلاح جنودك ومسؤولية تربتيهم في المجموعة.

تصنيف العامل بالسيء يفقده الهمة ويحط آماله في معاودة النهوض.

الانقطاع عن أشخاص يعني الحذر من أن يكونوا قد تغيروا.

يقول تشرشل: "أنا لا أفتخر بأني لم أبدل رأيي أبدًا حول الأشياء أو حول الأشخاص، لأن عدم تبديل الرأي أبدًا هو حماقة تماثل رفض الإنسان لأن يتعلم".

كم جذوة من جذوات التمرد والحقد أشعلها قادة متعسفون غير عادلين في قلوب الجنود أثناء الحرب.

العدل ألا يقدم وعودًا لا يمكنه الوفاء بها.

الصراحة تكسب الثقة.

قال الشيخ أبو مصعب عن هذه الصفة "العدل":"العدل، ولأنّ الموضوع فطري وطبيعي فنختصره، كتبت تسع نقاط أقتصر على أربعة وأتجاوز الباقي.

قال في النقطة الأولى: "يرغب الجنود فطريًا أن يسود العدل بينهم، فإذا شعروا بظلم رئيسهم تأثّروا وثاروا حتى لوكان هذا الرئيس مظلومًا – إذا شعروا أنه ليس هناك عدل فيكون سببًا للتفتّت والثورة في التجمّع–، وقد يتقبل الجندي القسوة والإرهاق ولكنه يفقد صوابه نتيجة التصرفات التعسفيّة –أي الظلم غير المبرّر– فإذا لم يظهر استيائه حفظه في قلبه كجرح صامت لا بد أن يبدو يومًا على شكل حقدٍ جارف أو كره عميق"؛ يعني الجندي ليس من الضروري أن يثور ولكن إذا شعر بعدم العدل يجمّعه ويخزّنه، وعلى كلّ حال فالظلم معروف وهو ضدّ العدل والظلم ظلمات ونتائجه وخيمة في الدنيا وفي الآخرة.

فبدأ يعرّف العدل فقال: "العدل هو –يقصد من العدل– توزيع الثناء والتأنيب بكلّ تبصّر، –يعني تعاقب الناس وتوزّع عليهم الجوائز، وتعطيهم العطايا والاستراحات والإجازات والعقوبات، بصورة متناسقة– والاعتراف بأعمال المرؤوسين الطيّبة وأفكارهم المبدعة والتعمّق فيها –يعني إذا أحسن الناس يحترم إحسانهم–، ومراعاة أسباب الفشل لمن بذلوا قصارى جهدهم وإمكانياتهم بلا نتيجة". يعني إذا واحد بذل جهده ولكن لم يأتِ بالنتيجة

التي تريد فعليك أن تتحققّ فإذا كان بذل قصارى جهده ولم يستطع فمن العدل أن لا تحمله نتيجة الفشل.

قال: "العدل -يعني من العدل- الوقوف على الحياد في كلّ مناسبة، وعدم الانحياز الناتج عن الاستلطاف أو النفور..". فإذا حصلت مشكلة بين جنديين وأنت تحبّ واحدًا أو يميل قلبك له لأسباب أخرى؛ ففي هذه القضية يجب أن تحافظ على الحياد.

يكمل فيقول: "وتأمين تحصيل المناصب على المرؤوسين وترفيعهم حسب الإمكانيات والمواهب الثابتة الأكيدة، وليس حسب المعرفة المسبقة أو المديح الذي يكيله المرؤوس"؛ يعني ليس حسب تزلّف المرؤوس تكون حصّته أكبر.

وأتجاوز هذا الموضوع لأنّ قضية العدل والظلم قضيّة بديهية والإنسان يستشعر العدل ويحسّ أنّه عدل، فالقائد حريّ به أن يعدل، ويستشعر الظلم والقائد حريّ به أن لا يقع بالظلم.

وذكر هنا تعريفات مفيدة، فقال: "لا شيء يكسب الثقة مثل الصراحة"، وجعل الصراحة من العدل، يعني من العدل مع المرؤوس أن تكون صريحًا وواضحًا معه فلا تطالبه بنتيجة وأنت لم تكن صريحًا معه ولم تعطه من المعلومات ما يكفي.

وأضفت عليها هنا باختصار فائدة: من العدل أن يفهم من سيكون منكم قائدًا أو من هو قائد أنّ هؤلاء الجنود الذي معه في هذه التنظيمات الجهادية وهذه التجمعات وهذا المهجر هم صفوة خلق الله في هذه الفترة، أو حتى نكون دقيقين من صفوة خلق الله في هذه الفترة؛ ناس هاجروا في سبيل الله، والله تعالى يقول في سورة الحجرات ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[71]، وفي اللغة العربية (إنّما) تستخدم للحصر، (أولئك) تفيد حصر، و(هم) تفيد الحصر، ثلاث أدوات للحصر. (...).

فهؤلاء هم الصادقون، فمن العدل أن القائد الكبير صاحب السابقة عندما يتعامل مع هؤلاء الناس؛ يرحم ضعفهم ويرحم أخطاءهم ويرحم أعصابهم ويرحم أنّ الناس تجشّمت وعندهم مشاكل ويعيشون في ظروف مادية سيئة، ومن أعظم ما يُحطِّم رجولة الرجل أن لا يتكسَّب، من قوامة الرجل على امرأته في بيته أن يتكسَّب، ولذلك قال تعالى﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[72].

فتجده مهاجرًا لم يعد يستطيع أن ينفق على نفسه محطمًا، وعنده مائة مشكلة ومشكلة، فمن العدل أن لا تطالبه بظروف الجندي النموذجي، يبدر من الناس الآن أخلاق وتجاوزات وأمور لو لم تأخذها على هذا الأصل فلن تحتمل، من العدل أن تقدِّر ظروف هؤلاء المرابطين المهاجرين الذين جاؤوا معك ليجاهدوا في سبيل الله.

هذا مطلوب من عدل القائد على المقود، والعكس صحيح، من العدل أن يُقدّر هؤلاء الأتباع وهؤلاء الجنود ظروف من يقودونهم في هذه المعركة، وأنّ هؤلاء أناس أيضًا تعبوا ونصبوا ووصلوا هذه المرحلة من الإرهاق، فمن العدل أن يقدّروا ظروف اختلافهم وعدم اتفاقهم، ومن العدل أن لا يطالبوهم بالحالة المثلى.

---

[71] سور الحجرات، الآية: 15.

[72] سورة النساء، الآية: 34.

وطبعًا نحن لا نقول لهم: "خلاص أنتم معكم حقّ لا تتفقوا"، ولكن نقول: من العدل أن الذي فوق يرحم الذي تحت، والذي تحت يقدّر ظروف الذي فوق.

ومن العدل أن يقدّر هؤلاء الجنود وجيلكم هذا الذي نسمّيه (الجيل الثالث في الجهاد) الذي لحق مؤخرًا؛ أن يقدّر ظروف من سبقه وأوصله لهذه النتيجة، من العدل أن تقدّر ظروف أولئك الذين ساهموا في إيجاد هذه الإمارة.

أنا أحزن عندما أجد بعض من أعرف أنهم كان لهم يد طولى جدًا في النتيجة التي حصلنا عليها فقاتلوا وتعبوا وجاهدوا؛ والآن مرمي تمامًا بكلّ معنى الكلمة يتكفَّف، الأمّة لا ترحم عظماءها!، ربّما أضرب لك مثالًا فلان وفلان من الناس الذين كان لهم –والله- بلاء عظيم جدًا والآن هم على هامش القضية، أصحاب خبرة خبرتهم مرميّة، وافرضوا أنه ليس عندهم شيء فهذا رمز يجب أن يُكرم، وإذا كنّا لا نستطيع أن نعمل له تمثالًا كما يفعل الغرب ولكن نحترم وجوده الآن.

فمن العدل أن يرحم القائد الجندي والجندي يرحم القائد في هذا الوضع الجهادي الصعب جدًا الذي نعيش فيه، أوردتها للذكرى".

14. احترام الكائن البشري

على القائد أن يعرف قيمة رجاله المادية والمعنوية، ثم يعاملهم كل حسب قيمته غير ناس بأنهم رجال عاقلون وأحرار.

الرجل يرفض العبودية والذل ولكنه لايكره الخدمة والعمل، بل يجد فيهما إرضاءً لغريزة الإخلاص فيه، شريطة أن يكون متأكدًا من احترام رئيسه وتقديره وثقته به ومعاملته له كرجل.

لا تشرف الشتائم القائد الذي يطلقها بل تخفض قيمته وتقلل احترام الآخرين له وتفتح في النفوس جرحًا لا يندمل.

كتب أحد القواد إلى ابنه الضابط الشاب قائلا: "لا تستعمل مع جنودك تعابير قاسية أو شتائم مهينة، ولا تتحدث أمامهم بألفاظ قذرة، واعلم أن هذا هو السبيل الوحيد لتكون محترمًا ولتصبح أوامرك مقبولة يسعى الجميع لتنفيذها برغبة وسرعة، ولتوحي لجنودك الثقة التي هي أصل الانضباط والنجاح".

إذا تحدثت مع جنودك ارفعهم إلى مستواك واحذر أن تنحدر إلى مستواهم.

وهذا ما كتبه في العام 1832 مدفعي لرئيسه الذي خدم معه في عام 1809: "سيدي العقيد... إن أهم قضية برأيي هي أن يكون الرئيس محبوبًا من جنوده، لأن الشخص لا يرغب في الموت لتنفيذ أوامر شخص يكرهه.

هل تذكرون معركة واغرام عندما حمي وطيس القتال، وقاتل لواؤنا ببسالة؟ وهل تعتقدون أننا كنا سنقاتل بمثل هذه البسالة لولا حب عميق نكنه لكم؟ إنني يا سيدي لم أر عقيدًا يحسن التحدث مع الجندي مثلكم، كنتم تحدثونه وكأنه ضابط مماثل لكم. لقد رأيت كثيرا من الضباط يحاولون تقليدكم فيتحدثون مع الجنود وكأنهم غدوا جنودًا مثلهم وهذا هو الخطأ بعينه".

عندما احتل العمل المعامل في فرنسا لاحظ الجميع أن المعامل التي لا تُضرب هي التي كان رؤساؤها يتصلون شخصيًا مع العمال ويهتمون بهم كأفراد، ويهتمون بعائلاتهم ومنازلهم، ويقدمون لهم المساعدة، كما لا حظوا الحقد العميق الذي أظهره عمال المعامل المضربة تجاه رؤساء عاملوهم كآلات إنتاج".

يحترم القائد العاقل مرؤوسيه حتى لو لم يكن راضيًا عنه.

حاول أن تأمر وتطيع ببشاشة وسعة صدر، فالكئابة والغضب صفتان مرضيتان، وقيمتك العملية أقل من قيمة الرجل العادي.

اللهجة المهذبة تخفف من قسوة الملاحظة وتجعلها مقبولة.

قال الشيخ أبو مصعب عن هذه الصفة "احترام الكائن البشري": الخصلة رقم ثلاثة عشر .. تحت هذا العنوان (احترام الكائن البشري) وضعت ستّة أو سبعة نقاط، يمكن أن أورد منها واحدة أو اثنتين وأعطيكم النتيجة باختصار. احترام الكائن البشري يعني أنّه يجب على القائد أن يتعامل مع الجنود والأتباع كبشر خلقهم الله تعالى وقال﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[73]، هذا الإنسان مخلوق مكرَّم.

فإذا كنت رئيسًا يجب أن تقدّر هذا، وحتى لو عاد زمن العبيد وكنت سيدًا وعندك عبد فهذا إنسان بشر، صحيح أنه أصبح مالًا ومتاعًا يُباع ويُشترى، ولكن تتعامل معه كإنسان من خلال الكرامة البشريّة أنّ له أحاسيس وقلب يفرح ويحزن ويترك أهله وأمه وعنده ظروف، فلا تتصور أنه آلة فقط لتلقي الأوامر التنظيمية وأداء المهمات، هذا خلاصة ما قاله هنا.

[73] سورة الإسراء، الآية: 70.

ففـي البدايـة قـال: "علـى الـرئيس أن يـذكر دائمًـا أن مرؤوسـيه كائنـات بشـريّة ذات مصـالح ومشـاعر ومشـاغل خاصّـة، فيهـتم بكـلّ هـذه الأمـور بدقّـة وسـريّة تامَّتين". في النهاية أنت تتعامل مع بشر وليس مع آلات.

الفقـرة الثانيـة أولهـا: "الجنـدي إنسـان"، والفقـرة التاليـة: "دعـوا الرجـال يتحمّلـوا المسـؤوليات"، وفي الفقـرة يقـول: "يـرفض الرجـل العبوديـة والـذلّ –ولـو كـان جنـديًا– ولكنّـه لا يكـره الخدمـة بـل يجـد فيهـا إرضـاءً لغريـزة الإخـلاص شـريطة أن يكون متأكدًا من احترام رئيسه له وهو يؤدّي الخدمة".

وهنـا وضـعت هامشًـا: هنـاك فـارق كبـير جـدًا بـين قواعـد العسـكريّة الإسـلاميّة وقواعـد العسـكريّة الطاغوتيّـة في قضـيّة العلاقـة مـع الكـائن البشـري، لـذلك كـلّ الجيـوش الغربيـة الطاغوتيّـة الكفريّـة بمـا فيهـا جـيش هـذا المؤلِّـف –الجيـوش الغربيـة– تقـوم علـى العقـاب والقسـر والاحتقـار وأمـور لا تليـق بالكـائن البشري، ولذلك هم يكتبون هذا من أجل التذكير بإنسانية الكائن البشري.

ومـن خـدم مـن الإخـوة في جيـوش الطواغيـت قبـل أن يأتي يـذكر الأسـاليب الـتي تتعامـل فيـه الجيـوش مـع المجنّـدين مـن أجـل كسـر العنجهيّـة الشخصـيّة ليحصُّلُوا نتيجة ضرورية وهي الاتّباع.

حـتى مـرّة جـاءنا مـدرّب أيام الجهـاد السـوري إلى العـراق وهـو شـيخ أذكـره دائمًـا بالخير الشـيخ أبـو أسـامة المصـري عبـد العزيـز علـي، أخـذ نخبـة مـن المـدربين ليـدربنا وكنـت معهـم، فأضـاف علـى بـرنامج التـدريب (النظـام المنضم)، وكان يشمل المسير العسكري: "واحد.. اثنين.. يمين.. يسار..".

حـتى أنـه مـن جملـة التمـارين كـان يقـول لنـا: "تمشـي وأذنـك معـيّ"، فيقـول: "امشـي.. أمـام.. يمـين.. يمـين.. يمـين.. يسـار"، فبـدأ (يخـربط)، فقلـت لـه: "يا شـيخ مـا فائـدة هـذه القضـية؟"، فقـال لي: "هـذه مـن الأمـور الـتي تـربّي

في الجنـدي أنـه علاقتـه مـع القائـد بأذنـه فقـط"، فـإذا قلـت لـه "يمـين"، لا يقـول لـك: "لـيش يمـين يا شـيخ؟" خاصّـة فقهـاء المسـائل هـؤلاء!، فهـو أي الشـيخ أبـو أسـامة يريـد أن ينهـي هـذه المسـألة، وأنا مقتنـع أن هـذا يجـب أن ندخلـه لتـدريبنا هنـا، ولكـن أنـت ويـن والقضـية ويـن؟ مـع هـؤلاء الإخـوة الـذين يريـدون كـل قضـية بـدليل وكـل قضـية بـنصّ، فتقـول لـه يمـين يقـول: "جيـد نحـن مـن أصـحاب اليمـين"، تقـول لـه "يسـار" يقـول: "لـك لمـاذا؟ كيـف نـذهب يسار؟".

مـرة أخرجنـا بتـدريب بالليـل فقـال "أمـام.. يمـين.. يسـار.. أمـام"، وكنّـا في معسـكر في بغـداد، فـإذا بـه يسـتقبل بنـا المسـبح، ونحـن في شـهر الثـاني في بغـداد حيـث المـاء متجمـد 6-7 سـم في المسـبح، وأنا لا أجيـد السـباحة ولم يفـتح علـي الله في هـذه الرياضـة، فبقـي يقـول: "أمـام.. أمـام.. أمـام.. أمـام"، فقـز الجنـود واحـد تلـو الآخـر في المسبح!، فوقفـت في حافـة المسـبح وقلـت لـه: "يا شـيخ أنا لا أعـرف السـباحة"، فجلـس يقـول:" أمـام.. أمـام.. أمـام.." ودفعـني هكـذا علـى المسبح، فنزلـت في المسـبح، فـأنا أسـتطيع أن أسـبح لمـترين أو ثلاثـة فقـط، فوصـلت للحافـة وخرجـت، ووقـع واحـد مـن النـوع الـذي لا يستطيع أن يسبح أبدًا، فقطعنا التمرين وأخرجناه وهو كاد يختنق رسميًا.

فقـت لـه: "مـا الفائـدة مـن هـذه القضـية؟"، فقـال: "الفائـدة مـن هـذه القضـية أنـه لا أحـد ينـاقش في أي مهمّـة عسـكريّة، ولا أحـد يقـول (لـيش؟)" حـتى لـو القائـد أدخلـك في حقـل ألغـام أو أدخلـك في قصـف لا يوجـد (لـيش؟) في هذه القضية، أنت مقتنع أن القائد يعرف الأرض فتطيعه وانتهى الموضوع.

وطبعًـا لـيس فقـط أمـر أو اثنـين أو ثلاثـة غائبـة عنّـا -نحـن قـوم منصـورون برحمـة الله تعـالى- ولكـن أمـور كثـيرة جـدًا غائبـة عنـا منهـا هـذه القضـية، صـحيح

يجب أن تحترم الكائن البشري ولكن هناك قوانين للجنديّة مهضومة يجب أن تُعرف على أُسس العسكرية الإسلامية، بل أقول لكم أنّ هناك كثيرًا مما يدور في جيوش الطواغيت هي أمور مجرّبة وليست في باب الحلال والحرام بل قضية جُربّت فأعطت نتيجة في قضية السمع والطاعة والروح العسكريّة.

فهو في هذا الباب "قواعد في احترام الكائن البشري"؛ يعطيك قواعد للاحترام ثمّ يحذّرك أنّ هذه قد تؤدي إلى هدر شخصيتك، وهذه قد تدخلك في الغرور، هذه قد تدخلك في التكبّر، والبحث هذا كلّه هكذا، ولعلنا في فرصة أخرى نفصّل فيه.

هنا جاء بقاعدة مهمة جدًا في القضايا النفسية، فقال: "إذا تحدَّثت مع جنودك فارفعهم إلى مستوى القائد".

فهو يقول تبسّط واجعل هناك حالة حميميّة بينك وبين الجنود، فإذا كنت أنا جندي في المرتبة 9 وأنت قائد في المرتبة 80 فحتى نكون في حالة واحدة فأمامنا خياران، إما أن أصعد أو تنزل، يعني إمّا أن ترفعني وتتحدث معي بمستوى من اللياقة أو تنزل إلي وتتكلم معي بمستوى منخفض. فقال هنا: إذا كنت ستتحدث مع الجنود فارفعهم إلى مستوى القائد ولا تنزل إلى مستوى الجندي، فتكلمه كإنسان محترم.

يعني إذا دخلت عليهم فلا تجلس معهم في الطين وفي القضية حتّى تتبسّط، بل تعال به لعندك وأجلسه جلسه محترمة تُشعره أنك وإياه سواء وأنت تحترمه ككائن بشري، فأنت احترمته ككائن بشري في مستوى القائد ولم تحترمه ككائن بشري بأن تنزل لمستوى الابتذال، لأنّه عادة الجنود والرعاع مستوى حياتهم مُبتَذَل لا يليق بالقائد، يأتون بأشياء لا تليق بالقائد، فليس من التواضع أن يدخل القائد على مجموعة من الجنود فيجدهم يجذبون

بعضهم ويتدافعون ويضحكون، فيقول القائد: "هيّا لنتواضع مع الشباب"، فيقوم ويترك أغراضه وينزّل رتبه العسكرية ويضع عمامته على الأرض ويقول: "تواضع من أجل أن يحسّوا بكرامة الكائن البشري"!.

يُحترم الكائن البشري إذا أنت رفعته لمستواك كقائد وليس إذا نزلت إلى المستويات الطبيعية التي لا بأس بها بين الجنود، هذه الممارسات الطبيعية البشريّة من المزاح والضحك ليست عيبًا بين الجنود ولكن عيب أن تحدث بين القائد والمقود لأنها تهدر من شخصية القائد.

البارحة أخونا سألني عن قضية الطعام والنوم والحياة اليومية؛ هل الأفضل أن يعيشها القائد مع الجنود أو يتميز عنهم؟ يعني هل تنزل القيادة وتأكل مع الجنود أو تأكل في غرفة خاصّة؟ قيادة المعسكر تأكل في غرفة خاصة.

كثيرًا ما اشتكى الإخوة في الجهاد حتى رفعوا شكوى كبيرة للشيخ أنّ القيادة يأكلون لوحدهم في غرفة ولا يأكلون مع الجنود، فإذا كنت قائدًا فأيّهما أفضل؛ تأكل لوحدك أو تأكل مع الجنود؟ تنام معهم أو تنام لوحدك؟

فأنا بالتجربة وجدت أن كثرة الأكل والشرب معهم والإتيان بالنشاطات الإنسانية العادية مع المرؤوس؛ تذهب بهيبة الرئيس، وتذهب بهيبة الأستاذ، وتذهب بهيبة القاضي، وتذهب بهيبة الشيخ في الدرس، وتذهب بهيبة إمام الصلاة.

ومن الأشياء التي قرأتها عن كثرة الاختلاط عن ابن القيم أو ابن الجوزي أنه نقل حكمة عن حكيم ينصح ابنه فقال: "ألا ترى أن من أكثر من مخالطة السباع لم يعد يهابها"، يعني مروّض الأسود كل يوم مع الأسود يُؤكلها ويعيش معها فلم يعد يخاف من الأسود.

هيبـة القائـد والقاضـي والإمـام والشـيخ والأسـتاذ تضـيع مـن خـلال كثـرة الاحتكـاك، على أن يكـون بـين الفـترة والفـترة دليـل على أنـك متواضـع ولسـت متكـبرًا بأن تأتـيهم مـرة فتأكـل الطعـام معهـم وتشـرب معهـم كـأس شـاي ممّـا يـدلّ على أنّـك لسـت متكـبرًا علـيهم وتختلط بهـم بصـورة تلقائيـة طبيعيـة، هـذا بـين القائـد والجنـود ولـيس أبنـاء الطبقـة الواحـدة، يعـني بـين الأمـير وأعوانـه التَّماس أكبر.

تقـرأ في التـاريخ أمـور عـن هيبـة القـادة أشـياء تظنّهـا مـن الخيـال!، ذكـروا في مناقـب العـزّ بـن عبـد السـلام (سـلطان العلمـاء) عنـدما ارتحـل مـن الشـام إلى مصـر وكـان نجـم الـدين أيـوب والي مصـر؛ فـذكروا مـن شـجاعة العـز بـن عبـد السـلام، مـا تسـتفيد منـه جـبروت نجـم الـدين أيـوب هـذا؛ قـالوا: "كـان نجـم الـدين أيـوب إذا دعـا أمـراءه للاجتمـاع والمشـورة ودّع كـلّ مـنهم جواريـه ونسـائه وعبيـده"، لأنّـه مـن المحتمـل أن يقتلـه في المجلـس، فعنـده احتمـال أن لا يرجـع إلى بيته، فلا أحد يتكلم ولا أحد يرفع عينه بعينه، من هيبته.

فلمّـا جـاء العـز بـن عبـد السـلام كـان السـلطان نجـم الـدين أيـوب يمشـي في الطريـق بهيلمانـه وبكـلّ هـذه الهيبـة؛ فنـاداه الشـيخ: "يا نجـم الـدين"، هكـذا باسمـه، قـالوا لـه هـذا الشـيخ فقـال: "مـاذا تريـد؟"، فقـال: "كيـف تسـمح أن تكـون في مملكتـه هـذه الخمـور والخمّـارات؟"، قـال: "يا إمـام هـذه لم أَبْنِهـا أنا، هـي مـن عهـد أبي"، فقـال لـه: "تقـول لربّـك ﴿إِنَّا وَجَـدْنَا آبَاءَنَا عَلَـى أُمَّـةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[74]".

فـانظر إلى هيبـة العلمـاء علـى هـؤلاء الأمـراء، فموضـع الشـاهد أن الأمـراء في مجلسـهم وقيـادتهم وإمـارتهم لهـم هيبـة، فـالمفروض أن يحفظوهـا ولا يـدمّروها لأنّـه

---

[74] سورة الزخرف، الآية: 23.

لا يقوم السلطان إلا بهذا. الإنسان عندما ينام يتبسّط في اللبّاس ويسترخي، وأثناء النوم يقوم بحركات لا يشعر بها، فلا يجوز أن يراه الأتباع بهذه الحالات، ولا يجوز أن يروه بأحوال الطعام العادية، ولذلك اعتزال الأمير عن جنوده بقدر يؤدِّي إلى الهيبة، وعدم تماسِّه بهم نهائيًا يؤدي إلى القيادة الميدانية والتكبّر، فالأصل –في ظني– الاعتزال والاستثناء هو الخلطة، ولكن كلّه من خلال قضية (احترام الكائن البشري).
ذكر الكاتب أيضًا قواعد كثيرة من بدهيّات الأخلاق؛ فقال من احترام الكائن البشري أن لا تصيح ولا تشتم لا تأتي بحركات غير طبيعية ولا تضرب ولا تتجاوز كرامة هذا الكائن البشري لأنه جندي، ونحن كمسلمين يجب أن تعرف أن الله تعالى سائلك عن كل مرؤوس، وبالتالي كل تجاوز من تجاوزاتك ستُسأل عنه، وهذا عندنا في عسكرياتنا وليس موجودًا عند المؤلّف.

– وقفة بشأن الهيبة

ويجدر في هذا المقام نقل ما ذكره الشيخ القائد قاسم الريمي (رحمه الله) في مسألة الهيبة عند شرحه لكتاب مختصر السياسة والحروب لابن الهرثمي حيث قال:"نرجع من جديد لقول ابن الهرثمي –رحمه الله–: "قالوا الغرض الذي يجري إليه السائس الكامل في سياسة أصحابه ثلاث خصال، الأولى المحبة، والهيبة منه والهيبة منهم له، والمحبة من بعضهم لبعض، وقد يُحتاج في اجتماع هذه إلى آلات كثيرة وأعمال لطيفة".

قلنا أن مسألة المحبة ما بين الكل هذا مطلب شرعي، وأما مسألة أن يخلقوا المحبة للسائس، وأن يخلقوا الهيبة في قلوبهم له، فهذه ليست من السياسة الشرعية في شيء، وإنما هي من سياسية الملوك، لأن المحبة مطلب، ولكن المحبة والهيبة هذه شيء يوهب ولا يفرض، هو من الله عز وجل ويوهب لقيام الأمير بواجباته.

فمسألة أن نجعل المحبة والهيبة هي غاية فهذه مشكلة، ثم لماذا نجعل المحبة والهيبة هي غاية بدل أن يقوم الأمير بواجباته!

وأن يقوم الأمير بأعمال من أجل أن يحبوه، ويقوم بأعمال من أجل أن يهابوه، فقد جعل المحبة له والهيبة له هي الأصل، وهي ليست الأصل، هذه نتائج تأتي بعد أن يقوم الأمير بواجباته وقد تقع وقد لا تقع بحسب مشيئة الله، وفي الغالب تقع فضلا من الله سبحانه وتعالى.

لكن أن أسعى إليها، فليس لي أن أسعى إليها، ولنا في عمر ﷺ أسوة حسنة، كان يخاف من موضوع الهيبة التي كان يهابه المسلمون لها، ويدعو الله عز وجل فيقول: "اللهم لا تجعلني ممن آذى المؤمنين بسبب هيبتهم مني" .

فقد يقبل عليه صاحب حق – مظلوم - لكنه لا يستطيع أن يكلمه، لأنه يخاف منه، يتهيبه، فكان عمر ﷺ يسأل الله عزوجل أن لا يكون ممن آذى المؤمنين بسبب الهيبة التي ألقيت عليه، لهذا أن تأتي وتزرع الهيبة فهذا ليس من السياسة الشرعية في شيء.

وقلنا أن الهيبة تُمنح، وهي تمنح من الله عز وجل لعباده الصالحين، وقد تمنح للعالم، كما قد تمنح لعامي من عوام الناس، تجد له هيبة عظيمة، ذلك أن

الهيبة هي هيبة الدين، هي هيبة الامتثال، وليست هيبة المنظر والموكب والأسلوب الذي يتعامل به.

ونجد الطواغيت يفرضوها باتخاذ أساليب لكي يهابهم الناس، كالسجون والتعذيب والقمع والتهديد، أي وسائل تسمح لهم بفرض الهيبة على الناس يعمدون إلى اتخاذها، بما في ذلك التمايز فمجرد التمايز يخلق منه هيبة، إذن هذه سياسة الملوك والسياسة الشرعية مخالفة لها تماما.

والذي يسعى إلى تحصيل الهيبة فيه نقص في ذاته، لأنه لا يستطيع أن يتعامل إلا بخلق هيبة له، والهيبة كما أسلفنا شيء يؤتى من الله عزوجل، فمجرد بحثك عنها يعني أنك ناقص، والأصل ألا يطلبها الإنسان، فأنا لا أقوم بالواجبات الشرعية التي علي من أجل أن أهاب، معاذ الله، أو من أجل محبة الناس، فمسألة البحث عنها، وتوظيف أسباب لتحصيلها هذه ليست من السياسة الشرعية في شيء، وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال، أوتي النبي ﷺ برجل ترتعد فرائسه، فقال له رسول الله ﷺ: " هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحة".. تأكل القديد أي اللحم المجفف أو المملح، ثم تلى جرير (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد). وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث، تأتي الجارية فتأخذ بيد النبي ﷺ وتطوف به في سكك المدينة، حتى تقضي حاجتها، هذه الجارية، تأخذ النبي صلى الله عليه وسلم وتذهب معه في كل مكان، وهيبته ﷺ ليس لها مثيل، فهل نقول إذن أين هيبة الأمير؟ لأن بعضهم يقول كثرة المساس تفقد الإحساس، فلا تختلط بالناس حتى لا تفقد الهيبة، ولكن هذه لا تستقيم!

ثم هل المحبة أو الهيبة لها أساليب نفرضها على الناس ؟ بالتأكيد لا، وإنما هو شيء في قلب الذي تتحدث معه أو تتعامل معه، يقذفه الله عز وجل.

ثم لماذا نذكر مسألة الهيبة، لأننا نجدها في الميدان فمثلا يقال أن الأمير الفلاني لابد أن يكون أكله مميزًا، ومشيه مميزًا، وسيارته مميزة وطريقة مقابلته مع الناس مميزة، حتى نحافظ على هيبة الأمير، وما أنزل الله بها من سلطان، تجده لا يمشي إلا في الموكب الفلاني، وتأتي الحراسة قبله، ثم إذا أخطأ، يقال كيف تعاقب الأمير ؟! أنت تسقط هيبة الأمير!

فمن أين أتينا بهيبة الأمير؟ نحن نعلم أن لنا حقوق وواجبات وهو أيضا له حقوق وله واجبات، ولكن في الأثر (من أهان الأمير أهانه الله) إذن له شيء أعظم من هذا كله أو من مسألة الهيبة التي يدافع البعض عنها، يكفي أن له سلطانا من الله عز وجل أعطاه إياه وكفله إياه، لا نبحث نحن عليه.

وفي نفس السياق هيبة التنظيم أو هيبة الجماعة، فإذا ما بذل الناس أنفسهم وقالوا نحن محكمين لكم فيما جرى، نحن باذلين في الحق، يقول لك أحدهم لا نقبل لأجل أن تبقى هيبة التنظيم!

فمن أين له هذه؟! هذه ما أنزل الله بها من سلطان.

تأتي مسألة أخرى مهمة، هل معنى هذا أن نقول للأخ كن هزليا بدل ذلك، هذه أيضا لا تستقيم.

لأنه بذلك حين يوجه أمرًا للإخوة، فلن يأخذوه بحقه، لأن الأخ عودهم مسألة الهزل فلا يميزون جده من هزله، وعودهم أن الأوامر يعطيها ثم يمزح بها، فهذا لا يستقيم البتة.

والأشياء التي تخل بالمروءة، والأشياء التي فيها شيء من الهزل، فهذه لا يظهرها الأمير أمام الناس، لأن هذه ديانة، ومن لم يستحي من الناس لا يستحي من الله، وبعض السلف كان يقول: نحن إذا خلونا صبونا، بمعنى أنني إذا اختليت بنفسي لابأس أن أقوم بالحركات الصبيانية لكن أمام الناس فلا يجوز لي أن أتعامل بما يخل، وهذا ينطبق أيضا على بعض الكلام الذي لا يجب أن يقال، قد تقوله لزميلك في خلوة لكن أمام الناس يحسب عليك كدلالة وفلان قد قال كذا وكذا.

هنا نطرح أيضًا مسألة أخرى، ففي بعض المشاهد، يرسل العدو رسولًا يفاوض عنه، مثلا، في هذا الموقف لا بأس أن يظهر الأمير بمظهر فيه شيء من الهيبة، لأن القوم لا يفقهون إلا هذا، والعدو عندما يرى هذا المنظر يهابه، فالهيبة هنا ليست على المسلمين وإنما على أعداء الله عزوجل ولكل مقام مقال.

مثال على ذلك عندما ذهب عمر ﷺ إلى الشام استقبله معاوية ﷺ بموكب كبير، فلامه عمر ﷺ فقال معاوية: يا أمير المؤمنين نحن بأرض الله ... فلله هذا، أو بهذا المعنى، فقال عمر: إن كان الأمر كما ذكرت فلا آمرك ولا أنهاك، إذن رأى عمر أن الأصل أن لا يكون هذا مع المسلمين ولكن ما دام هناك علّة، وهذه العلّة قوية جدًا، فلا آمرك ولا أنهاك، وإنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن.

مثال آخر عن النبي ﷺ في الحديبية، فمعروف كيف كان الصحابة يعظمون النبي ﷺ، كيف كانوا يوقروه ويعزروه، لكن في الحديبية كان الأمر أعظم، فعندما جاء سهيل بن عمرو ورأى، رأى مشهدًا لم يره عند الملوك ولا غيرهم، لقد رأى تعظيمًا عظيمًا للنبي ﷺ، ما أن تخرج النخامة حتى

يتبادروها، ولما أراد أن يمسك لحية الرسول ﷺ قال أمط يدك عن رسول الله ﷺ، ما رأينا المشهد هذا في غير هذا الوقت، إذن هنا لها حكمة وهي هيبة ليست على المسلمين.

فلا أخلق هيبة على أصحابي ولا أسعى لها.

وما ينطبق على موضوع الهيبة ينطبق على موضوع المحبة، أتعامل بحب مع إخواني، نعم، أتحبب إليهم، نعم، لكن أن أعمل العمل الفلاني حتى فلان يحبني، وفلان يحبني لكي أسوسه، هذه ما أنزل الله بها من سلطان.

والخلاصة في موضوع الهيبة والمحبة، أنهما شيئان يوهبان ولا يفرضان، وليسا بغاية يسعى لهما الإنسان وإنما هما تحصيل حاصل، يحصلان بقيام الإنسان بواجباته، لكن لايسعى المرء لأن يخلق الهيبة على إخوانه، أو يسعى من خلال تصرفاته أن يحبه الناس ثم يسمعون له ويطيعون.

قد يقصد ابن الهرثمي أن تسوس الناس بالمحبة، هذا الكلام صحيح، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) لكن مسألة المحبة ومسألة زرع الهيبة، ليستا مقصدًا أبدا.

وقد يقول قائل - وهذه المسألة نجدها في بعض الكتب- أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان مهابًا، وكان الكثير من الصحابة يقول أحدهم أنه ما ملأ عينه أو ما أشبع عينه من النظر في وجه النبي ﷺ هيبة وحياء منه صلى الله عليه وسلم، فيقول القائل كان حكم النبي ﷺ أو كانت سياسته ﷺ لأصحابه بالهيبة، ثم تغير الزمن، وجاء أبو بكر ﵁ ، وقل إيمان الناس فكانت سياسة أبو بكر مع أصحابه، بالكلام، ولم تكفي الهيبة كي يمتثلوا لأوامره، ثم تغير الزمن، فجاء عمر ﵁، فساس الناس بالدرة، ثم تغير

الـزمن، وقـل الإيمـان أكثـر، وجـاء علـي بـن أبي طالـب ﷺ فسـاس النـاس بالسيف.

ويقـول كلمـا جـاء زمـن كـان أشـر مـن الـذي قبلـه، ولهـذا تـزداد مسـألة الشـدة، فكانــت السياســة بالهيبــة ثم كانــت بالكــلام ثم كانــت بالــدرة ثم كانــت بالسـيف، بحسـب نظـر صـاحبه، وهـذا الكـلام غـير صـحيح البتـة، وإنمـا عامـل النـبي ﷺ النـاس باللـين والرحمـة وأيضـا بالشـدة، فقـد غضـب ﷺ، وقـال مـا بال أقوام كذا، وهجر النبي ﷺ، وعاتب ﷺ.

والأصـل في السياسـة العامـة (فبمـا رحمـة مـن الله لنـت لهـم)، لكـن تعامـل النـبي ﷺ مـع كـل حـدث بحقـه، ثم لمـا جـاء أبـو بكـر ﷺ، لم يسـس النـاس بالكلمـة بــل أول مــا بــدأ ﷺ اســتخدم الســيف، واســتخدامه الســيف كــان أمــام الصـحابة أنـه علـى أصـحابه، حـتى قـال عمـر ﷺ وغـير عمـر، كيـف نقاتـل مـن يقـول لا إلـه إلا الله؟ مـع أن أبـو بكـر ﷺ كمـا يخـبر النـبي ﷺ، (أرحـم أمـتي بأمـتي أبـو بكـر) ولكنـه اسـتخدم الشـدة، بـل أبـو بكـر ﷺ قـال لعمـر: أجبـار في الجاهليـة خـوار في الإسـلام؟ فهـذا أبـو بكـر الـرحيم الشـفيق علـى أمـة مُحَمَّد ﷺ اسـتخدم أيضـا الشـدة، وحـين نـرى عمـر ﷺ، علـى شـدته، كمـا قـال رسـول الله ﷺ (أشـدهم في ديـن الله عمـر)، كـان يقـال لـه أيضـا صـاحب القلب الرحيم، وكثيرة هي مواقفه المؤثرة التي تؤكد هذه الرحمة.

وكـذلك علـي بـن أبي طالـب رضـي الله تعـالى عـن صـحابة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، أجمعين.

فكيف كانت السياسة لديهم؟

إذا احتـاج الأمـر إلى شـدة كانـت الشـدة حاضـرة، وإذا احتـاج الأمـر إلى لـين كــان اللــين حاضــرًا، وإذا احتــاج الأمــر إلى مجــرد كلمــة، كانــت الكلمــة

موجودة، وإذا احتاج الأمر إلى عتاب كان العتاب موجودًا، إذن التعامل كان بحسب مقتضى الحال وليس بالتسلسل المزعوم.

ولو أخذنا بهذا الرأي، في أنه كان في عهد النبي ﷺ الهيبة، وبعده الكلمة، وبعده الدرة، وبعده السيف، فماذا عن العصر الذي بعده؟ وماذا عن اليوم؟ كيف سنتعامل مع من يخطأ؟ هل نفجره بلغم!

فهذه ما أنزل الله بها من سلطان، والقرآن والسنة صالحان لكل زمان ومكان، وما أخبرنا الله عز وجل بشأن كيف نتعامل مع عباده سيستمر إلى يوم القيامة".

15. إعطاء المثل

إياك أن تكون ممن يأمر بالمعروف وينسى نفسه فهؤلاء هم أسوأ القادة.

يعلّم العمل ما لا يعلّمه القول، يود الرجال رؤية مثلهم العليا متجسدة في رجل يعلمهم ويقودهم فيسيرون خلفه بدافع الإعجاب والمثل.

تتكلم حياة القائد بصوت أقوى من حديثه، فإذا تناقضت حياته وتصرفاته مع المثل التي ينادي بها اشمأز مرؤوسوه من خديعته وثاروا.

في ساعات الخطر لا أدوم للأمير من شخصيته ومثله في رفع سلطته المنبعثة.

كلما كنت أهلا للانضباط حصلت على جنود منضبطين لأنهم يشاهدونك قدوة ومثل.

كلما كنت تعمل بلا كلل يدفعه إيمانك وإخلاصك كلما كنت القدوة الإيجابية في حياة جنودك.

المثل الأفضل هو المثال الكامل في كل مكان في الحياة الخاصة وفي العمل.

يقول فوش: "كنت أومن سابقا بشيئين: الحلم والوجدان، وإنني أومن الآن بشيئين: الوجدان والعلم، ولقد قدمت الوجدان على العلم لأنه أصل كل عمل".

قال الشيخ أبو مصعب في هذه الصفة: "إعطاء المثل الأعلى أي القدوة"، وتذكرون أنني أضفتها على كتاب الشيخ سعيد حوّى لأنّني لم أجدها، فسبق الحديث عن قضية القدوة، وحدّثتكم عن الشيخ الذي كان قدوة ثمّ صرنا لا نستطيع أن نصلّي وراءه، والقائد إذا فرّ مرة أو مرتين أو جَبُن مرة أو ارتعش فلا يعود أحد يثق به بالقتال، وهكذا.

يعني إمام الصلاة إذا مرة أو اثنتين تلعثم وقطع فخلاص إذا لم تعزله وزارة الأوقاف فسيضعه المصلّون أو يذهبوا إلى مسجد آخر وهكذا، كل إنسان عليه أن يؤدي ضريبة القدوة الحسنة في المجال الذي جلس فيه، فذكر قواعد أنهم لا يقبلوا الجبناء ولا كذا وإلخ..

هنا وضعت مثالًا مهمًا في قضية القدوة، وكل قائد وكل من يريد أن يصبح أميرًا عليه أن ينتبه إلى القدوة في الأمور المثالية، انتبهوا إلى القدوة في الأمور الصغيرة جدًا، مثلًا كنّا في سفر مع أمير وأتباعه، فانتبهت أنا ثمّ نبّهتُه أنّ الأمير هو آخر واحد يقوم للصلاة، طبعًا هذا ناهيك عن الذي قام الليل وتهجّد وكذا، طبعًا يُمكن أن يكون الأمير متعبًا أو عنده ظروف ولكن الجنود لا يُقدِّرون مثل هذه القضية، فأنت في صفّ جهادي.

فحتى في طاعة الله أنوي بها تقديم المثل الأعلى للجندي حتى يحترموك في هذه القضيّة، أمور بسيطة جدًا كالوضوء والنوافل والأدب والحركات، فالقدوة ليست فقط في عظائم الأمور كالشجاعة وعدم الفرار، القدوة

الحسنة في دقائق الأمور التي لا تهدر شخصيتك وتجعل الجندي يراك مثالًا له في كلّ شيء وأفضل منه في كل شيء.

كنت أنصح مرة أحد الإخوة الذي كان يريد أن يتزوج امرأة جميلة بنت مليونير، فقلت له: الحقيقة لا أنصحك. يُفضّل أن يكون هناك نسبة وتناسب بين الرجل وزوجته وأن يكون الرجل متفوّقًا على زوجته في أغلبية الخصائص؛ لأنّه سيقودها في البيت، فغنيّة وفقير وجميلة ودميم، فكيف سيكون له القيادة مع هذا وهي عندها كل مقومات القوامة؟! فاختر لك واحدة متناسبة مع وضعك.

فعندما تكون قائدًا عليك أن تنتبه لقضية القدوة الحسنة في كل شيء، فتنتبه للنظافة والثياب، وكلّ من كان في رئاسة حتى ولو كانت قضاء أو إمامة إلخ، فليس من القدوة الحسنة أن يأتوا ليُقيموا الصلاة فيجدوا الإمام قد تأخّر، حتى لو كان من أكبر الحفظة تسقط هيبة الإمام إذا لم يكن جاء وجلس قليلًا ثم أُقيمت الصلاة وهو جاهز.

فيجب على الإنسان أن يملأ عين التابع إذا كان متبوعًا على كلّ الأصعدة، هذا تحت عنوان "إعطاء المثل" يكفينا عن سرد ما كتبه المؤلّف.

16. المعرفة

المعرفة أساس من أسس السلطة ودعامة من دعائمها وتزداد القيمة المعنوية للرئيس بسعة رصيده من المعلومات فعليه أن ينميها ليكون أهلا لخدمة الهدف بشكل أفضل.

قال نابليون: إن القيام بمهنة لا نتقنها خداع وسرقة واحتيال.

معرفة القائد لابد أن تشمل معرفة عن الإدارة والتوجيه والتنظيم والمراقبة لتأمين سير المهمة والوصول إلى الهدف ومعلومات تسمح له بتقدير أهمية الحوادث ووزن الفرص ودراسة نفسية الرجال وطريقة قيادتهم، والرجل الكامل هو من ملأ عمله وعلم نفسه كل شيء شريف، ليكون أهلا لقيادة الرجال.

ليست الثقافة العامة معرفة كل شيء أو معرفة القليل من كل شيء، ولكنها استيعاب الأشياء وتفهمها بصورة عامة للتمكن من إعطاء القرار الصحيح.

النصر معقود لمن درب نفسه وجنوده على متاعب المعركة، وكان في تدريبه أقرب ما يكون إلى الواقع، رغم أن حقيقة المعركة شيء لا يمكن دراسته أو تعلمه والدروس المستقاة من فوهات البنادق وهدير القنابل وتناثر الشظايا غير دروس ميدان التدريب.

ولقد قال نابليون: "تعلموا كثيرًا وبشكل جيد لتطبقوا في القتال الشيء القليل بشكل مقبول".

قال الشيخ أبو مصعب في تعليقه على هذه الصفة: "المعرفة هي سعة الثقافة العامة؛ أن الرجل يعرف في كل شيء. ولكن هنا أتى بمثال على المقصود لم أتحدث عنه فقال: "الدراسات المسلكيّة ضرورة وقضية إخلاص وشرف، وليس هناك أسوأ من رئيس يكتفي بمعلوماته السابقة فلا يتابع التطوّر العلمي الذي يجري بسرعة، فيبقى جامدًا ويسبقه مرؤوسوه ويبدو عند الضرورة جاهلًا ضائعًا غير أهل للاحترام. قال نابليون: "إن القيام بمهنة لا تتقنها خداع وسرقة واحتيال"."

يجب أن يكون القائد مُتقدِّمًا على الجنود في اختصاصات القيادة؛ فإذا كان القائد عسكري فيجب أن يتقدَّم عنهم في مجموع الدورات وفي مجموع

المعلومات العسكرية، فلا يمكن أنه أثناء وضع الخطة أن يقول القائد "ضعوا هنا الزوكياك" وأنت تريد الرمي على هدف على بعد 13 كيلومتر، فأصغر واحد يقول لك: "يا أخي الزوكياك مجاله المجدي 4 كيلومتر"، فيصحّح لك معلومة عسكرية عادية وأنت تضع الخطّة. وقس على ذلك.

فالقائد يجب أن يكون في مجاله أعلى معلومات مِنْ كل مَنْ حوله، يمكن أن يُتَمَّم نواقصه بالمستشارين، لا يمكن للإنسان أن يكون مُفتيًا ورئيس اللجنة الشرعية ويكون الجنود العاديّون يفهمون في الأحكام أكثر منه، فيصيرون يستدركون عليه بقضايا الحلال والحرام!

الإنسان إذا كان يريد أن يجلس مجلس المعلم أو القائد أو المتقدّم على من دونه فالمفرض أن يفضلهم بالمعلومات والمعرفة، وهذه المعرفة تزداد باتساع الثقافة العامّة، فالإنسان عليه أن يتخصّص ويعرف كل شيء عن شيء ويعرف شيء عن كل شيء، وهذه تعلّمناها من (الإخوان) وأظنها من الوصايا العشرة لحسن البنّا –رحمة الله عليه–؛ أن تعرف كلّ شيء عن شيء تختصّ به، وشيء أي القليل عن كل شيء.

ذكر في النهاية قاعدة تحت المعرفة وهو يتكلم حسب مقاييسه الماديّة، ونحن عندنا النصر من الله –سبحانه تعالى– يؤتيه من يشاء، ولكن حتى نحن يجب أن نحترم عامل عالم الأسباب. فقال: "النصر معقود لمن درّب نفسه وجنوده على متاعب المعركة، وكان في تدريبه أقرب ما يكون إلى الواقع، رغم أن حقيقة المعركة شيء لا يمكن دراسته أو تعلُّمُه."

حقيقة ما يجري في ساحة القتال بالفعل أمر لا يمكن إعطاؤه بالتدريبات النظريّة، ولذلك أفضل تعريف للسياسية –كما قلنا– أنّها (فن الممكن)، وأفضل تعريف لعلم الحرب أنّه (علم يُتعلَّم بالممارسة).

يكمل فيقول: "والدروس المستفادة من فوّهات المدافع وهدير القنابل وتناثر الشظايا غير دروس ميدان التدريب."

يعني أكثر الإخوة في ميدان التدريب يطلق عشر طلقات فيصيب منها تسعة، ولكن لو رمى مخزن كلاشينكوف كامل 30 طلقة على قناص في الطرف الآخر يقنّص عليه وأصاب طلقة من ثلاثين؛ فسنعتبره راميًا ناجحًا جدًا لأنّه قتل الهدف الذي دوّخنا، لأنّه في غالب الأمور يرمي على طريقة أفلام الفيديو على طريقة الجهاد الأفغاني فيرفع الكلاشنكوف ويُطلق حتى تنتهي الطلقات، هناك فرق تمامًا بين الرماية الحيّة في الميدان مع الخوف والرهبة والتعرّض للقتل وعدم ذلك.

ولا أدري لماذا جاء بهذا المثال تحت المعرفة ولكن يبدو أنّ هناك رابطًا، قال: قال نابليون: "تعلّموا كثيرًا وبشكل جيّد لتطبّقوا في القتال شيئًا قليلًا"، يعني أنت تحتاج كقائد لمعارف كثيرة جدًا، وفي التطبيق الحقيقي ستحتاج جزءًا من هذه المعارف في مسألة من المسائل، ولكن هذا الجزء قد يحسم معركة أو يحسم موقف أو يُنهي معضلة نتيجة أن ثقافتك مُتعدّدة".

17. التنبؤ

يتعلق نجاح القائد وفشله بصدق حدسه وحسن تنبؤاته، وعمق النظرة التي يلقيها نحو المستقبل، وعليه ألا يعمل ليومه بل لغده، فيتنبأ بما ينجم عن قراراه في المستقبل البعيد ويتوقع ما سيصادفه من متاعب وعقبات في مختلف الظروف المحتملة، دون أن يؤثر ذلك على اندفاعه أو يقلل من حماسه.

يقول نابليون: "كنت أبدو دائما على استعداد، وجاهزا لكل عمل، لأنني كنت أفكر بالحوادث طويلا قبل قوعها وأجد لها الحلول المسبقة وأسبق الزمن بسنتين فأتنبأ بما سيحصل لي بعد ذلك".

ويقول: "لم تكن العبقرية سبب اكتشافي لما يجب عمله في الظروف الحرجة غير المتوقعة بالنسبة إلى الآخرين ولكنها التحضير والتفكير المسبقان، وردود الفعل الناجمة عنهما".

يبذل القواد الكبار جهدًا كبيرًا للتنبؤ بدقة، وإليكم ما قاله أحدهم عن الجنرال مانجان وهو يستعد لاحتلال موقع محصن: "لم يترك شيئا للصدف، بل أخذ كافة المعلومات المتلقاة من الطيران والدوريات والأسرى فنظمها وتحقق منها، ثم استخدمها وبنى الخطة عليها. عمل فكان النجاح حليفه" ويقول آخر: "دُرست الخريطة بالمتر ولم تُترك قطعة من الخنادق دون بحث، وكُشفت أصغر طيات الأرض وأبسط الخرائب وجذوع الأشجار المحطمة ووضعت نقاط التعليم على الصور الجوية والمخططات.. وحُسبت رمايات المدفعية ونقل الرمي ومواضع تبديل المدافع وتقدم المشاة تحت دعم المدفعية بدقة منقطعة النظير".

على القائد أن يتنبأ بالمتاعب والحلول للمشاكل، لديه خطة طوارئ معه دائما.

كلما كانت الصورة التي يرسمها دقيقة للمستقبل كانت فرص انقلابها لحقيقة قوية.

قال الشيخ أبو مصعب السوري عن هذه الصفة:"آخر الصفات هي مَلَكَة مطلقة، ملكة يصعب أن تأتي بالاكتساب إلّا بالاعتماد على الله –سبحانه وتعالى– وهي تزيدها المعارف؛ وهي "التنبُّؤ"، حتى أن لفظها غريب مُشتق

من النبوءة ومعرفة الغيب ولكنها مأخوذة هنا اصطلاحًا؛ فالتنبؤ هو (استقراء ما يمكن أن يحصل في المستقبل)، إذا تحلّى القائد بهذه الخصلة يكون من القادة العباقرة، ولذلك من الجيّد أنه وضعها آخر الصفات وأعلاها، والتي قبلها المعرفة فهي من أهمّ الخصال.

فقال: "يتعلّق نجاح الرئيس وفشله بصدق حَدْسِه".

والحدس هو التَّخمين، فخمّن أنه يمكن أن يأتي العدو من هنا فنصب له كمينًا، فأتى العدو من هنا فانتصر في المعركة لأنّه خمّن ذلك، ولو خمّن أنّ هذا الطريق ليس فيه ألغام فتبيّن أن فيه ألغام فتأتي القضية بالعكس.

وقضيّة الحدس والمعرفة من أهم مميزات القائد، ولكن لاحظ ما أشار إليه الكاتب حتى لا تقع في الخطأ، والحقيقة الكتاب جليل في بابه، واضح أنه ناتج عن كاتب عنده معرفة، إذا علّقت القضايا بالنبوءة فقط فقد يفهم القارئ أنّها هي التي تحسم القضايا؛ فجاء هنا بشاهد فقال: "قال نابليون: "لم تكن العبقرية سبب اكتشافي لما يجب عمله في الظروف الحرجة، ولكنّه التحضير والتفكير المُسبق وردود الفعل الناجمة عن التحضير والتفكير المسبق".

لأنه كان كثير التنبؤ والمعرفة، فأراد أن يبيّن أن النبوءة ليست هي السبب في اكتشاف الظروف الحرجة غير المتوقعة للآخرين، يعني هو لكثرة ما فكّر في المعضلات والاحتمالات استطاع التنبؤ بالمستقبل، فموضوع سدّ الاحتمالات أمر هامّ جدًا للقائد.

حدّثني أحد الإخوة المجاهدين في دمشق عن آخر قوّاد (الطليعة) في مدينة دمشق اسمه (أيمن شربجي) رحمه الله، قال لي: كنّا نخطط معه لعملية اغتيال في بعض الأزقّة الضيّقة، فبعد أن خطّطنا للعمليّة قال لنا "افترضوا أنّه سدّ

الطريق علينا بائع البترول"؛ عندنا في سوريا بائعين البترول عندهم عربات عبارة عن (تنكر) صغير يجرّه بغل عرضه حوالي متر ونصف، وينادي على من يريد الشراء منه، فالحارة التي سينفّذون فيها العمليّة عرضها مترين ونصف، فقال لهم أيمن: "افترض أنه جاء بائع الديزل فكيف سننسحب؟"، فقالوا له: "كيف سيأتي صاحب الديزل لحظة العملية!".

فلا أذكر بالضبط أظنه قال لي أنهم بدّلوا العملية من سيارة إلى دراجة (موتوسيكل) أو بدّلوا شيئًا في العملية على افتراض أنه من الممكن أن يأتي بغل معه عربة فيسد الطريق ويُقبض على المجموعة، فقال نزلنا على العملية الظهر فجاء هذا صحاب الديزل بالضبط كما تصوّر الأخ!، فنفذنا الاحتمال الذي أخذنا احتياطه ونجحنا، مع أنّنا كلّنا أنكرنا هذا الافتراض.

فالأمر ليس تنبّؤًا، ولكنّ واحدًا قد أوكلت له عمليّة فالمفروض أن تكون عقليّته من العقليات الافتراضية؛ أنه لو حصل كذا ماذا نفعل، طيب لو نزل مطر، طيب لو..، فهو لم يتنبّأ بل سدّ كل الاحتمالات بكثرة التفكير والتخطيط. ولذلك قال هنا ونختم بهذه، ولما قرأتها حزنت على ما يجري، وبقي أملي برحمة الله أن ينصرنا لأننا أصحاب (لا إله إلا الله)، ولكن انظر كيف يعمل الخصم!، قال:

"يبذل القادة الكبار جهدًا كبيرًا للتنبؤ بدقّة، إليكم ما قاله أحدهم عن الجنرال (منجن) وهو يستعدّ لاحتلال موقع محصّن، قال: "لم يترك شيئًا للصدف، بل أخذ كافّة المعلومات المُتلقّاة من الطيران والدوريات والأسرى، فنظّم هذه المعلومات وتحقّق منها، ثمّ استخدمها وبنى الخطّة عليها، وعمل فكان النجاح حليفه".

وقـال: "لقـد دُرسـت الخرطـة بالمـتر ولم تُـترك قطعـة مـن الخنـادق دون بحـث، وكُشـفت أصـغر طيّـات الأرض وأبسـط الخرائـب وجـذوع الأشـجار المحطّمـة، ووُضـعت نقـاط التعلـيم علـى الصـور الجويـة والمخططـات، وحُسـبت رمـايات المدفعيـة، ونُقـل الرمـي ونقـاط تبـديل المـدافع وتقـدم المشـاة تحت دعـم المدفعيـة بدقـة منقطعـة النظـير". فـاعتَبَروا أنـه تنبّـأ، وهـذا لـيس تنبّـؤًا بـل هـذا سـدّ كـل احتمالات التفكير.

قـال: "إن الـرئيس الـذي لا يتنبّـأ بالمتاعـب ولا يتوقّـع الحلـول للمشـاكل ولا يُلقـي بأفكـاره إلى المسـتقبل المجهـول لـيعلم طريقـه؛ عبـارة عـن مُسـيِّر أعمـال بسـيط، يَحُـدّ مـن نشـاطه التخّـوف والـتردّد والـروتين ولا يـتمكّن مـن تنظـيم مُخطط أو منهج أو رسم خطة رجعة يُسَهِّلُ مهمّته عند الطوارئ".

فقضـية التنبـؤ باختصـار هـي مَلَكَـة، ولكـن هـذه الملكـة تطبيقهـا الفعلـي هـو كثـرة التكفـير في الاحتمـالات، وهـذا لـيس تنبـؤًا ولكـن سـد لكـل الاحتمـالات لأنّـه قائـد شـاغل ليلـه ونهـاره وفكـره في هـذه العمليـة، ثم بعـد ذلـك درّب جنـوده علـى هـذه الاحتمـالات، فهـذا القائـد هـو الـذي أخـذ بقـول الله تعـالى: (وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ) [75]، فـنجح أو فشـل بعـد ذلـك يبقـى عامـل القدر فقط.

ولكـن رمـي الحبـل علـى الغالـب -كمـا تـرى في أكثـر مـا يـدور مـن حولـك- واعتبـار هـذا مـن التوكـل علـى الله وأننـا نحـن عملنـا الـذي علينـا وباقـي علينـا انتظـار الملائكـة المـردفين؛ فهـذه القضـية حقيقـةً سـيُدْفَع ثمنهـا -لا سمـح الله- باهظًا وغاليًا، نسأل الله —سبحانه وتعالى- أن لا يحدث ذلك.

[75] سورة الأنفال، الآية: 60.

الفصل الثالث: فنون القيادة

ختم كورتوا كتابه بباب يحمل عنوانا "فنون القيادة " تناول فيه جملة فنون على الأمير إتقانها وهي فن التعليم والتدريب، وفن التنظيم، وفن إصدار الأوامر، وفن المراقبة وفن التأنيب، وفن المعاقبة وفن إخماد المقاومات الهدامة وفن المكافأة والتشجيع وفن الاستعانة بمواهب المساعدين وفن التعاون مع الرؤساء الآخرين، سنلخصها فيما يلي مع بعض الإضاءات.

- **فن التعليم والتدريب:**

إذا أحب الإنسان عملا قام به بهمة وذكاء وعلى القائدد أن يفكر بهذا المبدأ دائما ويثير لدى مرؤوسيه قبل التدريب وأثناءه ثلاث صفات: حب العمل والشعور بالمسؤولية وروح الجماعة.

يقول دوغاس: "إن مثل الرئيس الذي يريد تعليم جنوده قبل أن يثير لديهم الرغبة بالدروس كمثل الحداد الذي يطرق الحديد باردا".

كما يجب أن يؤدي التدريب إلى تنمية عادة تذوق العمل المتقن وبالتالي محبة الترتيب الذي تعتبر الأعمال بدونه تبذيرا وإضاعة للجهود.

تنمية الكبرياء مهم، يقول كييفر في كتابه التربية والتوازن النفسي: "إن فقدان الكبرياء أو الشعور بالفخار يحطم انطلاق النفوس، ويقتل روح المبادرة، ويخلق رجالا سلبيين غير منتجين".

يقول موروا: "إن من المستحيل إيجاد التفاهم المطلق ضمن المجموعات الكبيرة، إذ يكتسب كل فرع فيها روحا من العصبية تجعله في تنافس دائم مع الفروع الأخرى، وهنا يأتي عمل الرئيس، الذي يقنع الجميع بأن كل

جماعة جيشا كانت أم معملا، ليست سوى جسد واحد كثير الأعضاء إذا اشتركت في العمل عاش الجسد وإن تخاصمت أدت إلى فنائه".

قلت: وتعد المعرفة الجيدة بالمادة المراد تعليمها أول أسباب إتقان فن التعليم، ثم أساليب إيصال المعلومة ويدخل فيها ترتيب الأفكار الجيد، حسن الإلقاء، تقييم التفاعل وحسن الاستيعاب، ثم الشخصية الملهمة والجذابة للمعلم والتي تظهر الجدية في حينها والدعابة في حينها وتثير فضول المتعلمين من جهة وتشبع حاجاتهم في التعلم من جهة أخرى، فيشعر من يتدرب على يده أنه بالفعل استفاد منه وخرج بأفضل مما دخل به لهذه الدورة.

على المعلم أن يخفي مشاعره الحزينة أو المحبطة أو المتأثرة سلبًا أمام فريقه وأن يحسن الانصات كما يحسن الحديث، وأن يتقن فن استعمال الأمثلة التي ترفع الهمم وتشجع المستمع للتعلق بدرسه.

ومن أهم الخطوات التي عليه العناية بها، تحضير الدورة مسبقًا واستيفاء محتواها وحسن إعدادها قبل إلقائها مع العناية بعامل الوقت لأفضل استثمار، وإن أحرجه أحد الحضور بسؤال صعب فلا يستثقل قول: لا أدري أو لا أعلم ولا بأس من أن يبحث لاحقًا عن المعلومة ويرجع للسائل.

على المعلم أن يحسن ضبط الصف وأن يفرض حسن الإنصات من قبل الحضور والانتظام وأن يكون صارمًا مع المشوشين ومن يحاول كسر الدورة بالخروج لمواضيع جانبية مرهقة أو يبالغ في المزاح والضحك.

- **فن التنظيم:**

التنظيم أساس القيادة، لا يمكن لقائد اللواء قيادة 3 آلاف رجل ولا لقائد الكتيبة قيادة ألف رجل لو لم يكن اللواء مقسمًا إلى كتائب والكتيبة مقسمة إلى سرايا.

على القائد الذي يود السمو إلى مستوى مهمته أن ينظم عمله الشخصي ويعطي الوقت اللازم للاهتمام بمشاكل القيادة ذاتها وليس عليه أن يقوم بكافة الأعمال. ومن واجبه تنظيم المهام وتوزيعها على مرؤوسيه بحسب إمكاناتهم. ويعمل بعدها على توجيه جهودهم كافة للوصول إلى الهدف الواجب تحقيقه.

تتطلب زيادة الفروع جهودًا احتياطية في التنظيم حتى لا ينقلب العمل إلى فوضى متشابكة.

توزع الأعمال المختلفة على المنفذين حسب كفاءاتهم، ويتطلب هذا أوامر تنظيمية. تحدد لكل فرد مهمته وبديله ومساعديه ورئيسه. لا تخرج الأوامر إلا من مصدر واحد، حتى لا يحصل التردد والاضطراب والمتاعب.

أحسن وسائل تأمين التعاون إجراء اجتماعات دورية لرؤساء الفروع بحضور الرئيس. للمناقشة وحل المعضلات والتنسيق والاستفادة. ويعلن مسبقا عن جدول الأعمال ليتمكن المجتمعون من دراستها مسبقا. ولا يضم الاجتماع إلا المواضيع التي تهم الجميع، أما الخاصة فتترك للبت على حدة مع المختصين المسؤولين.

الرئيس لا يتكلم كثيرًا بل يستمع أكثر في هذه الاجتماعات.

قلت: وما افتقد عملٌ للنظام إلا فشل وكانت نتائجه سيئة من مجرد كتابة مقالة بأفكار مرتبة إلى إدارة معركة وقيادة غزو، مهما صغرت أو كبرت المهمة فالنظام هو تاج زينتها ونجاحها.

وبالنظام نستطيع أن نحسن إدارة الوقت والموارد والأموال والجنود والنفس وكل ما يحتاج لإدارة.

– فن إصدار الأوامر

الأمر هو التأثير على إرادات المرؤوسين وتوجيهها لتتوافق مع الأفعال اللازمة لتنفيذ المهمة الجماعية. ولا يصدر الأمير الأمر لمجرد الأمر بل ليثير في مرؤوسيه حب التعاون الطوعي.

يقول فوش: "يجب أن يبني الأمر على التفاهم أي تفهم المرؤوس للأمر، وتفهم الرئيس للمرؤوس، فالتفاهم سر النجاح في الحياة".

إن إصدار الأوامر فن غايته سياسة الرجال بشكل يؤمن الحصول على أحسن مردود مع أقل ما يمكن من الصدمات وأكثر ما يمكن من التعاون.

لكلمة "أمر" معنيان:

أحدهما ضيق وهو: مجموعة التعليمات الدقيقة المعطاة إلى رجل بخصوص عمله. وثانيهما أكثر اتساعا وهو: تأمين تلاؤم وانسجام أفكار وانفعالات متعددة في سبيل هدف مشترك.

يسبق إصدار الأوامر الهامة الاستشارة .. بعد خلوة مع النفس يقرر خلالها القرار وإن لم تجمع عليه أكثرية الآراء.

لابد من إفهام المرؤوسين الأمر بكل وضوح حتى لا تبدو لهم وكأنها وسيلة للتخلص من المسؤولية وإلقائها على أكتافهم.

يـــذكر العقيـــد إدوارد ل. مونســـون: "إذا تلقـــت قطعـــة مـــا أمـــرًا بتحديـــد المأذونيـات أو منعهـا، تـذمر الـبعض تـذمرًا ظـاهرًا أو مكبـوتًا، وينعـدم هـذا التذمر إذا عللت القيادة ذلك بانتشار وباء خطير في تلك المنطقة".

قـال آمـر السـرية لجنـوده القـدماء عشـية تسـريحهم: "لقـد كنـتم جنـودًا جيـدين حـتى هـذا اليـوم وسـتظلون كـذلك حـتى آخـر لحظـة، إنكـم سـتتركون مهـاجعكم رغـم تسـريحكم غـدا في وضـعية ممتـازة، حـتى أتمكـن مـن تقـديمها كمثـل صـالح للجنـود الأحـداث"، وفي اليـوم التـالي كانـت الثكنـة في أنظـف حالـة وأجمـل حلة.[76]

كلمـا آمـن الجنـدي بأهميـة الأوامـر كلمـا أتقنهـا، وكلمـا اسـتهان بهـا كلمـا أهملها.. بقصد أو لا شعوريًا.

لابـد أن تكـون الأوامـر واضـحة لا تحتمـل تفسـيرها علـى وجهـين مختلفـين، يقـول العقيـد مونسـون: "هنالـك مرؤوسـين يرفضـون الاعـتراف بحـق الجنـدي في فهـم الأمـر .. فمـا عليـه إلا الطاعـة السـلبية، ولـو كانـت بـدون تجـاوب، إن هـذه الطريقـة تضـعف شخصـية الجنـدي وتقتـل فيـه حـب الاطـلاع والثقـة بالـنفس وتجعلـه آلـة صـماء بـلا أحسـاس، أثـيروا في جنـودكم حـب هضـم الأوامـر شـريطة إفهـامهم أن التنفيـذ ضـروري، حـتى لـو لم تسـتطع مـداركهم استيعابها".

لا تكرر الأمر إلا حين يكون الوقت مناسبا وأسباب إنجازه متوفرة.

الأمـر حـين يعتمـد الإثبـات يصـدر أقـوى منـه حـين يعتمـد النفـي، فقومـوا بواجبكم أفضل من لا تكونوا متقاعسين.

لا يمكن السيطرة على الجند بإفادهم ثقتهم بأنفسهم وإمكاناتهم ..

---

[76] (من كتاب التربية النفسية للجندي).

لكل أمر زاويتان: الفكرة والأسلوب: علينا أن نستوحي الفكرة من المصلحة العامة ولخدمة الهدف الجماعي، شريطة أن نتنبه إلى الأسلوب فلا نجرح به الآخرين أو نسيء إليهم ولنتساءل عند وضع الأمر عن التأثير الذي نشعر به لو تلقينا أمرًا مماثلا بأسلوب مماثل فهذه أحسن طريقة لكبح جماع النفس.

بعد تحديد المهلة للمرؤوس لابد أن يعرض على الأمير مخططاته ومنهاج عمله قبل البدء بالتنفيذ. لتدرس قبل التنفيذ فالوقاية خير من العلاج.

الأوامر تتطلب احترام التسلسل الذي وضعه الأمير.

لتفادي عدم تنفيذ أمر يجب أن يصدر بعد دراسة وافية، وإذا أردت أن تطاع فامر بما يستطاع.

قلت: ومن المصائب أن يصدر الأمر فيهمل أو يساء فهمه، ومن مسؤولية الأمير الأولى ضمان فهم صيغة الأمر وحسن استيعابه له وأيضا أخذه بجدية.

– فن المراقبة

المراقبة ضرورية للمرؤوسين وواجبة بالنسبة للقائد.

قال فوش مخاطبًا ضباطه: "لقد أعطيتم أمرًا فماذا تم بعد ذلك؟ يجب أن نرى التنفيذ، يجب مراقبة الرجال ودفعهم للحصول على النتيجة المثلى، ولو اقتصرت مهمتكم على إعطاء الأوامر لكانت أسهل مهمة".

يجب أن يشرف الأمير على تنفيذ الأوامر.

تكون المراقبة دورية ومفاجئة لا متكررة بشكل مزعج أو نادرة قليلة النفع.

على الأمير أن يعترف بالأعمال الحسنة وينبه للأخطاء أثناء المراقبة والتفتيش.

للرئيس أثناء المراقبة 3 واجبات:

واجب خدمة تجاه المصلحة العامة التي يخدمها، يجبره على مراقبة مرؤوسيه وتوجيههم.

وواجب رحمة تجاه المخطئين الذين هم بحاجة إلى دعم وتشجيع وتعليم.

وواجب عدالة تجاه المرؤوسين العاملين بصدق وأمانة، حتى لا ينزعجوا من سكوت القائد على زميل مخطئ.

يدفع الرجل للعمل ضمير يقظ وقائد مراقب.

فإذا أهملنا المراقبة واعتمدنا على الضمير وحده تعرضت الوحدة إلى تيارين متعاكسين: تيار الضمير وتيار الإهمال، ويؤثر الثاني على الأول عادة إن لم يتفوق عليه فيضعف مردود الوحدة، ويقل اندفاعها لخدمة هدف سام نذرت نفسها من أجله.

قلت: والمراقبة تضمن إتمام العمل واستمرار الهمة مثمرة وتشعر الجنود بعظم المسؤولية وتوفر على القيادة الخسائر الفادحة كما تسمح بالتدارك والتصحيح في حينه.

- فن التأنيب

التأنيب والملاحظة واجبان من واجبات القائد ويجب أن تصدر في وقتها المناسب دون تأخير، لقطع الطريق للتخمينات السلبية من المؤنب.

التأنيب يأخذ بعين الاعتبار حجم الذنب والظروف المحيطة بصاحبه.

التأنيب لا يعني إهانة كرامة المؤنب. فلا مبالغة بل بعدل.

هنـاك قاعـدة تقـول أن القائـد يـرى هفـوات مرؤوسـيه كبـيرة ورهيبـة، إن كانـت الهفـوات ناجمـة عـن خطئـه الشخصـي، كعـدم دقـة أوامـره أو سـوء شـرح فكرتـه أو قلة مراقبته للتنفيذ.

لا للتأنيـب أثنـاء ثـورة غضـب أو حالـة عصـبية متـوترة حـتى لا يقـع الظلـم والمبالغة.

لا تجمـع الأخطـاء السـابقة مـع الحاضـرة، يقـول دوهامـل: "إن مثـل مـن ينكـأ الجـروح القديمـة لأجـل خطـأ بسـيط كمثـل مـن يسـجن الرجـل بأخطائـه القديمـة في سجن لا يستطيع منه فكاكا".

بلا سخرية ولا استهزاء. لأنهما يهدمان لا يبنيان.

تكون الملاحظة سريعة وشديدة، لأنه الأقل إيلاما من التذمر المستمر.

يكون التأنيب مبنيا على حقائق ملموسة وأعمال مادية.

قـام مهنـدس سويسـري بدراسـات ميدانيـة علـى عـدد كبـير مـن العمـال، لمعرفـة مـا يلاقونـه مـن متاعـب فوجـد أن 90% مـنهم يعتـبرون التأنيـب بـدون ذنـب، وخاصة أمام الأصدقاء أصعب ما يلاقونه من متاعب.

قلـت: ولعـل أفضـل طريقـة لتحديـد درجـة التأنيـب هـي النظـر في عطـاء واجتهـاد الجنـدي، فقـد يكـون في سـيرته العديـد مـن المواقـف الرائعـة والأداء المبشـر، وعنـدها يمكـن التأنيـب بلغـة مقبولـة وأحيـانا يكفـي التلميـح ولا حاجـة للقائـد أن يتحـدث طـويلا إلا إن كـان متأكـدًا مـن أن الجنـدي بالفعـل لم يسـتوعب أيـن الخطـأ ودرجـة خطورتـه ولمـاذا يـتم تأنيبـه. ولكـن لـيكن التأنيـب دائمـا بـنفس هادئـة غـير منفعلـة أو غاضـبة وليتـذكر القائـد أن مـن مهامـه

صناعة قادة وجنود أقوياء لا هدمهم وإفناء الخير فيهم أو تغذية نزعات الشر الكامنة في نفوسهم.

– فن المعاقبة

العقوبة واجب من واجبات القائد، لتأمين النظام والعدالة. حاله كحال الأب مع أولاده يريد مصلحتهم وتقويم سلوكهم.

العقوبة تكون بحسب الذنب والظروف المخيطة به. فلكل حالة لبوسها.

الإكثار من العقوبات والافراط فيها مثبط للهمم ومزعزع للثقة بالنفس. فعقوبة واحدة شديدة تكون رادعا للآخرين.

ثم أظهر استياءك من الذنوب المرتكبة بنظرة حادة أو كلمة عابرة، تذكر المذنب بما يمكن أن ينتظره إن أخطأ مرة ثانية.

لا يحق للأمير أن يتخلى عن العقاب، وهي صادرة من الأنظمة والقوانين[77] لا من شخصه.

لا تعاقب وأنت غاضب. ولا تعاقب حتى تجري تحقيق وتحيط علما بكل ما جرى وبسوء نية المذنب.

حينها يمكن أن تضرب بشدة على يد المذنب حتى يتبدل أو يخرج من الجماعة. ولا تترك السيئين يجتمعون في عمل واحد فالاجتماع يولد القوة وقوة الشر خطر هدام.

لا تسرع في فرض العقوبة.

لا تعاقب القائد أمام المرؤوسين.

تنجم الأخطاء عادة عن عدة أسباب:

---

[77] فالقيادة تخضع لنظام وقانون يحفظ حقوق الأمير والمأمور ويضمن حسن سير العمل وهو قانون منضبط بالشريعة الإسلامية.

1. سوء في إعطاء الأمر من قبل القائد، أي يجب إصلاح الأمر لا معاقبة المنفذ.
2. الأمر جيد ولكن المرؤوس لم يتأكد من فهمه، الخطأ هنا مزدوج: خطأ القائد لأنه لم يتأكد من تفهم الأوامر، وخطأ المرؤوس الذي تقبل تنفيذ مهمة دون أن يفهم المطلوب بدقة.
3. الأمر جيد، والفهم جيد، ولكن المرؤوس لا يتمتع بالإمكانات الفكرية أو الجسمية اللازمة للتنفيذ. الخطأ هنا مزدوج. خطأ القائد الذي أعطى المهمة الصعبة لمرؤوس لا يتمتع بكفاءة كافية، وخطأ المرؤوس الذي لم يُعلم قائده بعد البدء بالتنفيذ بأنه غير أهل للقيام بمهمته.
4. الأمر جيد والفهم حسن ولكن المرؤوس لم يبذل قصارى جهده لكسله أو لقلة وجدانه. وهنا يجثم الخطأ على عاتق المرؤوس وحده، إلا إذا اعتبرنا أن القائد مخطئ أيضا لأنه لم يثر في النفس المنفذ الحماسة الكافية للاندفاع في العمل.

العقوبة وسيلة من وسائل إصلاح الفرد للتخلص من أخطائه وليست طريقة إلى سجنه فيها إلى الأبد. فأشعر المسيء بأن حياته ستبدأ من جديد بمجرد انتهاء العقوبة.

لا تشعر المسيء بأنه مستهدف.

ازرع شعور الجماعة في جنودك، والإحساس بالمسؤولية حالهم كحال رجال يتسلقون جبلًا وقد ربطوا أنفسهم بحبل واحد، فهم يصعدون متساندين نحو الذروة، يدعم قويهم ضعيفهم لا يسقطون إلى الهاوية.

قلت: والعقوبة سلاح ذو حدين إما أنها تصلح من المخطئ المنيب وتدفعه لمزيد عطاء وبذل وإما تعمّق الأحقاد وتوغر الصدور ومن هنا تبدأ بعض النفوس في إضمار الكراهية والتمرد وربما الإفساد، ولتفادي هذه النتائج وجب إخضاع الجنود لدورات شرعية في التقوى والاستقامة وفقه الجهاد، كما يجب أن تكون العقوبة منصفة ومناسبة لا جور فيها ولا اعتداء.

بعض الأشخاص تكثر أخطاءهم فالأفضل أن يتم تغيير مواقعهم وتحويلهم لدوائر عمل أخرى.

ويقول ابن الهرثمي – رحمه الله – : "وأوعز إلى القواد أن لا يقدم أحد منهم على عقوبة أحد من أصحابه، إلا عقوبة تأديب في تقويم ميل، وتثقيف أود، فأما عقوبة تبلغ تلف المهجة وإقامة حد في قطع، أو إفراط في ضرب، أو أخذ مال، أو عقوبة في شعر فلا يلين ذلك من جندك أحد غيرك، أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك وإذنك".[78]

وهنا يعرض الكاتب كيف يكون أداء العقوبة، وكيف يجب ألا يتجاوز ما يسمح به حجم السلطة التي في يد الأمير.

– فن إخماد المقاومات الهدامة

على القائد توقع مقاومات فردية أو جماعية مكشوفة أو مستورة، عابرة أو ثابتة خلال عمله.

أسلوب القائد الذي يقدر المرؤوس يبدد نزعات التمرد.

إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع لا تقدم أوامر وتطلب تضحيات لا يقدر عليها المرؤوس.

---

[78] نفس المصدر السابق صفحة (110– 111)

لا تشعر مرووسك أنك تخشاه، وإلا كبرت جرأته.

دائما هناك بين الصفوف أشخاص غير راضين ومشاغبين ومعارضين، يشوهون أفكارك ويحرفون أقوالك مهما اجتهدت.

لابد من الهدوء وأخذ الأمور بحكمة، المقاومة عادة تولدها كلمة أسيء سماعها أو إشارة أسيء فهمها أو حكمًا موصوفًا بالتحيّز.

بعد كشف سبب المقاومة استعمل الحوار لوضع النقاط على الحروف وزرع الثقة من جديد.

لا تناقش مشاغبًا أمام الآخرين، بل على انفراد.

استعمل أسئلة تدفع المسؤول أن يجيب عليها بكلمة نعم عندما يكون متوتر الأعصاب فهذا يساعد في تخفيف حدته.

أذكر محاسن مرؤوسك عندما يكون محبطًا.

هل يجب أن يتقبل الرئيس شكايات مرؤوسيه؟

هنالك نوعان من المشتكين: أولهما مشتك بالصدفة، يعتقد نفسه مغبونًا حقا في هذه الحالة استمعوا له بكل دماثة وحاولوا تفهم فكرته واتخذوا الإجراء اللازم إن كانت شكايته معقولة. وإلا اصرفوه بالتي هي أحسن.

ثانيهما مشتك باستمرار وكأنه مهووس بالتذمر، فهؤلاء وجب معهم الحزم.

يواجه الأمير أشخاصًا يتمتعون بصفات القائد، فيقارنون بينه وبينهم، وكلهم ثقة بأنهم أهل للقيادة. فعلاج هؤلاء الحكمة والحزم في آن واحد.

الحكمة تقضي الاحترام والحزم تقضي أن السلطة بيدكم وعليهم الإذعان.

قلت: أحد أهم الأسباب في الخلافات مع الأمير اعتقاد أحدهم أنه أحق بالإمارة منه، وهي بحد ذاتها سبب وجيه لمنعه الإمارة.

– فن المكافأة والتشجيع

بعض الرؤساء لا تنفتح عبقرياتهم ويظهر نشاطهم إلا عند التأنيب والمعاقبة، وفي ذات الوقت لا يلقون بالًا لأسلوب المكافأة أو المديح عند نجاح مرؤوسيهم في عمل.

لا شيء يقتل همة المرؤوس مثل شعوره أن أميره غير مبالٍ بأعماله وأحاسيسه.

الشك يكسر المرؤوس لا تشعر مرؤوسيك بأنك تشك فيهم.

العديد من العبقريات تحطمت بسبب سوء تقدير الأمير وبخله عن التشجيع والتحفير في حينه. وعدم إتقانه فن المكافأة والمديح والثناء.

يشعر المرؤوس بالامتنان حين يساعده أميره في إظهار عبقريته وقدراته وإمكاناته. ويكون مستعدًا لمزيد عطاء.

لا تكتفي بعد الأخطاء فقط بل انظر للمحاسن.

أكثر من النقد ستكثر من الكارهين لك.

لا يجب توزيع الثناء والمديح عبثًا، بل يجب حسن اختيار اللحظة المناسبة لإظهار ذلك.

احذر من إغراق المرؤوس بالهدايا، ولا يكون ذلك إلا في حينه.

قلت: ويخشى أن يركز الأمير مكافآته في يد شخص بعينه دون غيره فيكون سببًا في إذكاء الأحقاد ومشاعر الظلم في نفوس الجند من حوله وينتهي الأمر بضعف إنتاجيتهم وكثرة شكاويهم وتحسسهم. ولابد للأمير أن يحسن

تقيـــيم الأداء وتوزيـــع المكافـــآت بعـــدل وإنصـــاف وحكمـــة لا توجـــب الاضطراب.

– فن الاستعانة بمواهب المساعدين ويسمى التفويض

هل يعمل القائد كل شيء بنفسه؟

لا يمكـن للـرئيس أن يعمـل كـل شـيء بنفسـه، لأن دوره الأول الإشـراف مـن بعيـد وإدارة العمـل، كمـا يحتـاج القائـد لصـفاء ذهنـه ليسـتطيع السـيطرة علـى الحوادث بأفكاره وقراراته.

القيـام بكـل شـي معنـاه الفشـل في تعلـيم الآخـرين علـى العمـل بشـكل مـتقن وعـدم الثقـة بالآخـرين راج إلى سـوء تنفيـذ المهمـات والمسـؤوليات والتـدريب عليها.

أولوية القائد هي حل المعضلات التي لا يحلها إلا هو.

علـى القائـد ألا يبـذل وقتـه وجهـده إلا في الأعمـال الـتي لا يسـتطيع غـيره تنفيـذها، وهكـذا قـد لا يعمـل القائـد بنفسـه ولكـن يعمـل في الحقيقـة كـل شيء بواسطة الآخرين.

يحســن القائــد النــاجح اختيــار مرؤوســيه وتــدريبهم واســتخدامهم بحســب إمكـاناتهم، ويعتمـد قاعـدة الرجـل المناسـب في المكـان المناسـب وكلمـا ازدادات مهارتـه في الاختيـار والتعيـين ازداد حظـه في النجـاح. ويـبرز هنـا القائـد النـاجح الذي يحسن الاستعانة بمساعديه والفاشل الذي يتذمر منهم.

حـين يعمـل القائـد كـل شـي بنفسـه يفقـد المرؤوسـون بـداهتهم وحماسـتهم وثقتهم بأنفسهم.

بعد توزيع المهام والتوجيهات والشروحات، يكتفي القائد مؤقتا بنتائج جيدة نسبيا، بعد فترة سيكون التحسن المنشود.

التدخل في دقائق العمل دون مبرر مزعج ويفقد المرؤوسين السلطة والثقة بالنفس.

لابد من تأطير المرؤوسين في حال غاب القائد يمكن لمساعديه سد مكانه.

هناك من يستغل كل شيء ويستفيد ممن حوله وهناك المشع الذي يعطي النور لمن حوله. فليكن مساعدوك من النوع الثاني.

قلت: ومن أكبر الأخطاء من الأمير أن يقوم بكل شيء بنفسه فينتج عن هذا عقم الإنتاجية في مجموعته والانفلات والتقاعس وتحطيم الهمم ودفن المهارات والعبقريات التي لن تكتشف بهذه الطريقة، كما أنه سيثقل نفسه بالمهام لدرجة يفقد معها جودة العمل والتركيز وهذا ليس دوره كأمير، بل دوره إدارة العمل وتأهيل الأفضل للقيادة من بعده أو في دائرة أخرى من العمل.

جاء في تهذيب شرح كتاب مختصر سياسة الحروب لابن الهرثمي صفحة 99: في باب حسن سياسة الرئيس أصحابه، قال ابن الهرثمي – رحمه الله– : "فوّض إلى قوادك وولاة جندك أمور أصحابهم، ورضهم لهم من غير أن تأذن لأحد في بسط يده عليهم من أخذ مال أو عقوبة. إلا عقوبة أدب في صغائر الأمور، فأما غير ذلك فلا يلينّه غيرك، أو صاحب أحداثك بأمرك".

قال الشيخ قاسم الريمي – حفظه الله – موضحًا السبيل لتجاوز ثغرات التفويض في العمل الجهادي: " فالأخ الذي تخشى أن يخطأ فدعه يخطأ وأنت بجانبه، تتصرف معه وقت الحاجة.

هذا حتى لا تقع الكارثة إن منعك عن العمل مانع أو انشغلت، ويضطر هو لأن يحل محلك ولم يسبق له أن فعل، ولم تره يخطأ أمامك ولم تتمكن من تعليمه وتقويمه.

وبهذا يكون الأفضل أن يخطأ ويتعلم على يدك، وقس على هذا موضوع الأمنيات ومواضيع أخرى كثيرة.

وقاعدة العلاج فيها كلها، هي قاعدة التأهيل قبل التفعيل، فمن أخطاء التفويض الشائعة أن يفوض الأخ قبل أن يؤهل، فلابد من تأهيله قبل أن يستلم العمل، والعلم قبل العمل، حتى لا تتفاجأ به يخرج عن رؤية ومسار العمل الذي تريده، ولا شك إذا علم الأخ وتفقه المسائل التي تتعلق بالعمل الذي تريده أن يمسكه، فلن تجد صعوبة في رؤية نتائج مقبولة".[79]

ونقل كلاما للمؤلف أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري المتوفى سنة 821 للهجرة -رحمه الله- من كتاب إسمه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا." وهو كلام جميل عن موضوع التفويض في القرن التاسع. قال: "فوض إلى أمراء أجنادك وقواد خيلك أمور أصحابهم، والأخذ على قافية أيديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لأمرائهم، والاتباع لأمرهم ، والوقوف عند نهينهم، ونقدّم إلى أمراء الأجناد في النوائب التي ألزمتهم

[79] تهذيب شرح كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي صفحة 102

إياهـا، والأعمـال الـتي استنجدتهم لهـا، والأسـلحة والكـراع الـتي كتبتهـا عليهم". [80]

ت. اختيار المساعدين.

لا يمكـن للمعلومـات الفنيـة لوحـدها أن تجعـل مـن الرجـل رئيسًـا، يقـول بندولسـوك في مجلـة "الـرئيس": هنالـك علـى الأرض أناس طيبـون، أكثـر ممـا نعتقـد والسيئون قلـة نادرة، فـإذا لم نـر في رجـل مـا شـيئًا مـن المحاسـن فأغلـب الظـن أن ذلـك راجـع إلى ضـعفنا في اكتشـاف هـذه المحاسـن، كونـوا ممـن يـدفعون مسـاعديهم إلى الأمـام، ويفهمـونهم عظمـة الـدور الـذي يلعبونـه. حـتى تحصـلوا علـى مـردود ممتـاز ونتـائج رائعـة. ولا تكونـوا ممـن عميـت أبصـارهم فلـم يـروا مـزايا مسـاعديهم وباتـوا يتخبطـون وحـدهم في المتاعـب وعلـى لسـانهم شكوى مريرة من ضعف المرؤوسين".

يقـول مـوروا: "يحـيط الرؤسـاء النـاجحون أنفسـهم عـادة بجماعـة مـن الفنيـين الماهرين المخلصين ويتركون لهم حرية العمل بعد أن يثقوا باندفاعهم".

مـن أراد مصـلحة نفسـه وهـدوء بالـه وإثبـات شخصـيته الضـعيفة اختـار مسـاعدين لا يتمتعـون بمـزايا عاليـة أو إمكـانات كبـيرة حـتى تسـهل علـيهم قيـادتهم، وتلـين لهـم رقـابهم، فـلا بسـيط المغمـور سـلس القيـادة أمـا مـن أراد المصـلحة العامـة ورضـى ضـميره يختـار مسـاعدين ممتـازين ذوي إمكـانات وإبداع وتحمل كبرياءهم وأنفتهم وعنفهم الناجمة عن امتيازهم.

يجـب الصـبر علـى مسـاعد مخلـص عنـد تصـرف عنيـف. خـذوا هـذا النـوع باللين والحكمة.

[80] المصدر السابق صفحة 108

إذا كان اختيار المساعدين قضية حساسة فإن "ترفيعهم" مشكلة تحتاج إلى تمعن ودراية. لابد من الرفع حين يكون الشخص مناسبًا وفي الوقت المناسب وحين لا يكون صاحبه مغرورًا أو ضعيفًا.

قلت: والمساعد هو صورة عن الأمير، فإن كان ظلومًا غشومًا كان اليد التي يبطش بها الأمير وإن كان خلوقًا محبوبًا كان يعكس بصيرة وحكمة الأمير، وأهم ما يتطلبه المساعد من صفات هو الانضباط وحسن أداء الأمانة ومراقبة سير العمل وحسن الانصات وحل المشاكل بهدوء وحكمة وذكاء. ثم الرغبة المتواصلة في تطوير الذات في جميع أبواب الإدارات والمعارف التي تتصل بدائرة اختصاصه.

ث. تسليم المساعدين مهمات تنمي بداهتهم:

يقول ليوتي: "يجب أن يثير الأمر أوامر وبداهات ويخلق عددًا كبيرًا من الخلايا الحية (الرؤساء) ضمن جسم المجموعة".

وهكذا يكون التنفيذ حتى في أدنى المراتب، نوعا من القيادة والبداهة ولا تنفيذ بدون بداهة.

على القائد أن يشرح لجنوده كل ما يرفع مستواهم ويساعدهم على تفهم هدف مهمتهم وسر عمله كقائد. وهضم الجميع فكرته يؤمن الوصول إلى المجموعة المثالية.

حين يتأكد المساعدون من درجة تأثيرهم على المجموعة يظهر الانسجام والتعاون في سبيل الفكرة الجماعية وأبعدوا عن وحدتهم خطر التفكك.

ساعة من التعاون والعمل المشترك أفضل في تدريب الجماعة من سيل منهمر من التعليمات والأوامر.

لا يجوز تعليم المساعدين فن القيادة بدروس ومحاضرات بل بدراسة مشتركة معهم، لحل قضايا ومعضلات عملية تلاقيهم أثناء حياتهم اليومية.

الأمير الناجح يشجع أفكار مساعديه ويستمع إليهم ولا يرفضها قبل دراسة وتمحيص وإلا فإن مصير جماعته الوقوع في براثن التخاذل والروتين.

ساعد مرؤوسك المخطئ ودربه واشرح له الخطأ وطرق تلافيه.

قلت: ولا أفضل من العمل معا والاحتكاك بالمشاكل والأزمات سوية، فهذا يشجع المساعدين على تفجير طاقاتهم والإخلاص في عملهم وتفانيهم فيه حين يشاهدون الأمير حريصًا على مشاركتهم وتأثيرهم في حل هذه القضايا.

ج. دعم المساعدين:

هناك عدة طرق لتثبيط همم المساعدين كالتدخل في حدود عملهم بدون مناسبة أو مكافأة ومعاقبة العناصر التابعين لهم دون استشارتهم أو تجريدهم من بداهتهم أو اعتبار أفكارهم وآرائهم عقيمة دون دراسة أو إلقاء أخطاء القائد على عاتقهم.

يظهر القائد قوته بدعم مساعديه والدفاع عنهم والتحدث بلسانهم وشرح آرائهم وعدم التضحية بهم لإرضاء الرؤساء.

يتذمر بعض القادة أحيانا من ضعف مساعديهم فيكثرون الشكاية، والسؤال: ما هو دوركم إذا ؟ أليس معالجة هذا النقص وتنمية الصفات الحسنة وتدريبهم لأفضل عطاء.

احـذر نهـش الآخـرين لأجـل مصـلحتك الخاصـة أو عـرض عضـلاتك الفكريـة بالاسـتقواء علـيهم مـن خـلال التعـريض بأخطائهـا ونقـاط ضـعفهم وتفوقـك علـيهم ونبوغـك. ومـن يفعـل ذلـك فقـد يصـعد كوصـولي في بادئ الأمـر ولكنـه لا يلبث أن يسقط ضحية عمله المشين.

التـدخل في عمـل المسـاعد يكـون حـين الحاجـة وللضـروة والحسـم، ولكـن بإعـلام المسـؤول المباشـر، حـتى لا يفقـد احترامـه والشـعور بالمسـؤولية ويتنـاقص اندفاعه للعمل أو تضعف سلطته على مرؤوسيه.

قلـت: وتسـاعد هـذه اللمحـات في صـناعة القـادة، ومسـاعدتهم علـى بنـاء مهاراتهم القيادية.

ح. خلق الجو المناسبل للعمل

كلمـا كـان الجـو لطيفًـا ودمثًـا في التفـاهم والتعـاون وتقبـل الأوامـر والتضـحيات يصبح العمل أروع.

المـرح مفيـد في حينـه لإزالـة تـوتر الأعصـاب أثنـاء المـآزق، يقـول ليـوتي: اعملـوا وأنـتم باسمـون فقـد أثبتـت التجـارب أن مـن يعـرف كيـف يتبسـم يعـرف كيـف يضحي.

الكلمة المرحلة تفيد في تجديد النشاط وخلق أفكار جديدة.

النجـاح في العمـل يخلـق شـعور سـعادة علـى الأمـير استغلاله في رفـع معنـويات المرؤوس العامل.

لابـد مـن قضـاء بعـض الوقـت خـارج إطـار العمـل لترسـيخ أفكـاركم مـع مسـاعديكم، والحـديث بحريـة لتجليـة المفـاهيم وتسـهيلها ورد كـل سـوء فهـم أو

نقص. في جو من الصراحة والثقة لوضع النقاط على الحروف وتلمس النقص.

قلت: وعادة الأمير المرح في طبعه يكسب شعبية بين إخوانه، والعبوس يترك نفورًا لا ينتهي، وخشية من المصارحة والتقارب من مرؤوسيه، ولكن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده فعلى الأمير أن يعلم متى يكون مرحًا ومتى يكون حازمًا ويتقن قاعدة "لكل مقام مقال"، وأفضل شيء، أن يترك للطافة ساعاتها التي تكون خارج أوقات العمل فيكون الاحترام أفضل والجدية في أوقات الإنتاج أحسن.

– فن التعاون مع الرؤساء الآخرين

لا غيرة ولا دسائس بين المخلصين الذين يعملون في جماعة واحدة، إنهم يحملون قيمًا ومثلًا عليا.

الانسجام في العمل مفيد لأفضل عطاء، وكل مطالب بتسهيل عمل رفاقه متناسيا منفعته الشخصية ..لا يلحق ضررا بهم.

لابد من ثقة بين الأفراد العاملين بكفاءتهم وعدالتهم وإخلاصهم.

الخلاف بين رؤساء المصالح يعرقل العمل ويقسم المرؤوسين إلى قسمين: ينضم بعضهم إلى أحد الرؤساء ضد الآخر ويدعمونه بشكل يضخم سوء التفاهم ويعرقل كل صلح. أما الآخرين يضعون الجميع في سلة واحدة ويفقدون الثقة فيهم لعجزهم عن التفاهيم بينهم.

مجرد العمل مع مرؤوسين آخرين لا يعني أنه من السهل التفاهم معهم فلكل رئيس شخصيته وطباعه الخاصة، وكلما ازدادت قوة الشخصيات وحدتها، ازداد مجال احتكاكها واصطدامها.

لابد من رغبة كبيرة في التفاهم المشترك لتجاوز عقبة تعارض المسؤوليات.

النقد المستمر من أشخاص لا يمكن إرضاءهم أكبر مسبب لتفتت الوحدة وتحطيم فعاليتها.

ولكن ليس كل نقد مذموم فالنقد الصادق مطلوب لأنه يسعى إلى البناء والإصلاح. ولكنه هدام حين يصدر من نفس مشحونة بالمرارة والحقد بغية التخريب والتهديم. حتى لو تأنق في أسلوب نقده الهدام، والنقد الممتاز هو ما كان لبقا في لفظه بناء في غايته.

نقد الأفعال بأفعال أفضل منها خير من نقد الأفعال بالأقوال فقط.

الانتقاد الهدام والتفرغ لعد سقطات الغير يهدد تلاحم الوحدة والتعاون غالبًا ما يكون الاختلاف في التفاصيل مع اتفاق على المبدأ والأساس وهذا يقضي الحكمة في مداراة نقاط الاختلاف وعلاجها.

عدم القدرة على إفهام الناس ما يريد ضعف شديد في شخصية الأمير لا يليق به.

الصراحة مهمة بين القادة بشرط ألا تكون قاسية وجارحة. بل بتهذيب رفيع.

احذروا المناقشات الحادة والألفاظ القاسية التي تدل على فقدانكم السيطرة على أنفسكم.

أياك والتقية بالحديث عن المحبة وإضمار الحقد والكراهية للفرد.

قد ينجح مؤقتًا من يحاول السمو على أكتاف الآخرين ولكنه ما يلبث أن يسقط.

كان تاليران حساسًا ذا خبرة ديبلوماسية كبيرة، وكان يقول دائما: "لا تحاولوا أن تظهروا أنفسكم على حق دائما لأن ذلك يثير الحقد في نفوس

محـــدثيكم، فيحـــاولون الانتقـــام بكـــل مناســـبة، إن إظهـــار الـــزملاء بمظهـــر الجـاهلين لا يضـمهم إلى صـفكم، حـتى لـو وافقـوكم علـى آرائكـم أو سـكتوا على مضض".

يجـب العمـل كجنـود مجهـولين يعملـون لتحقيـق الغـايات النبيلـة أي يجـب نكـران الذات حين يكون العمل.

قلـت: وكلهـا فنـون وجـب علـى القائـد إتقانهـا والإحاطـة علمًـا بهـا، وبالممارسـة تترسخ المفاهيم ومع الزمن تتراكم الخبرات وتتمايز القيادات.

الفصل الرابع: كيف نصنع قادتنا

(في وضعنا الجهادي الحالي وضمن إمكانياتنا وظروفنا الموضوعية)

إن صناعة القيادة أولوية أولى في الحركة الجهادية في هذا الزمان، ويكتنف هذه الصناعة العديد من التحديات والعقبات على رأسها الملاحقة الشرسة لكل الرؤوس القيادية في العمل الجهادي من قبل قوى الكفر والطغيان.

وصناعة القيادة تعتمد على اجتماع عوامل مركبة، وتوظيف إمكانيات القائد في ممارسات ناجحة لتحقيق الفعالية. فقد يمتلك المرء صفات قيادية عالية، إلا أنه غير قادر على ممارسة القيادة، وقد يظهر المرشح خصائص قيادية رائعة لكنها في مواقف بعينها وفي أزمنة محددة بذاتها، هذا يعني أن القيادة تتأثر بتركيبة القائد والبيئة المحيطة به والفرص والقيود التي يواجهها.

– طرق ترشيح القيادات

تظهر للقيادة خلال العمل الجهادي شخصيات من الجند، يمكن ترشيحها مباشرة لامتحان القيادة بهدف صناعة قيادات جديدة تستلم الراية بتفاني واجتهاد يضمن استمرار البذل وحفظ ثمار الجهاد والارتقاء بالعمل الجهادي.

وفيما يلي مواصفات وجب العناية بها لترشيح الجندي لمرتبة القيادة.

1- القائد الحصيف جندي ناجح

حين يكون الجندي ناجحًا فهو مرشح لمرتبة القيادة بشكل تلقائي، فالجندي الملتزم بالإخلاص والولاء للدين ولقضيته وبالانضباط والسمع والطاعة والتواضع، يقبل النقد البناء بصدر رحب ويستجيب للتوجيهات بنفس عالية. علاقته مع قائده يحدوها الاحترام والتقدير والسعي لخير الجماعة ومصلحة الأمة. وعلاقته مع إخوانه علاقة محبة ورفق وخفض الجناح للمؤمنين، همته متوقدة لا يستثقل المهام ويمضي كالشعاع يخترق الظلام مستبشرًا. يسعى لتطوير ذاته وأدائه باستمرار وتوسيع معرفته وخبراته بلا كلل ولا ملل، يقدم الجندي من هذا النوع بكل تأكيد نموذجًا لقائد مرشح لاستلام منصب القيادة مستقبلا ولكن إذا اجتاز دورات صناعة القيادة بنجاح وأبرز جدارته في وظائف التفويض والمسؤوليات.

2- القائد السيد خادم لقومه

يقال أن "سيدُ القومِ خادمهم".[81] وقال رسول الله ﷺ : "خير الناس أنفعهم للناس"[82]. وهذه صفة عزيزة لا نجدها عند كل الجنود، لكن الجندي الذي لا يسأم من خدمة إخوانه ويسابق لسد الثغر مرشح بلا شك لمرتبة القيادة، تراه منهمكًا في خدمة الآخرين ومساعدتهم لتقديم أفضل عطاء. يسعد لنجاح إخوانه ويسعده أكثر خدمتهم ومساعدتهم لتحقيق هذا النجاح. مفهومه للجهاد يُبنى في ضوء الأهداف الإسلامية الكبرى. فإذا

---

[81] حديث ضعيف، لا تثبت نسبته إلى النبي ﷺ. أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

[82] [الصحيحة 426]

أثبت جدارته في امتحانات القيادة كانت له فرصة لتحقيق الكثير من الانجازات لدينه وأمته.

3- الجندي الثابت المثابر قائد لاحق

لا يمكن أن نعرف معادن الرجال على حقيقتها كما نكتشفها في مواقف الأزمات والفتن، وإن كانت حقبة خطيرة في العمل الجهادي إلا أنها تساعد أيضا في اكتشاف القيادات المستقبلية، فالجنود الذين أبدوا الالتزام بأوامر الإسلام واجتناب نواهيه، رغم شدة الخطب والمصاب الجلل، وجعلوا أحكام الشريعة أولويتهم، وحفظوا مصلحة الجهاد وجعلوها فوق حظوظ أنفسهم ومصالحهم الخاصة، واستمر سلوكهم إسلاميًا راقيًا حتى في التعامل مع من يختلفون معه ويعارضونه أو يعاديهم، هنا تنكشف لنا شخصيات مبهرة تمتلك القدرة على التعامل مع الأزمات وتقديم نموذج صاحب التقوى المحارب للأهواء وهو نموذج مطلوب في صناعة القيادة. فإن امتلك الثابت في الأزمات والفتن شرطي الأمانة والقوة استحق لقب القائد بإذن الله.

4- امتحان الأمانة خطوة نحو القيادة

يعد امتحان الأمانة من أهم الامتحانات التي تكتشف معها القيادات المستقبلية، فالجندي الذي يحفظ الأمانة ويستشعرها كمسؤولية عظيمة مرشح أيضا لمرتبة القيادة. ويدخل في هذا المفهوم أداء المهام بانضباط واحترام لشروط المواعيد ومعايير الاتقان، وحفظ أمانات الأسرار

والممتلكــات، والحــرص علــى تســليم الأمــانات بخشــية واضــحة تــنعكس في الأداء. فـإن اجتمـع مـع هـذه الصـفة البـارزة في المـرء شـرط القـوة فينتظـر منـه إبراز قدراته القيادية بإذن الله.

5- امتحان القوة خطوة نحو القيادة

يـبرز بـين الجنـود غالبًـا المتفـوق بقدراتـه ومهاراتـه الجهاديـة والعلميـة، ومثـل هـذه الشخصـيات تلقـى عنايـة خاصـة لدراسـة إمكانيـة صـناعة قيـادات منهـا إن اكتملت الشروط لهذه الصناعة على رأسها الأمانة.

6- الترشيح المباشر للقائد الجديد

وهـي حـالات التزكيـة مـن قيـادات كـبرى في العمـل الجهـادي بنـاءً علـى معرفـة مسبقة بالمرشـح أو بنـاء علـى تزكيـات مـن ثقـات. ولكـن لابـد مـن اختبـار هـذه التزكية والتأكد من أن صاحبها جدير بمنصب الإمارة.

7- معسكرات التدريب ميدان التمايز

تعـد معسـكرات التـدريب أول محطـة تعـارف بـين القيـادة والجنـود وخلالهـا يمكـن تلخــيص فكــرة عــن الجنــود ودرجــة صــبرهم واحتمــالهم وتفــانيهم وطبيعــة أخلاقهــم وســلوكاتهم ومعــادنهم. وهــذا التمــايز يســمح باكتشــاف العبقــريات والطاقــات القياديــة، وبالتــالي يمكــن ترشــيح بعــض الشخصــيات لاســتلام

القيادة مستقبلا ولكن بعد إثبات جدارتهم في ميدان العمل واجتياز الأزمات بسلام وهذه عملية طويلة تحتاج لصبر ومراقبة.

8- الدورات التدريبية فرصة لاكتشاف القيادات

خلال الدورات التدريبية التي تكون مخصصة لأهداف معينة، يمكن اكتشاف مواهب أحد الجنود أو قدراته الفائقة، ويمكن بعد ذلك ترشيحه لمرحلة صناعة القيادة.

9- معاهد خاصة لإنشاء قيادات

وفي الواقع أرى هذا المشروع ذو أولوية في الساحات الجهادية حيث يتم ترشيح الطلبة الصغار النجباء والمميزين وجمعهم في مدارس خاصة لتقديم برامج ومناهج من نوع خاص لصناعة القيادات، فتبدأ تنشئة جيل كامل قيادي تربى على برامج التأهيل لاستلام الراية ويتم تدريبهم في جميع الميادين والاختصاصات البدنية والعقلية والروحية، قبل تسليمهم مناصب قادة صف ثاني أو قادة مفوضين. هذه الطريقة تصبح ذات أولوية في مراحل التمكين والفتوحات وهي وإن لم تخرج لنا 100% من القادة أصحاب الكفاءة فستخرج لنا نسبة لا بأس بها من القادة الناجحين بإذن الله. فالقيادة علم وملكة وممارسة.

– مراحلة صناعة القيادة

ذكرنا فيما سبق أغلب المراحل التي يمكن من خلالها اختيار مرشحين للقيادة. ونواصل الآن مراحل صناعة القيادة.

1- معسكرات تدريب القيادات

فبعد ترشيح الأسماء التي يرجى منها استلام الراية لاحقا يتم تخصيص معسكرات تدريب للقيادات.

وهي معسكرات مختلفة تمامًا عن معسكرات التدريب العادية. وتمر بمراحل مدروسة ومرتبطة.

معسكرات التدريب هذه ترافقها دورات شرعية وعلمية أخرى أكثر تخصصًا ستقدم خلالها العلوم اللازمة لكل قائد والرصيد الاستراتيجي من المفاهيم والخلاصات الذهبية التي يجب أن يحيط بها كل قائد تمام الإحاطة. وتعتني عناية خاصة بالعلوم الأمنية وتكييف القادة على العمل ضمن ظروف شديدة التحصين والحذر، والتكيّف على العمل بدون أي معدات أو آلات وغيره.

تهتم هذه المعسكرات بالعلوم النظرية والتطبيقية في آن واحد وتخضع القادة المحتملين لجملة امتحانات على درجات من الصعوبة، وهي معسكرات مهمة لتخريج القادة الرجال.

2- مرحلة التفويض

بعد مرحلة المعكسرات والدورات المتخصصة في صناعة القيادة تأتي مرحلة التفويض والتجربة، وهي مرحلة يتم خلالها توظيف القيادات في مراتب قيادية تحت قيادات سابقة وتتم مراقبة أدائهم وإنجازاتهم.

ويجدر الإشارة إلى أن اختيار القيادات يتم بشكل هرمي، بمعنى أن صعود الجندي لمرحلة القيادة سيكون تدريجيًا، فيحمّل مسؤوليات رتبة قائد في الصفوف القيادية الأبعد عن رأس هرم القيادة، ثم بناء على مرحلة ترشيح أخرى يتم ترقية هذا القائد إلى أن يصل إلى مرتبة قائد في الصف الأول إن استحق ذلك.

ولا يتوقف الأمر على ترشيح القيادات وإعدداها الإعداد اللازم لصناعة قائد ناجح إنما لابد من متابعة إنجازات هذا القائد ومرافقته ومحاسبته في مسيرته القيادية عبر محطات العمل المختلفة وفي الأزمات كما في سائر الأيام.

لن أتطرق هنا إلى البرامج المخصصة لصناعة القيادة فهي مجملا تشمل أسرارًا وعلومًا خاصة بالجماعة الجهادية لا يجدر بنا كشفها للأعداء، لكن الأصل فيها أنها تقدم زبدة الخبرات التي يحتاجها القائد وزبدة العلوم والمفاهيم التي عليه الإحاطة بها إضافة إلى تلقين الفنون اللازمة للقائد في أوقات الأزمات والشدائد والفتن. كما أنها تورث القائد الحكمة والفقه والبصيرة في مواجهة الأزمات وحل المشاكل المستعصية بدراسة الأمثلة عن ذلك من التاريخ والحاضر. وأقصد بذلك الإعداد الروحي والعقلي والبدني.

لا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل لابد من مرافقة القيادات الخبيرة للقيادات الناشئة ومناصحتها وترشيدها باستمرار حتى يتم التأكد من قدرتها على استلام إدارة العمل بشكل متقن.

ولا شك أن التفويض يسمح باختصار الكثير من الوقت لصناعة هذه القيادات واكتشاف عبقرية بعضها وتفوّق أخرى.

وأرى التفويض ميدان الإبداع الأول لكل قائد مع انطلاق مسيرته والفرصة الأولى لامتحان قدراته القيادية.

– وقفة مع خطر الاختراق

يتربص بالجماعات الجهادية شياطين أجهزة الاستخبارات والمنافقين من بني جلدتنا الذي يخططون ليل نهار لاختراق الصفوف وحرف البوصلة وتدمير البنيان الجهادي، ولا شك أن اختراق الصف القيادي في الجماعات من أبرز أولوياتهم، وهذا يعني الحذر الشديد عند اختيار القيادات الجديدة والمتابعة الحثيثة لسيرها وسلوكاتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، وما دخله شبهة يحتاج لتحقيق ومتابعة وتبيّن، ولا شك أن القيادة تحيط علما بكل ما يخص سير أفراد القيادة في صفوفها وما يخص عوائلهم ومعارفهم، لكن عموما هناك قاعدة مريحة في العمل الجهادي وهي فصل جميع الدوائر عن بعضها البعض، فلا تطلع قيادة من دائرة أخرى على أسرار هذه القيادة في هذه الدائرة أو تلك، ويحكم المشهد قوانين أمنية صارمة وحذر شديد في أداء المهام الخطيرة. وهذا بكل تأكيد من اختصاص الفريق الأمني الذي تمرس فنون كشف الجواسيس وفضح خططهم وإجهاضها وتحجيم

خسائرها. ولا يعني أن يتحول المرء لمرتبة القيادة أن امتحان أحقيته بهذا المنصب قد انتهى بل قد بدأ فعليًا وهي ساحة يمتحن فيها المجاهد فيعرف الصادق من الكاذب.

ومما يجدر تسجيله أن بعض الجواسيس ممن وصل لمرتبة قيادية لم يتمكن من تحقيق شيء بسبب المراقبة الحثيثة والمحاسبة لكل حركاته وسكناته من قبل قيادة الجماعة الجهادية، وسرعان ما هرب وفر وانفضح نفسه. بل ولم يتمكن من إيذاء أحد لأن ما حمله من معلومات لم تكن لتهدم بنيان جماعة خاضت غمار الحرب الاستخباراتية عقودًا من الزمن، وهذا ميدان لا يقوى عليه المنافقون.

وأعتقد أن من أهم أسباب ثبات الحصون الجهادية العمل وفق نظام الدوائر المنفصلة والإجراءات الأمنية الصارمة، بحيث يمكن كشف أي اختراق والقضاء عليه في مهده طال الزمن أو قصر، وهذه ظاهرة قليلة جدًا في الصف الجهادي لكن وجب التنبيه لها في مقام صناعة القيادات.

ومما يجدر التنبيه إليه هو أن هناك مراحل متعددة ومتصلة ومتراكبة يتم من خلالها صناعة القيادة فهي لا تتم بين يوم وليلة إنما هي خلاصة سنوات من الجد والعمل والمراقبة والمحاسبة وغيرها من أسباب. كما أن تخريج قائد لا يعني التوقف عن صقله وإمداده بكل ما يعينه على الثبات وتطوير الذات وتجاوز الأزمات وهذا يدخل في مرحلة متخصصة جدًا فيما بعد صناعة القائد ليس هذا مقامها وربما تحتاج لتأليف آخر يعتني بمشاكل القيادات والتحديات وسبل الثبات والترقية للأداء القيادي والسمو به لمراتب النجاح.

– مبادىء أساسية لممارسة القيادة

هناك عدة مبادىء أساسية تحكم عمل القيادة وقد لخصتها في أربع نقاط وقد تزيد، لكننا نقدم الحد الأدنى من المبادئ للمارسة القيادة لدى القيادات الناشئة تحديدًا وهي: **الحقوق والواجبات وقواعد العمل المتفق عليها** في الجماعة على ضوء الشريعة الإسلامية، **والشورى والعدل واستيعاب الأفكار**. وهذه المبادئ تسمح للقيادات الناشئة بممارسة القيادة بفاعلية أكثر وتقديم أفضل ما عندها.

1– الحقوق والواجبات وقواعد العمل المتفق عليها

لابد من تبيان الحقوق والواجبات لكل قائد أمام قيادته وأمام رعيته، لأنه بدون تبيان هذه الحقوق والواجبات لا يمكنه استيعاب ما له وما عليه، كما يجب التزام القائد الجديد بقواعد العمل المتفق عليها في الجماعة على ضوء الشريعة الإسلامية، لأنه بدون ذلك لا يقوم نظام حكم بشكل سليم، ولا يستشعر القائد والمرؤوسون وجود سلطة حكم شرعية تضبط أداءهم وتحركاتهم. وتبرز أهمية هذه القواعد التي تبني نظام الحكم في القيادة، بتجنب التشتت مع كثرة الآراء في القضية الواحدة، وتقدم هذه القواعد رأيًا متفقًا عليه تلتزم به بما يناسب المراحل الحالية للأمة الإسلامية، وهي تتغير بتغير الظروف والأحوال والأهداف. وهي قابلة للتطوير والاستدراك لأنها قواعد خصصت لتحقيق أفضل إنتاجية في العمل بحسب المعطيات المتوفرة

والطاقات. ويسمح هذا النظام بتسهيل عملية تسليم المهام من قائد لآخر، كما يسمح بالمحاسبة والمتابعة وتوضيح الخطوط الرئيسية لكل قائد وصلاحياته وواجباته وحقوقه تماما كما يوضح صلاحيات وواجبات وحقوق مرؤوسيه.

يقول الشيخ قاسم الريمي رحمه الله، في شرح كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي: "ومن سياسة الأصحاب، أننا نسوسهم بأداء حقوقهم، والتي نجدها في أدنى كتاب في الفقه وكذلك حقوق الرعية، ونحن ملتزمين بالشريعة لأنها مرجعنا وقد حدد أهل العلم حق المأمور على الأمير وحق الأمير على الجندي، فعلينا أن نبحث عنه ونلتزم به".[83]

وهذا خلاصة الحقوق التي حددها الإسلام، إلا أن قواعد العمل تحدد المزيد من القوانين الضرورية لسير العمل، مثل أن تشترط القيادة على القائد تقديم تقارير عن أدائه مرحلية وحضور اجتماعات إجبارية، وأن يلتزم بتقديم الأعمال في وقت محدد أو تحت شروط بعينها وغيره من قوانين يحتاجها نظام العمل الجهادي لأفضل انتاجية وانضباط.

2- الشورى

يقول سعيد حوى: "اعتماد الشورى في الحكم فريضة شرعية"، وهي أول مبدأ في القيادة الإسلامية. قال تعالى (والذينَ استجابوا لربهم وأقاموا الصلوةَ وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقونَ) (الشورى: 38)

[83] تهذيب شرح كتاب مختصر سياسة الحروب صفحة 107

كما وجه القرآن رسول الله ﷺ للتشاور مع أصحابه فقال الله سبحانه (فبما رحمة منَ اللهِ لنتَ لهم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلبِ لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامرِ فاذا عزمتَ فتوكل على اللهِ انَّ اللهَ يحبُّ المتوكلينَ) (آل عمران: 159)

وممارسة الشورى تمكّن أفراد الجماعة من المشاركة في صناعة القرار، وترشد القائد وتذكره بأهدافه الرئيسية ومصلحة الأمة ابتداءً.

وهذا لا يعني إلزام القائد بممارسة الشورى في جميع الأمور والأحوال، فالأعمال اليومية لا تحتاج لشورى إنما حديثنا عن القضايا المتعلقة برسم السياسات وصياغتها، بحسب ما يتوفر للجماعة من احتياجات وموارد بشرية ومادية ومعطيات تناسب حجم العمل.

قال ابن حزم رحمه الله: "وإذا نزلت بالسلطان معضلة ليس عنده فيها يقين، شاور من أصحابه وولاة جنوده من يرجو عنده فرجا من ذلك، ويشاور في الحروب أهل الحرب وساستها ويسأل عن كل علم أربابه، ولا يشكل على رأي أحد، ولا يطلعهم على ما يختار من رأيهم، فإذا انقضى ما عندهم أنفذ مما سمع منهم".

والشورى تسمح للقائد بمعرفة أفضل الخيارات والإحاطة بالآراء والثغرات سواء عند انطلاق مسيرته مع الإمارة أو خلال أوجها، وهي تسمح أيضا باكتشاف قيادات مستقبلية تظهر من خلال رجاحة العقل والرأي السديد للمستشارين.

3- العدل

لا قيادة بدون عدل، فأول مهمات القائد معاملة الآخرين بالعدل والانصاف بغضّ النظر عن مراتبهم. قال تعالى (إنَ اللهَ يأمركُم أن تؤدوا الأمناتِ إلى أهلهَا وإذا حكمتُم بينَ الناسِ أن تحكُمُوا بالعدلِ) (النساء: 58) وقال أيضا سبحانه (وَلا يجرِمنكُم شنئانُ قوم على ألا تعدلُوا اعدِلوا هوَ أقربُ للتقوى) (المائدة:8)، وقال تعالى (يأيها الذينَ ءامنوا كونوا قومينَ بالقسطِ شهداءَ للهِ ولو على أنفسكُم أو الولدينِ والاقربينَ إن يكُن غنيًّا أو فقيرًا وأولى بهمَا) (النساء: 135)

وحتى يتم إرساء قواعد العدل في الجماعة لابد من توفر هيئة قضاء للتحكيم وتسوية المنازعات الداخلية ورد المظالم. يقوم عليها أهل العلم والتقوى والحكمة.

وتأمل خطبة خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند استلامه أول منصب خليفة للمسلمين حيث قال في خطبته:"أيّها الناسُ: وليتُ أمركم ولستُ بخيركم وإنّ أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ بحقّه، وإنّ أضعفكم عندى القويُّ حتى آخذ منه الحقَّ، أيّها الناس: إنَّنما أنا متّبعٌ ولستُ بمبتدع، فإن أحسنتُ لأعينوني وإن زغتُ فقوّمونى. وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، ولا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضرَبَهَم الله بالذُّلَّ، ولا ظهرت الفاحشةُ في قوم إلا عمّهمُ الله بالبلاء. فأطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. ولوددتُ أنّه كفاني هذا الأمر أحدكُم وإن أنتم أردتموني على ما كان الله يقيم نبيَّه من الوحي ما ذلك عندي، إنما أنا بشرُ فراعوني ...".

فلابد من عدل داخل الجماعة الجهادية لتنعكس بركاته على الجماعة والرعية والعمل.

4.استيعاب الأفكار

ونقصد بها توفير مناخ مناسب للنقد البناء وطرح الأفكار وتلاقحها، يشمل ذلك استقبال الانتقادات والاعتراضات ومعالجتها والرد على الاستفسارات التي يوجهها الجند للقائد. ويخلق هذا الأمر شعور أمان وثقة في القيادة كما يسمح للقيادة بمعالجة كل الثغرات التي قد يتسلل من خلالها دعاة الفتنة والفرقة.

- **خلل في مفهوم القيادة**

بعض القيادات تعاني من خلل في مفهوم القيادة وهنا أمثلة على ذلك وهي على سبيل المثال لا الحصر.

1- **القائد اللاقيادي**

بعض القيادات هم بالأحرى لاقياديين، لا يحملون أي فكر قيادي بل يتعاملون وفق تأثير الجنود ولتلبية طلباتهم لا غير، مثال على ذلك، حين تشاهد القائد يتقدم للاجتماع دون أي إعداد مسبق ثم يقول للحضور: "أنا تحت خدمتكم أخبروني ما المطلوب وأنا سأنفذه بإذن الله ومعونته". بينما ينتظر كقائد أن يأتي بأفكاره جاهزة وخططه مدروسة واحتمالاته مرجحة، قبل اتخاذ أي قرار. فزمام القيادة بيدك وأنت من يقرر بناء على ما

تـراه مـن مصـلحة ومكاسـب، وهـذه هـي المسـؤولية. ومثـل هـذا القائـد يعوضـه أي شخص.

2- القائد الذى يسعى لإرضاء الجميع

هـو القائـد الـذي يحـاول إرضـاء الجميـع، وإرضـاء النـاس غايـة لا تـدرك! فكلمـا جـاءه جنـدي بـرأي وافـق عليـه وإن كانـت الآراء متناقضـة ومتضـاربة، مثـال على ذلـك إذا جـاءه جنـدي يطـرح شـكوى، قـال لـه: "معـك حـق"، ومـا أن يغـادر هـذا الجنـدي ويأتي غـيره ويقـدم شـكوى أخـرى في صـاحبه الـذي سـبقه فيقول القائد: "معك حق"، وهنا قصة طريفة تصور لك هذا الخلل:
كـان مـدير أحـد المصـانع برفقـة صـديقه يـزوره فـدخل عليـه مشـرف عـن العمـال يشـكو أحـد العـاملين فقـال لـه المـدير: "إنـك علـى حـق في مـا تقـول"، وبعـد أن غـادر المشـرف جـاء العامـل نفسـه وشـكى المشـرف فـرد عليـه المـدير: "إنـك علـى حـق". احتـار الصـديق الزائـر وسـأل مـدير المصـنع: "لقـد اشـتكى لـك كـل منهمـا الآخـر وأخـبرت الاثنـين أن كـلًا منهمـا علـى حـق، فكيـف يكـون ذلـك؟ فقال المدير لصديقه: "والله إنك أنت أيضًا على حق في ما تقول".
فمثـل هـذا القائـد مـا يلبـث أن ينكشـف ضـعفه لجنـوده وسـيفقد ثقـتهم فيـه وبالتالي احترامه وفعاليته.

3- زيادة العبء على القائد الناجح

نشاهد هذا الخلل حين يسارع القائد لتحمل ثقل المهام الكثيرة والمتعددة في نفس الوقت وإن لم يكلّف بها بأمر قيادي، لأنه قائد ناجح وسبق أن أثبت جدارته، فيسبب ذلك مع طول الزمن وتراكم المهام ضعف الانتاجية والكفاءة القيادية لهذا القائد، كما يمنع هذا من اكتشاف المزيد من الطاقات والقدرات داخل الجماعة نفسها بتوظيفها في بعض هذه الأعمال وتوزيع المسؤوليات. فالقيادة لا يعني أن نجعلها في يد شخص بعينه لكفاءته بل يعني أن نصنع قيادات كفؤة أخرى تتقاسم معه أعباء هذه القيادة.

ويجب التنبيه إلى أن هناك حالات تستثنى من هذا المفهوم، مثل أن تضطر القيادة في ظرف حساس إلى الاعتماد على قائد بعينه لمهاراته وثقتها الكبيرة فيه، ولكنها فترة مرحلية إلى أن تستقر الأمور ويتولى المهام من يقدر على أدائها بحقها.

4- تبعية القائد للجندي

يتميز بعض الجنود بقدرة كبيرة في التأثير على القائد، فتتحول أفعال هذا القائد لمجرد انعكاس لرغبات الجنود أو ممارساتهم. وسرعان ما تكتشف القيادة أن هذا النوع من القيادات سهل جدًا الاستغناء عنه.

– وقفة مع مرتبة القائد

وفي الواقع أن تصبح قائدًا فلا يعني أنك جدير بهذا المنصب لمجرد وصولك إليه بل وصولك إلى هذه المرتبة يعني دخولك لامتحان كبير، تجاهد فيه نفسك وتجاهد فيه أعداء الله ورسوله ﷺ، وهي فرصة واحدة قد لا تتكرر لتخدم دينك وأمتك بأفضل ما لديك من طاقات بذل وحرص وفداء.

فكم من قائد انتهى به الأمر للعودة إلى صفوف الجند، وكم من قائد انتهى به الأمر للانتكاس أو الردة والعياذ بالله، فكونك القائد لا يعني أنك سلمت ونجوت بل يعني أن مرحلة الجد والعمل قد بدأت بالفعل، فإما أن تكون أو لا تكون.

والقائد يكون تحت أعين الرقابة من كل حدب وصوب، سواء من جهة القيادة أو الجنود أو حتى الأعداء بل وحتى الأقارب والأهل، لهذا فهو مطالب بمحاسبة نفسه وضبطها في كل خطوة وحركة وسكون، إنه أمام مسؤولية النجاح وتقديم القدوة، فبنجاحه يقتدي الجيوش والأجيال من بعده، وبفشله يحبط الكثيرون!

والقائد الناجح يطور نفسه ويبني مهاراته تلقائيًا مع كل يوم يمضي في عمره في منصب القيادة، ويتزود وخير الزاد التقوى ليتمكن من المسير على نور من الله. وإلا فإن عثراته ستكثر وسقطاته ستتعدد ويرسب. وهذا يستوجب منه أن يكون شديد المحاسبة لنفسه وشديد الحزم والانضباط.

ولا شك أن القائد الناجح سيلاقي خصومًا من داخل الجماعة تحسده، وتتمنى له الفشل والخسارة والنهاية السيئة، وهذه حقيقة بين البشر وحتى في ساحات الجهاد، فهي ساحات الامتحان الحقيقي، وحتى يتمكن من

تجاوز فخاخهم وشراكهم عليه أن يتحلى بالدهاء المحمود والذكاء والحلم وحسن التوكل على الله، وألا يضع نفسه في موقف يستغلونه فيه، فلا يسمح لنفسه بمواقع الشبهات أو التقصير والخطأ أو المشاركة في الآثام والذنوب بما في ذلك الغيبة والنميمة، بل يفوض أمره لخالقه هو أعلم بعباده بصير بهم سبحانه، وسيكفيه شرورهم.

وليتوكل على الله مولاه فإن هذه السبيل سبيل حق، لا يقبل باطلا، وما عند الله لا يؤتى إلا بالتقوى والصدق.

يجدر الإشارة إلى أنني وددت أن أضيف فصلا ألخص فيه أبرز المشاكل التي قد تصادف القائد خلال مسيرته لكنني حتى لا أخرج كثيرًا عن فحوى الكتاب "صناعة القيادة" آثرت أن أختزل قدر المستطاع، وفي الواقع يواجه القائد العديد من المشاكل والعقبات يصل بعضها لدرجة خطورة كبيرة، خلال إدارته لعمله، ولكن عليه أن يستعين بالله سبحانه ثم بعقله وقلبه والمشورة لحسمها وتجاوزها إلى الأمام.

الفصل الخامس: نماذج من القيادات

يزخر تاريخ المسلمين بنماذج غاية في الروعة حين نتحدث عن القيادة، بل لا أبالغ إن قلت أن نماذح القيادات في العالم الإسلامي فاقت جميع الأمم والدول براعة وإتقانًا وتميزًا وعبقرية فذة لا نظير لها.

وتأتي هذه القوة لقوة الإيمان والهمة الوقادة ولقدرة القيادات الإسلامية على تغيير واقع المسلمين من أدنى درجات الضعف إلى أقصى درجات القوة بتوظيف جميع الطاقات والأسباب المتوفرة لصالح هذا الهدف.

ولا يمكنني في هذا الطرح أن ألخص سير جميع النماذج القيادية في تاريخ المسلمين وحاضرهم ولا يمكنني أيضا أن ألخص براعة القائد الأول نبي الله مُحَمَّد ﷺ، فذاك مقام نبوة رفيع يستحق تأليفًا منفردًا. كيف لا وقد نجح بشكل مطلق في توحيد العرب - بعد جاهلية فتاكة- لأول مرة على ديانة التوحيد ودولة موحدة، تنبذ العنصرية والعصبية القبلية وتتوجه بالفتوحات لنشر رسالته ﷺ للعالمين، فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

لكنني أستأنس وإياكم ببعض القيادات التي برزت من الصحابة وما لحقهم من قادة أبطال غيروا مجرى التاريخ وقدموا دروسًا لا تقدر بثمن في علم صناعة القيادة، كل نموذج منها يستحق إطالةً وتفصيلًا لكنه ليس مقامنا هنا ويمكن الرجوع إلى مصادر تلخص سير هؤلاء الأبطال بشيء من التفصيل للاستزادة وإلهام القريحة وشحذ الهمة بالنماذج القدوة.

وقبل تقديم نماذج عن هذه القيادات لابد أن نتحدث قليلا عن طبقات القادة في تاريخ المسلمين وقد اقتبست لهذا القسم ما عرضه قسم "القادة العسكريون العرب والمسلمون وكتابة تاريخهم" من كتاب (العسكرية العربية

الإسلامية)، للكاتب اللواء الركن محمود شيت خطاب، الذي قدم للمكتبة الإسلامية نحو مائة وستة وعشرين كتابًا وبحثًا بجهوده الفردية في هذا المجال، وجاء في هذا القسم:

- **طبقات القادة**[84]:

أ) **الطبقة الأولى**: من قادة العرب والمسلمين، هم قادة النبي ﷺ، الذين قادوا سراياه، أو قادوا تشكيلاته التعبوية في غزواته.
وقادة سراياه، هم الذين قادوا إحدى سراياه، لتحقيق واجب معين في وقت معين، وكان تعداد سراياه سبعًا وأربعين سرية.
والتشكيلات التعبوية في غزواته، هي المقدمات والمؤخرات والمجنبات التي كان يتخذها لحماية جيشه في مرحلة مسير الاقتراب، وقادة المفارز الاستطلاعية، وقادة أصحابه كالمهاجرين والأنصار والقبائل، وقادة أرتاله المكلفة بواجب خاص، كالأرتال التي دخلت مكة المكرمة في غزوة الفتح.
وقادة النبي ﷺ من الصحابة الكرام خريجو مدرسته القيادية، وكلهم من العرب المسلمين.

ب) **والطبقة الثانية**: من قادة العرب والمسلمين، هم قادة الفتح الإسلامي، وقادة إعادة الفتح الإسلامي بالنسبة للبلاد التي سبق فتحها ثم انتقضت، فأعاد المسلمون فتحها من جديد.

---

[84] كتاب (العسكرية العربية الإسلامية)، للكاتب اللواء الركن محمود شيت خطاب، الذي قدم للمكتبة الإسلامية نحو مائة وستة وعشرين كتابًا وبحثًا بجهوده الفردية في هذا المجال.

وقـد بـدأ الفـتح الإسـلامي سـنة إحـدى عشـرة الهجريـة (132م)، وانتهـى سنة مائـة الهجريـة (718م)، وكـان مـد الفـتح الإسـلامي عاليًـا علـى عهـد أبي بكـر الصـديق وعمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنهمـا، وحـتى سـنة إحـدى وثلاثـين الهجريـة (651م) مـن عهـد عثمـان بـن عفـان ﷺ، ثم أصبح الفـتح الإسـلامي فتحًـا جديـدًا واستعادةً للفـتح مـن سـنة إحـدى وثلاثـين الهجريـة إلى سنة مائة الهجرية، وذلك بعد عودة الوحدة إلى صفوف المسلمين.

وأكثـر قـادة الفـتح مـن الصـحابة، وأقلهـم مـن التـابعين، وجمـيعهم مـن العـرب المسلمين عدا طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين.

ويمكـن إضـافة أسـد بـن الفـرات فـاتح صـقلية، ومُحَمَّد الفـاتح فـاتح القسـطنطينية إلى طبقـة قـادة الفـتح، كمـا يمكـن إضـافة صـلاح الـدين الأيـوبي إلى طبقـة قـادة إعادة الفتح.

ج) **الطبقـة الثالثـة**: مـن قـادة العـرب والمسـلمين، هـم قـادة الـدفاع عـن الـبلاد الإسـلامية الـذين اسـتطاعوا صـد العـدوان الخـارجي، واسـتطاعوا القضـاء علـى الفـتن الداخليـة، وهـم القـادة الـذين جـاؤوا بعـد سـنة مائـة الهجريـة وانتهـوا بسـقوط بغـداد عاصـمة العباسـيين علـى أيـدي التتـار سـنة سـت وخمسـين وستمائة الهجرية (1258م).

وقـد اسـتطاع السـلطان قطـز سـنة ثمـان وسـتمائة الهجريـة (1260م) صـد التتـار في معركـة (عـين جـالوت) علـى أرض فلسـطين وانتصـر علـيهم، فهـو من قادة الدفاع عن البلاد الإسلامية أيضًا.

د) والتوقيت الذي ذكرته بالنسبة لقادة الفتح الإسلامي وقادة استعادة الفتح الإسلامي، وقادة الدفاع عن البلاد الإسلامية، توقيت يصدق على الأغلبية العظمى من القادة في تصنيفهم إلى طبقات، أما القلة القليلة من القادة الفاتحين أو مستعيدي الفتح أو المدافعين، فيمكن إضافة كل قائد إلى طبقة مع الإشارة إلى تاريخ فتحه أو استعادته الفتح أو انتصاره في المعارك الدفاعية.

لقد فتح قسم من القادة أجزاء من أوروبا في أيام الدولة العثمانية، فهم بدون شك من قادة الفتح.

واستطاع قسم من القادة استعادة بلاد إسلامية احتلها أعداء المسلمين في عهد الدولة العباسية، وفي الحروب الصليبية خاصة، فهم بلا مراء من قادة استعادة الفتح.

واستطاع قسم من القادة الدفاع بنجاح عن بلاد المسلمين في عهد العباسيين وملوك الطوائف، وفي أيام الحروب الصليبية الخاصة، فهم بلا ريب من قادة الدفاع عن بلاد المسلمين.

ولكن أعداد أولئك القادة المنتصرين قليلة، بالمقارنة بأعدادهم الضخمة التي وردت في توقيت تصنيف طبقاتهم، فلا ينبغي إغفال كتابة تاريخهم تقديرًا لجهادهم وجهودهم، وهم يستحقون أعظم التقدير وأصدق الوفاء.

المصـادر[85]:

في المصـادر التاريخيـة المعتمـدة، معلومـات غزيـرة عـن المعـارك المختلفـة خاضـها قـادة العـرب والمسـلمين، تغطـي الناحيـة العمليـة مـن حيـاة القـادة تغطيـة كاملـة أو قريبة من الكمال.

ولكـن كتابـة سِـيَر القـادة العـرب والمسـلمين، تشـمل سِـيَرهم قـادةً وسـيرهم بشـرًا، ولا ينبغـي الاقتصـار علـى سـيرهم قـادة، وإبـراز سمـاتهم العسـكرية، والسـكوت عـن أيـة سمـة لأي قائـد إنسـانًا، فـذلك وحـده يكمـل الصـورة لتـاريخ القـادة العسكرية وغير العسكرية.

وقـد كـان عمـل القـادة في الغالـب، لا يقتصـر علـى العمليـات العسـكرية، بـل يشـمل القضـايا الإداريـة، لأنهـم كـانوا ولاة يمارسـون الإدارة، وقـادة يمارسـون القيـادة، وتاريخهـم الإداري لا يقـل أهميـة عـن تاريخهـم العسـكري، وتاريخهـم الرسمـي قـادة وإداريـين جـزء مـن تاريخهـم الكامـل، فينبغـي تـدارس تاريخهـم بشـرًا يأكلـون الطعـام ويمشـون في الأسـواق، ويعملـون عمـل سـائر البشـر، زواجًـا وإنجـابًا، ولهـم سمـاتهم البشـرية مـزايا ومآخـذ، ليكـون تاريخهـم كـاملًا جهـد الإمكـان، بحيـث يسـتطيع الـذي يـدرس تاريخهـم أن يتصـور أي نـوع مـن البشـر كانوا في حياتهم بالإضافة إلى تصوُّرِهم أيِّ نوع من القادة والولاة.

والمصـادر غـير التاريخيـة الـتي تفيـد في كتابـة تاريـخ القـادة تكـاد لا تُعـدُّ ولا تحصى، ولكـن لـيس مـن السـهل كتابـة تاريخهـم لأنـه لا تتيسـر دراسـات خاصـة مسـتقلة لكـل قائـد، بعكـس المفسـرين والمحـدثين والمـؤرخين والفقهـاء والأدباء والشـعراء والنحـاة واللغـويين والصـوفية والأطبـاء والفلاسـفة وأصـحاب الملـل

[85] المصدر السابق

والنحل ومختلف العلماء العرب والمسلمين في مختلف العلوم، فلكل واحد من هؤلاء الأعلام دراسة خاصة مستقلة.

أما القادة العرب والمسلمون، فينبغي للذين يحبون أن يكتبوا تاريخهم، أن يجمعوا شتات ما جاء عن كل واحد منهم من مختلف المصادر التاريخية والأدبية والعلمية، ومصادر التفسير والحديث والأنساب والفروسية والمعجمات وغيرها، ليبنوا سيرتهم من جديد لأول مرة في التاريخ لَبِنَةً لبنة بجهد جهيد ودأب متواصل وعمل شاق وصبر جميل.

وكل مصدر من المصادر يذكر القادة بالنسبة لاختصاص ذلك المصدر:

مصادر التاريخ تذكر معاركهم وأعمالهم الإدارية ولاة وقادة، وكتب الحديث تذكر عدد الأحاديث التي روها وأسماء الرواة الذين أخذوا عنهم وأسماء الرواة الذين أخذوا منهم ومبلغ الثقة بهم، وكتب الأدب تروي محلهم الأدبية وأقولهم السائرة، وخطبهم وأحاديثهم البليغة وشعرهم ونثرهم، وما قيل فيهم من الشعر في المدح أو الهجاء، وكتب الأنساب تتحدث عن أنسابهم وعن أعقابهم وذريتهم وأزواجهم، وكتب الفروسية تروي نتفًا من فروسيتهم.

ولا أعرف مصدرًا عربيًا إسلاميًا معتمدًا يمكن الاستغناء عن دراسته، لاستكمال كتابه تاريخ القادة، فلابد أن يكون المؤلف خبيرًا بالكتب والمكتبات، مغرمًا بالقراءة والتتبع، يلتقط كل كلمة أو جملة تفيده في دراسته وتأريخه.

ولكـي يبـني قصـة حيـاة قائـد مـن القـادة، عليـه أن يـدرس عشـرات المصـادر المعتمـدة بـل مئـات المصـادر، حـتى يسـتطيع إبـراز سـيرته قائـدًا وإنسـانًا، وكـل جهـد ووقـت ومـال ينفـق مـن أجـل تحقيـق هـذا الهـدف الحيـوي يهـون، والمهـم أن نبـدأ الطريـق الطويـل الشـاق، وكـل بدايـة في كـل مسـيرة طويلـة شـاقة، تبـدأ بالخطـوة الأولى، ثم تتعاقـب الخطـوات خطـوة بعـد أخـرى، حـتى يصـل إلى المثابة المرجوة بالمثابرة والإصرار والاستمرار.

إن قـراءة مصـدر واحـد عـن قائـد مـن القـادة لا يكفـي أبـدًا، فيجـب قـراءة المصـادر كافـة مهمـا يبلـغ تعـدادها، لأن إخـراج سـيرة قائـد واحـد بشـكل متكامـل أو قريـب مـن الكمـال، أجـدى وأبقـى مـن إخـراج سِـيَر عـدة قـادة بشكل ناقص أو مشوه أو مبتور.

انصـاف القـادة[86]:

لم تجحـد أمـة مـن الأمـم قادتهـا العسـكريين، كمـا جحـدت الأمـة العربيـة والإسـلامية قادتهـا العسـكريين، فقـد لاقـى القـادة العـرب والمسـلمون عقوقًـا وجحودًا من أمتهم بشكل منقطع النظير بين سائر الأمم الأخرى.

وقـد عكـف المؤلفـون القـدامى مـن العـرب والمسـلمين، علـى تأليـف كتـب الطبقـات مـن كـل صـنف ونـوع، إلا القـادة العسـكريين، فلـم يكـن لهـم نصـيب

[86] نفس المصدر السابق.

أي نصيب في كتب الطبقات على الرغم من كثرتها وتعدد أصنافها وأنواعها بما لا مزيد عليه.

فهناك كتب طبقات المحدثين، وكتب طبقات المفسرين، وكتب طبقات الفقهاء في شتى المذاهب الإسلامية، وكتب طبقات الأدباء، وكتب طبقات الشعراء، وكتب طبقات النحاة، وكتب طبقات الصوفية، وكتب طبقات الأطباء، وحتى كتب طبقات المغنِّين ... وغيرهم كثير.

أما كتب طبقات القادة العسكريين، فلا ذكر لهم في كتب الطبقات!!! وربما يزعم من يزعم، أن ذكر القادة العسكريين العرب المسلمين قد ورد في المصادر التاريخية وطبقات المحدِّثين وغيرها من المصادر الأخرى ولكن ما ورد عنهم في تلك المصادر نزر قليل من جهة، وموزع على عشرات المصادر من جهة أخرى، وكل مصدر يذكرهم بالنسبة لاختصاص ذلك المصدر فحسب.

ولا أعتقد أن كتب مصادر الطبقات التي دونت تاريخ الرجال العرب المسلمين الأعلام، من مختلف الصنوف والأنواع في مختلف العلوم والآداب والفنون، أكثر أهمية من القادة العسكريين عامة، وقادة الفتح الإسلامي وقادة استعادة الفتح الإسلامي خاصة، لأنهم فتحوا البلاد وحملوا الإسلام إليها بالفتح، ولم يحملوهم على الإسلام بذلك الفتح، ولأنهم نشروا اللغة العربية في البلاد المفتوحة، فلم يمض زمن قصير إلا ونبغ من سكان البلاد

المفتوحة علماء أعلام في العربية يتعلمون بها ويعلمون، ويكتبون بها ويؤلفون، ويخطبون بها ويتكلمون.

وهذه الأعمال الباهرة التي قدمها القادة العرب المسلمون لعقيدتهم ولغتهم وأُمتهم، ينبغي أن تذكر لهم بكثير من العرفان، وتسجل في سيرة كل واحد منهم بالفخر والاعتزاز، في صفحات مشرقة بالنور من صفحات الرجال الأفذاذ.

أليس من الغريب حقًا والمخجل أيضًا، أن تخلو كتب الطبقات العربية الإسلامية القديمة على كثرتها وتنوعها بحيث تضيق عن الحصر وتصعب في التصنيف، من كتاب واحد عن: قادة الفتح الإسلامي!!!

وجاء الاستعمار القديم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين، فوجد الجو مناسبًا لطمس أسماء القادة العرب والمسلمين من مناهج التدريس في المعاهد والجامعات، وإبراز القادة الأجانب في تلك المناهج، فتخرج التلاميذ والطلاب في تلك المؤسسات التعليمية وهم جيل الاستعمار القديم، يجهلون حتى مجرد أسماء قادتهم الذين فتحوا بلادهم وحملوا إليها الإسلام دينًا والعربية لغةً، لأنهم شغلوا عن قادتهم الغر الميامين بقادة الاستعمار القديم، فأصبحوا يعرفون عن نابليون بونابارت (مثلًا) كل شيء ويجهلون عن خالد بن الوليد كل شيء!!

ولم تقتصر الجهود الاستعمارية على طمس أسماء القادة العرب المسلمين وسير حياتهم على المؤسسات التعليمية المدنية، بل شملت المؤسسات العسكرية العربية والإسلامية أيضًا، بل كانت الجهود الاستعمارية في المؤسسات التعليمية العسكرية أدهى وأمر وأشهد إمعانًا في التخريب مما كانت عليه في المؤسسات التعليمية المدنية، فقد كان يدرس في المؤسسات التعليمية العسكرية العربية الإسلامية في مادة: (تاريخ الحرب)، سِيَر قادة الاستعمار الأجنبي الذين قادوا الحملات العسكرية لاكتساح البلاد العربية والإسلامية واستعبادها وإذلالها والاستحواذ على خيراتها، فكان يُدرَّس في الكلية العسكرية العراقية الملكية للطلاب الذين يصبحون ضباطًا بعد تخرجهم في تلك الكليات، معارك استعمار العراق في الحملة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى بأسلوب يبهر الطلاب العسكريين بمزايا القادة البريطانيين الأجانب وبعقيدتهم العسكرية الأجنبية في القتال!!

والمعنويات العالية، هي التي تقود العسكري إلى النصر، ولا نصر مع المعنويات المنهارة، والضابط العربي المسلم يتخرج في كليته العسكرية محطم المعنويات مشلول الإرادة، مبهورًا بالعقيدة العسكرية التي تحتل بلاده وبالعسكريين الذين اغتصبوها، يؤمن بأن الأجنبي متفوق عليه عسكريًا وفكرًا وعقيدة فلا مجال للحاق به أو منافسته، وليس له إلاَّ أن يستخذي للمستعمر ويستجدي رحمته وعطفه ويستسلم له، وهنا بيت القصيد.

ومضى الاستعمار القديم إلى غير رجعة، فاستقلت الدول العربية الإسلامية بخروج الاستعمار القديم ورحيله عنها، ولكنها بقيت تعاني عقابيل

الاستعمار الفكري الذي لا يزال مُعَشْعشًا فيها، وابتليت بالاستعمار الحديث بعد أن تخلصت من الاستعمار القديم، إذ خرج القديم من الأبواب ودخل الحديث من النوافذ، وبقي جيل الاستعمار القديم مسيطرًا على التعليم والمؤسسات التعليمية، ينفث سموم ما لقنه المستعمر في عقول التلاميذ والطلاب.

أليس من المذهل حقًا أن أوجِّه هذا السؤال إلى معارفي من المثقفين، ومنهم أساتذة للتاريخ في الجامعة: ما اسم القائد الذي فتح المدينة التي نعيش فيها؟ فلم أسمع جوابًا!! أو سمعت جوابًا بعيدًا عن الصواب!

ذلك هو مبلغ ما وصل إليه العرب والمسلمون من عقوق شنيع قادتهم، وهذا هو الواقع المرير.

– نماذج للقيادات من تاريخ المسلمين

وقد حفل التاريخ الإسلامي بالعديد من الملاحم الضارية بين الدولة الإسلامية ودول الكفر والضلال التي حملت السيف في وجه الحق والدين، وبرزت العديد من الأسماء التي نُقشت بماء من ذهب وكانت مثالا للقيادات المبهرة في جيوش المسلمين، وسنذكر فيما يلي بعض القادة المسلمين الذين أذاقوا الويلات للكفار وحفلت كُتب التاريخ بأسمائهم وقصصهم حتى باتت أسماؤهم علما يعرف مكانته الكفار قبل المسلمين.

▪ أبو بكر الصديق ﷛

سـار الصِّـدِّيق ﷛ علـى خطـى النـبي ﷺ، وتجلـت عبقريتـه القياديـة بوضـوح في أخطـر مرحلـة تمـر بهـا دولـة الإسـلام فانتشـلها مـن مسـتنقع الـردة ومضـى بهـا في تسـطير أمجـاد المسـلمين. وإنـه لمـن الصـعب أن ألخـص مهـارات الصـديق ﷛ في القيـادة إلا أنـه مـن المهـم تسـليط الضـوء علـى أسـلوبه في تحصـين دولـة الإسـلام بعـد مـوت رسـول الله ﷺ حيـث قـام بمراسـلة وبعـث الرُّسـل إلى قبائـل المتنبِّئـين؛ لتجميـع الثَّـابتين علـى الإسـلام، وليشـكِّل بهـم جماعـةً تحـارب الـردَّة، وحـاول أن يحجـم، ويقضـي علـى مـا يمكـن القضـاء عليـه مـن بـؤر المرتـدِّين. لقـد أعـدّ الصـديق ﷛ الأمَّـة لمواجهـةٍ منظَّمـةٍ مـع المرتـدِّين بعـد عـودة جـيش أسـامة ﷛.

وقـد قسـم أبـو بكـر الجـيش الإسـلاميَّ إلى أحـد عشـر لـواءً، وجعـل علـى كـلِّ لـواءٍ أمـيراً، وأَمَـرَ كـلَّ أمـير جنـد باسـتنفار مـن مـرَّ بـه مـن المسـلمين التَّـابعين مـن أهـل القـرى؛ الَّـتي يمـرُّ بهـا، وتنبـئ خطَّـة الصِّـدِّيق ﷛ عـن عبقريـةٍ فـذَّةٍ، وخـبرةٍ جغرافيَّـةٍ دقيقـةٍ. ومـن خـلال تقسـيم الألويـة، وتحديـد المواقـع، تتضـح معرفتـه الدقيقــة بالجغرافيــا والتضــاريس والتجمُّعــات البشــريَّة، وخطــوط مواصــلات جزيـرة العـرب، فكـأنَّ الجزيـرة العربيـة صـورت مجسـمًا واضـحًا نصـب عينيـه في غرفـة عمليـات مجهَّـزةٍ بأحـدث وسـائل التِّقنيَّـة، فمـن يـتمعَّن تسـيير الجيـوش ووجهـة كـلٍّ منهـا، واجتماعهـا بعـد تفرُّقهـا، وتفرقهـا لتجتمـع ثانيـةً، يـرى تغطيـةً سـليمةً رائعـةً صـحيحةً مثاليـةً لجميـع أرجـاء الجزيـرة مـع دقَّـةٍ في الاتصـال مـع هـذه الجيـوش، فـأبو بكـر في كـلِّ سـاعة يعلـم أيـن مواقـع الجيـوش، ويعلـم دقـائق أمورهـا، وتحرُّكاتهـا، ومـا حققـت، ومـا عليهـا في غـدٍ مـن واجبـات، والمراسـلات دقيقــةٌ وســريعةٌ تنقــل أخبــار الجبهــات إلى مقــرِّ القيــادة في المدينــة حيــث

الصِّـدِّيق، وكـان علـى صـلةٍ مسـتمرَّةٍ مـع جيوشـه كلِّهـا، وبـرز مـن المراسـلين العسـكريين مـا بـين الجبهـات وبـين مقـرِّ القيـادة: أبـو خيثمـة النجـارين الأنصـاريُّ، وسـلمة بـن سـلامة، وأبـو بـرزة الأسـلميُّ، وسـلمة بـن وقـش. وكانـت الجيـوش الَّـتي بعثهـا الصِّـدِّيق متماسـكةً، وهـي أحـد إنجـازات الدَّولـة الهامَّـة؛ إذ جمعـت تلـك الجيـوش بـين مهـارة القيـادة، وبراعـة التَّنظـيم فضـلاً عـن الخـبرة في القتـال، صـهرتها الأعمـال العسـكريَّة في حركـة السَّـرايا، والغـزوات الَّـتي تعـدَّى بعضـها شـبه الجزيـرة في زمـن النَّـبيِّ ، فقـد كـان الجهـاز العسـكري لدولـة الصِّـدِّيق متفوقـاً علـى كـلِّ القـوى العسـكريَّة في الجزيـرة، وكـان القائـد العـام لهـذه الجيـوش سـيف الله المسـلول خالـد بـن الوليـد صـاحب العبقريَّـة الفـذَّة في حروب الردَّة، والفتوحات الإسلاميَّة.

إنَّ اقتـداء أبي بكـرٍ ﵁ برسـول الله ﷺ علَّمـه فـنَّ القيـادة، ونجـاح القائـد في قيادتـه يتوقـف علـى مـدى نجاحـه في جنديَّتـه، ولقـد كـان أبـو بكـرٍ نعـم الجنـديُّ في جـيش المسـلمين مخلصًـا في ولائـه لرسـول الله، يطبِّـق مـا يقولـه بحـذافيره، مضـحِّيًا في سـبيله، لم يَفـرَّ عنـه في معركـةٍ قـطُّ، ونسـتطيع أن نـدرك دقَّـة آرائـه القياديَّـة، وبُعـد مرماهـا مـن وصـاياه لقـوَّاده، وخططـه العامَّـة الَّـتي رسمهـا لهـم أثناء تحرُّكهم لضرب قوات العدوِّ[87].

[87] من مقالة خطة قيادية وحنكة سياسية من الخليفة أبي بكر الصِّدِّيق ل علي بن مُحَّد الصلابي علي بن مُحَّد الصلابي بتصرف.

▪ الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ

أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي الملقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين وأول من نودي بلقب أمير المؤمنين فكان الصحابة ينادون أبو بكر الصديق بخليفة رسول الله وبعد تولي عمر الخلافة نودي عمر بخليفة خليفة رسول الله فأتفق الصحابة على تغيير الاسم إلى أمير المؤمنين، ويعد أحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق في 23 أغسطس سنة 634م، الموافق للثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة 13 هـ كان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل. هو مؤسس التقويم الهجري، وفي عهده بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، وتوسع نطاق الدولة الإسلامية حتى شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وسجستان، وهو الذي أدخل القدس تحت حكم المسلمين لأول مرة وهي ثالث أقدس المدن في الإسلام، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانية وحوالي ثلثيّ أراضي الامبراطورية البيزنطية. وتجلّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية في حملاته المنظمة المتعددة التي وجهها لإخضاع الفرس الذين فاقوا المسلمين قوة، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال أقل من سنتين، كما تجلّت قدرته وحنكته السياسية والإدارية عبر حفاظه على تماسك ووحدة دولة كان حجمها يتنامى يومًا بعد يوم ويزداد عدد سكانها وتتنوع أعراقها.

- **القائد الذي لم يهزم قط: خالد بن الوليد ﷺ**

ومن لم يسمع ببطولات خالد ﷺ، ذلك الصحابي الجليل الذي اشتهر بمقولة: "ما ليلة تزف إلي فيها عروس – أنا لها محب- أو أبشر فيها بغلام، بأحب عندي من ليلة شديدة البرد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم أعداء الله.

إنه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزمي القرشي، لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول.

تميز خالد بكفاءة قيادة مذهلة، بحس تخطيطه وإنجازاته الميدانية الفائقة، فكانت قيادته للجيوش لا نظير لها.

برز بشكل كبير في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وفي فتح العراق والشام، حيث أظهر قدرته على توظيف ما يمتلك من طاقات وقوة في الجيش ليقلب الهزيمة لنصر وقدراته على مفاجأة أعدائه وخوض الصعاب والتجارب الخطيرة برؤية بصيرة وواضحة لم يغفل فيها حتى جانب الاستفادة من أسباب الطبيعة والحيوانات كالإبل التي وظّفها في مسيرته في صحراء خطيرة قاحلة ليفاجأ الروم ويسطّر النصر العظيم.

خاض خالد نحو مائة معركة فلم يعرف هزيمة فيها رغم تفوق عدوه بالعدد والعتاد فاحتل مرتبة أحد أبرز القادة عبر التاريخ.

من المواقف الجليلة لخالد القائد: عندما قرر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عزله عن قيادة جيوش المسلمين بعد أن ذاع صيته وتغنى الشعراء ببطولاته وعبقريته، وقال عمر ﷺ عند عزله لخالد: "إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويُبتلوا به. فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة ".

لم يكن من خالد رضي الله عنه إلا حسن الامتثال والتحول من مرتبة القائد الأكبر إلى الجندي الأصغر دون جدال أو مناقشة أو امتعاض. فسبحان الله ما أعظم هذا الولاء لدين الله.

ولا عجب إذًا أن يقول فيه الخليفة الأول للمسلمين وهو أبو بكر الصديق: "والله لأُنسِينَّ الرومَ وساوس الشيطان بخالد بن الوليد"، وقال عنه أيضًا: "لقد عجزت النساء أن يَلِدن مثل خالد"، ولقد سمَّاه المسلمون: (سيف الله المسلول)؛ بعد أن قال له الرسول -صلى الله عليه وسلم- يوم دخوله الإسلام: (أنت سيف من سيوف الله، سلَّه على المشركين).

ولأنه سيف الله المسلول لم يرض له الله سبحانه وتعالى أن يكسر في حرب أو معركة، ومات رضي الله عنه في فراش الموت. وروي عن خالد بن الوليد أنه قال من على هذا الفراش: "لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر، إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ".

بطولات خالد وخصائصه القيادية يجب أن يدرسها كل مرشح للقيادة وقائد ففيها من العبر والمواعظ الكثير من ناحية البراعة العسكرية المبهرة والتكتيكات والإستراتيجيات ومن ناحية الخلق الرفيع لقائد أخضع جيوش الكفر والردة.

وتدرس حاليا خطط خالد بن الوليد العسكرية في الأكاديميات الغربية باعتباره أول رائد إستراتيجية الهجوم غير المباشر، وصاحب التكتيكات والخطط المبهرة في الحروب، كما برهن ذلك في اليرموك، وفي معاركه التاريخية المتوجة بنصره باستمرار، فكان القائد الذي لم يهزم قط.

من مقولات خالد ﵁: (عقول الرجال على أسنة أقلامهم وليس على أسنة رماحهم).

- **الصحابي الجليل القائد عمرو بن العاص ﵁**

هو عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني، أبو عبد الله، لقب بأدهى دهاة العرب بسبب قدراته التخطيطة وحنكته وتفكيره، وقد نقل عنه مواقف لدهائه تشبه الأساطير، ولا عجب فقد لقبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأرطبون العرب.

لعب عمرو بن العاص دورًا محوريًا في الفتوحات الإسلامية، وقهر الروم في معركة شرسة تكللت بفتح مصر الكنانة.

وقد عُين عمرو لقيادة جيش المسلمين في فلسطين والأردن بعد وفاة يزيد بن أبي سفيان بداء الطاعون، فاستأذن أمير المؤمنين عمر بالتوجه لمصر بجيشه لفتحها لتكون قوة وعون للمسلمين وتُأمن حدود الشام من هجمات الروم، ووافقه عمر الرأي فتوجه بجيشه وخاض معركة شرسة مع الروم انتهت بهزيمتهم وفتح أبواب مصر الكنانة وبقي واليًا عليها حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان.

ويقال أنه قبيل وفاته أمر بأن يُكال ماله فكالوه ووجدوه إثنين وخمسين مدًا فقال ﵁:" من يأخذ بما فيه يا ليته كان بعرا ".

وكـان آخـر مـا قالـه قبـل أن تفـيض روحـه إلى بارئهـا: "اللهـم أمـرت فعصـينا، ونهيـت فركبنـا فـلا بـريء فأعتـذر، ولا قـوي فأنتصـر، ولكـن لا إلـه إلا الله ". وكررها ثلاثا ثم فاضت روحه.

■ من القادة العرب الفاتحين في عصر صدر الإسلام: عقبة بن نافع ﵁

مـن الأسـباب الـتي أدت إلى انتشـار الإسـلام في أرجـاء الأرض هـو وجـود رجـال أصـحاب قلـوبٍ ونفـوسٍ مؤمنـة وهمـةٍ صـادقة، وحسـبنا حُجَـةَ الصـحابي القائـد عقبـة بـن نافـع القائـل (يا ربّ لـولا هـذا البحـر لمضـيتُ في الـبلاد مجاهـدًا في سـبيلك، اللهـمّ اشـهد أني قـد بلغـت المجهـود، ولـولا هـذا البحـر لمضـيت في البلاد أقاتل مَنْ كفر بك حتى لا يُعبدَ أحدٌ دونك)

هـو عقبـة بـن نافـع بـن عبـد القـيس الفهـري وأمّـه سـلمى بنـت حرملـة، ولـد بعـام واحــد قبــل الهجــرة لــذلك فهــو يعتــبر صــحابي بالمولــد، وهــو يمــت بصــلة للصّحابي عمرو بن العاص ﵁ من ناحية الأم وقيل أنّهما ابني خالة.

شـارك في حركـة الفتوحـات المتسـعة في عهـد أمـير المـؤمنين عمـر بـن الخطـاب ﵁ وخصوصـًا في أفريقيـا حيـث أسـند أمـير المـؤمنين عمـر إلى الصّـحابي عمـرو بـن العـاص مهمـة فـتح مصـر الـتي كانـت الدولـة الرومانيـة تعتـبر أن سـقوطها مسـألة حيـاة أو مـوت بالنسـبة لهـا، وبعبـارة هرقـل ‘‘إذا سـقطت الإسـكندرية ضـاع ملـك الـروم’’. وذلـك لأن الـروم لم تكـن لهـم حصـون ولا كنـائس مثـل حصون الإسكندرية وكنائسها.

فسـيرت الجيـوش لنشـر الإسـلام وفـتح تلـك الـبلاد فكـان مـن ضـمن الجـيش القائـد عقبـة بـن نافـع فأسـند عمـرو بـن العـاص إلى عقبـة بـن نافـع فـتح بـلاد

النوبة (وهي المنطقة التي تشمل شمال السودان وجنوب مصر على طول نهر النيل)، وشَرَعَ عمرو بن العاص إلى تأمين الحدود الجنوبية والغربية لمصر للحيلولة دون أي محاولة من الروم لاستعادتها ولذلك تطلع عمرو بن العاص نحو الغرب ولا سيما برقة فعيَّن عمرو بن العاص عقبة بن نافع واليًا على برقة بعد فتحها فكانت مهارة عقبة الحربية هي الأساس الذي بني عليه عمرو بن العاص ثقته في عقبة بن نافع.

وظل عقبة بن نافع قائدًا لبرقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان والخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذ ظهرت عليه البراعة العسكرية والذكاء الحربي.

بعدما توسعت رقعة الدولة الأموية في عهد مُعاوية من جهة الغرب فكانت مكشوفة وكان لابد من بناء مدينة محصّنة تكون قاعدة ينطلق منها جيش المسلمين وتكون حصن لأموال وأهالي المقاتلين في الغرب وكانت هي القيروان فأنشئت عام 50 هـ على يد عقبة بن نافع وهكذا سارت الفتوحات لأفريقيا في العهد الأموي وهي بقيادة عقبة بن نافع، ويطلق الفقهاء على هذه المدينة "رابعة الثلاث" بعد مكة والمدينة المنورة والقدس، كما بنى بها جامعًا لا يزال حتى الآن يُعرف باسم جامع عقبة بن نافع.

بعد وفاة معاوية وفي خلافة ابنه يزيد استمر عقبة بن نافع في مسيرة الفتح الإسلامي فسار بجيشه حتى وصل إلى مدينة باغاية ثم تلمسان (وهي مدينة تقع شمال غرب الجزائر), فخرج الروم لملاقاة عقبة بجيش عظيم فقاتل المسلمون قتالًا عظيمًا واستمرت الفتوحات حتى وصل عقبة بن نافع بجيشه إلى بلاد الزاب (قال ابن خلدون: وهذا الزاب وطنٌ كبيرٌ يشتمل على قرىً متعددةٍ متجاورةٍ جمعًا يعرف كلّ واحد) فقاتل المسلمون قتالًا كبيرًا، فواصل

عقبة الزّحف إلى تاهرت (وهي مدينة بأقصى المغرب) فاستغاث من كان فيها من الروم بالبربر فأجابهم فلما رأى عقبة ذلك خطب بالناس يحمسهم ويرغبهم في الشهادة فقال:

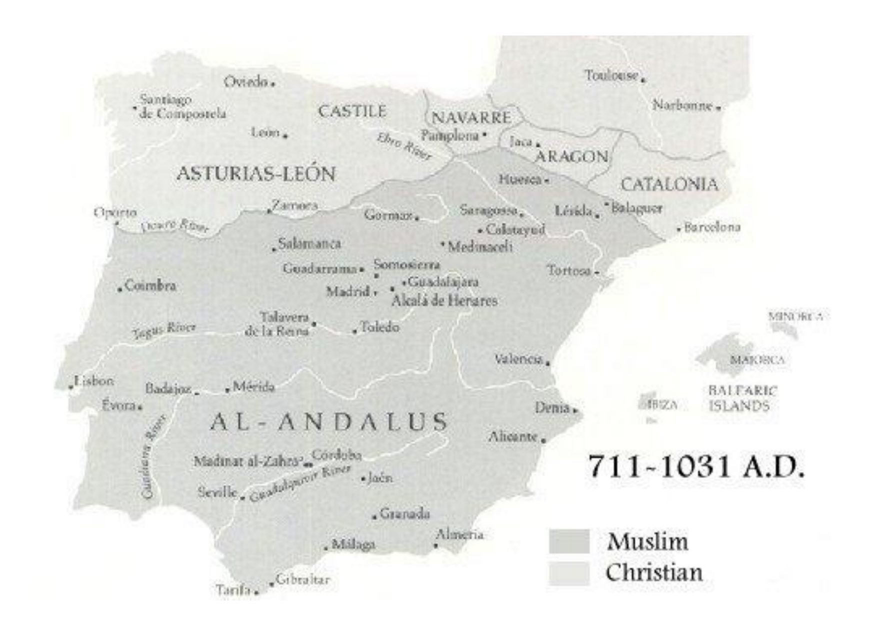
(أيها الناس إن أشرفكم وخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله -ﷺ- بيعة الرضوان على قتال مَنْ كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرفكم والسابقون منكم إلى البيعة، باعوا أنفسهم لربِّ العالمين راغبين بجنَّته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة، وإنما بايعتم ربَّ العالمين، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلَّا طلبًا لرضاه، وإعزازًا لدينه، فأبشروا فكُلَّما كثر العدوُّ كان أخزى لهم وأذلّ إن شاء الله تعالى، وربُّكم لا يُسلِّمكم فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله -عز وجل- قد جعل بأسه على القوم المجرمين).

فكانت لتلك الكلمات الأثر الكبير في قلوب الجنود فاستطاعوا أن يهزموا عدوهم، وكما قيل بأن قلب المؤمن لا يشيخ أبدًا إذ أن عقبة بن نافع كان في ذلك الوقت قد جاوز الستين سنة، فاتجه عقبة بعد ذلك بجيشه إلى طنجة فخرج ملكها يليان فخضع لعقبة ونزل على حكمه ودفع الجزية، ومما عرف عن عقبة بأنه لا يعرف السكون والراحة إذ أراد أن يفتح الأندلس ولكن يليان نصحه أن يتجه إلى بلاد السوس (وهو بلد في المغرب) حيث كان أهلها يدينون بدين المجوسية فاتجه عقبة إلى تلك البلاد وبعد قتال عظيم نصره الله عليهم ففتحت.

وبعد مسيرة الفتوحات التي حققها عقبة انصرف إلى القيروان ثم أذن لجيشه أن يعودوا إلى القيروان من شمال جبال أوراس وأبقى معه 300 مقاتل فقط، فلما رآه الروم في قلة أغلقوا باب الحصن وشتموه وهو يدعوهم إلى

الإسلام إذ بعثوا إلى كسيلة بن لمزم الذي كان في عسكر عقبة مضمرًا الحقد والغدر حيث اتفق مع الروم على الغدر بعقبة وأرسل إلى إخوانه من البربر فحشد جمعًا كبيرًا وقد أطلق على تلك المعركة اسم معركة ممس، فقاتل عقبة ومن معه ضد البربر حتى نال الشهادة هو ومن معه سنة 63 هجرية في أرض الزاب تهودة.[88]

- **عبد الرحمن الداخل**



ربما تكون قصة وصول الداخل إلى الحكم في الأندلس أقرب للقصص الخيالية، فهو حفيد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ومع تأسيس

---

88 من مقالة من القادة العرب الفاتحين في عصر صدر الإسلام: عقبة بن نافع لياسين البدري بتصرف.

الخلافة العباسية بدأ رجالها في تعقب نسل بني أمية للقضاء عليهم تماما. شهدت رحلة هروب عبد الرحمن مقتل اثنين من إخوته، فاتجه من الشام إلى مصر ومن ثم إلى المغرب.

كان لدخول عبد الرحمن إلى شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، حيث عرف بعده بالداخل، أكبر الأثر على الواقع السياسي للأندلس والأراضي الإسلامية بشكل عام؛ فمنذ بداية الفتح الإسلامي لها عام 92 هجرية، وحتى وصول الداخل إليها عام 138 هجرية، لم يتمكن العرب في الأندلس من تخطي نزاعات الأمراء إلى مرحلة تكوين دولة أو إمارة جامعة في الأراضي الإيبيرية تتصف بثبات واتزان سياسي وثقافي يأخذ طبيعة المنطقة في الاعتبار.

تمكن الداخل من السيطرة على قرطبة في عام وصوله، واستخدامها قاعدة للسيطرة على مساحات حكم الأمراء العرب في سرقسطة وبرشلونة، رغم اعتمادهم على العون العسكري من شرلمان إمبراطور الفرنك. وتجدر الإشارة هنا إلى الأهمية الاستراتيجية لدحر الداخل قوات شرلمان في معركتي سرقسطة وباب الشرزي، حيث رسم هذا الانتصار حدود السيادة الأموية التي بناها الداخل وسمح له بالوصول إلى مرحلة تعضيد التواجد الإسلامي في الأندلس على الصعيدين الاجتماعي والثقافي في ظل دولة تربع على عرشها لأكثر من ثلاثين عاما حتى وفاته في 172 هجرية[89].

[89] من مقالة القادة العشر الأبرز في التاريخ الإستراتيجي الإسلامي – من غير الصحابة – لمنتدى الشروق بتصرف.

▪ ألب أرسلان السلجوقي

اتسع نطاق سيطرة السلطنة السلاجوقية، تركمانية الأصل، بصورة سريعة من وسط آسيا إلى عاصمة الخلافة العباسية في بغداد، واستمرت قوتها في النمو حتى صارت السلالة السلجوقية هي الحاكم الفعلي لكافة الأراضي الإسلامية شرق مصر. قضى السلاجقة على البويهيين، وحافظوا على الخلافة العباسية لرمزيتها الدينية، خاصة أنها وفرت لهم مظلة شرعية في ظل التوسع الفاطمي إلى غربهم تحت راية العقيدة الشيعية الإسماعيلية. وظل شخص الخليفة العباسي هو ممثل العقيدة السنية التي دان بها السلاجقة.

تكمن محورية أرسلان في سياسات التغيير السكاني الجذرية التي أتاحتها فتوحاته في الأناضول، وأدت لواحدة من أبرز الأحداث السياسية والثقافية في المنطقة، وهي هيمنة العرق التركي على المنطقة المعروفة بتركيا حاليا. كانت الأناضول مع بداية حكم ألب أرسلان جزءًا من الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، ومع التوسع التدريجي في الفتح من شمال العراق ووسط آسيا إلى قلب الأناضول، استخدم ألب أرسلان تقنيات الهجوم السريع والهرب التركمانية المعروفة بين قبائل آسيا الوسطى في السيطرة على مساحات كبيرة في الأناضول[90].

[90] نفس المصدر السابق.

فتوحات السلاجقة في الأناضول



وتعدّ معركة ملاذكرد عام 1071 ميلادية أبرز معارك ألب أرسلان، التي فتح بعدها الأناضول لاستيطان القبائل التركية، التي ستظهر منها الخلافة العثمانية فيما بعد. وإذا تم أخذ سياسات التغيير السكاني السابق ذكرها في الاعتبار؛ يمكن فهم تمكن السلاجقة في غضون سنتين من الوصول إلى قونية في قلب الأناضول، ومن ثم أنقرة عام 1075، لينتهوا من السيطرة على الأناضول بالكامل بفتح نيقية عام 1077؛ أي خلال أقل من عقد.

- **نور الدين زنكي**

بعد أن خلف أبيه عام 1146 ميلادية كحاكم حلب، أو "أتابك" حَلب كما كان معروفا آنذاك، وهي سلالة حكمت تحت سلطان السلاجقة، بدأ نور الدين زنكي جهوده في مواجهة الحملات الصليبية التي حققت الكثير من النجاحات في تلك الفترة نتيجة تفكك الإمارات الإسلامية وضعف

الخلافة العباسية. وقد نجح نور الدين بالفعل في طرد الصليبيين من سوريا وفلسطين ليبزغ نجمه، ثم تبدأ رحلة بناء دولته الكبرى، سيما بعد دخوله دمشق عام 1154 ومصر بين عامي 1169 و1171.

تركزت جهود نور الدين الأساسية في بدايات عهده في توحيد مدن الشام تحت إمرته، لينجح بالفعل في السيطرة على دمشق وبعلبك والرها وحران والموصل، ثم يتجه ناحية فلسطين لمواجهة الصليبيين أثناء حملتهم الثانية على المشرق، ليخوض معارك عدة معهم، ثم يتجه إلى مصر بعد أن قرر الصليبيون دخولها كظهير جنوبي لهم في وجه مُلك نور الدين بالشمال، ليقود ثلاث حملات قبل أن ينجح بالفعل في ضمها إلى مُلكه في أواخر عهده.

عُرف عن نور الدين عدله وزُهده ودهائه العسكري، وقد شهد له بذلك مؤرخون مسلمون ومسيحيون على السواء، كما اشتهر باستخدام الغنائم التي اغتنمها في المعارك لبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وبيوت المسافرين، ليترك عند وفاته عام 1174 دولة كبرى في مصر والشام قُدر لصلاح الدين الأيوبي أن يرثها ليستكمل مسيرته في الوقوف بوجه الصليبيين وحملاتهم المستمرة القادمة من أوروبا[91].

صلاح الدين الأيوبي

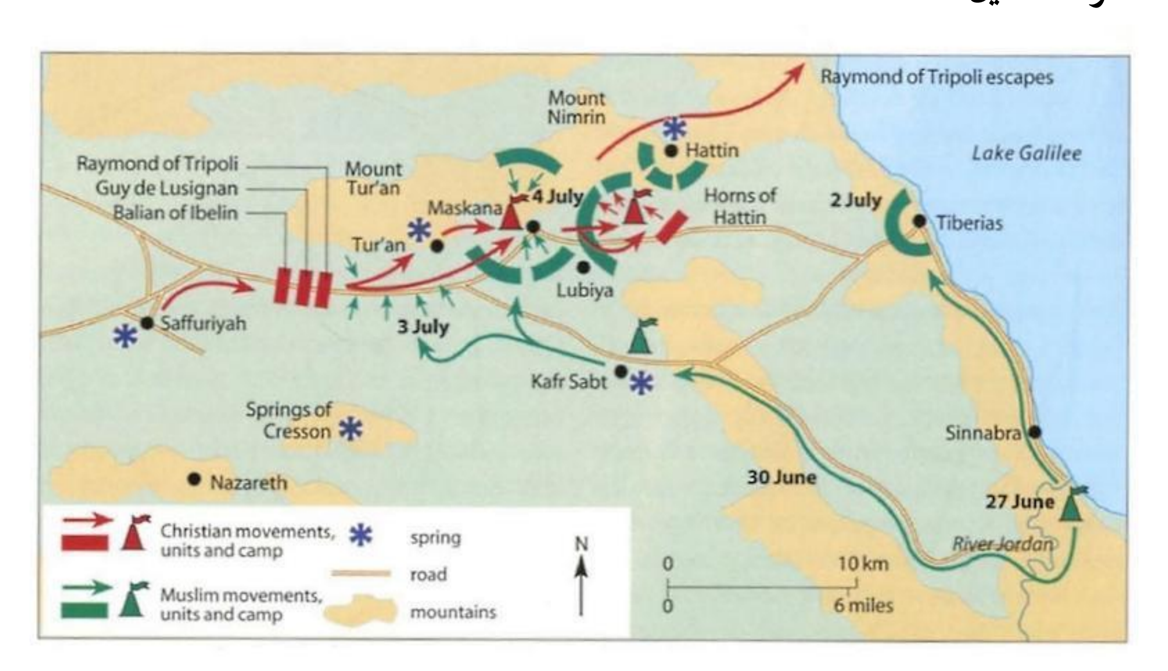
وُلد صلاح الدين لأسرة كردية معروفة، وقد نشأ في الشام بعد أن انتقل أبوه إلى حلب لخدمة عماد الدين زنكي، والد نور الدين زنكي، وتلقى تعليما دينيا وعسكريا رفيعا، ثم دخل إلى جيش عمه أسد الدين شيركوه،

[91] نفس المصدر السابق.

أحـد قـادة الأمـير نـور الـدين آنـذاك، حـتى أثبـت جدارتـه وأصـبح علـى رأس القـوات الشـامية في مصـر، ثم وزيـرا للخليفـة الفـاطمي هنـاك بعـد وفـاة شـيركوه، ليقـوم بإسـقاط الملـك الفـاطمي كلـه خـلال أعـوام، وإعـادة الإسـلام السُـني إلى موقعه السابق في مصر، والعمل تحت راية نور الدين زنكي.

بوفـاة نـور الـدين، استحوذ صـلاح الـدين علـى سـلطته، وأصـبح لـه سـلطانه الخـاص في مصـر والشـام، الـذي انطلـق منـه لمواجهـة الصـليبيين في فلسـطين، وهـي المواجهـة الـتي وصـلت ذروتهـا في معركـة حطـين عـام 1187 ميلاديـة. نجـح صـلاح الـدين في محاصـرة وهزيمـة جيـوش الصـليبيين في حطـين، واسـترد مـن ثم عكـا وبـيروت وصـيدا ونابلـس ويافـا وعسـقلان خـلال ثلاثـة أشـهر مـن المعركـة، وأخـيرا القـدس، الـتي سـلمها لـه الصـليبيون في تشـرين الأول/ أكتـوبر من العام ذاته، بعد 88 عاما من حكم الفرنك لها.

معركة حطين



لم تبق تلك المدن طويلا في أيدي المسلمين رغم ذلك، حيث ظلت تتأرجح بين حكم الأيوبيين والصليبيين، بفعل تنازع أبناء صلاح الدين على تركته في مصر والشام بعد وفاته. انتهى ملك الأيوبيين إلى التفسخ، وآلت ممتلكاتهم إلى سلطان المماليك، القوة الجديدة الصاعدة في مصر والشام[92].

يقول المستشرق البريطاني هاملتون جب: "إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد".[93] وقال عنه فيلهلم الثاني إمبراطور ألمانيا الذي زار دمشق وتوجه إلى مدفن صلاح الدين ووضع باقة زهور جنائزية على قبره عليها نقش عليها "ملك بلا خوف ولا ملامة، علّم خصومه الفروسية الحقيقية".

- **سيف الدين قطز**

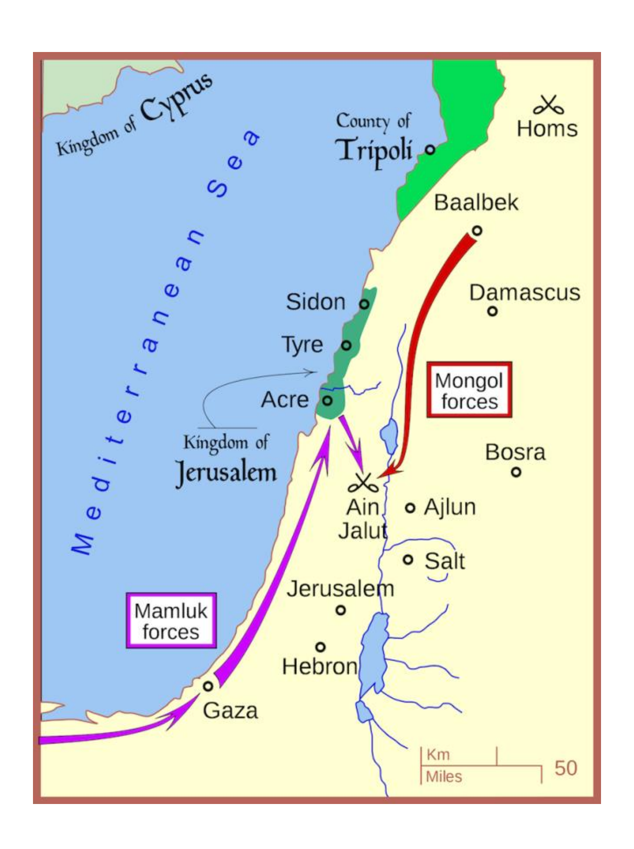
ليس من الواضح كيف كانت حياة قطز في بدايتها، الذي يُقال أنه بيع لأحد تجار الرقيق في القاهرة قبل أن يشتريه السلطان المعز عز الدين أيبك في القاهرة، حيث أثبت جدارته مع الوقت وأصبح يده اليمنى، ثم ساعد ابنه السلطان المنصور علي، قبل أن ينحيه عن العرش ويصبح هو السلطان في العام التالي على دخول المغول لبغداد. باقتراب خطر المغول في المشرق، رأى قطز أن من الضروري وجود قائد قوي في السلطنة بدلا من المنصور علي.

---

[92] نفس المصدر السابق.

[93] كتاب (قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله)

معركة عين جالوت



كما هو متوقع، حين وصل المغول إلى الشام، قاموا بإيفاد رُسُلَهم إلى قطز ونصحوه بالاستسلام للزحف المغولي الذي لم يُبق على دولة من دول الشرق. وطبقا لروايات تاريخية عدة، قام قطز بقطع رؤوس الرسل وتعليقها على باب زويلة، في إعلان صريح لموقف الدولة المملوكية من غزو المغول، لتبدأ إرهاصات معركة عين جالوت، التي تعدّ واحدة من أبرز المعارك العسكرية في تاريخ المنطقة، التي كان لها ربما الدور الرئيس في إنقاذ الحضارة الإسلامية من السيطرة المغولية الهوجاء.

لم يدم حُكم قطز طويلا بعد انتصاره في عين جالوت، حيث قُتل بحسب ما يقال، بتدبير من بيبرس، أحد قادة الجيش المملوكي، انتقاما لأحد قيادات المماليك البحرية الذين قتلهم قطز أثناء حُكم السلطان أيبك، أو

كما يقول آخرون لأنه منح حُكم حلب للملك علاء الدين أمير الموصل بدلا منه كما وعده سابقا[94]. ولا شك أن الظاهر بيبرس كان أيضا قائدًا مسلمًا لامعًا سعى في تنظيف بلاد المسلمين من المغول والصليبيين وساهم في تأمين المنطقة بسيفه وخيله وعزيمته الفذّة.

- **يوسف بن تاشفين**

في عام 1061 ميلادية، وبينما اتجه أبو بكر زعيم المرابطين في المغرب العربي لقمع إحدى الثورات القبلية في الصحراء الأفريقية، أوكل مهام قيادة جيشه إلى يوسف بن تاشفين أحد أقاربه، الذي ذاع صيته وزادت شعبيته بسهولة إلى أن قرر أبو بكر نقل مُلكه إليه بعد عودته، ليبدأ العصر الذهبي لدولة المرابطين تحت حُكمه الذي استمر خمسة وأربعين عاما.
بدأ يوسف بن تاشفين، عهده بتأسيس مدينة مراكش المعروفة الآن في المملكة المغربية، ثم توسع ليستحوذ على المغرب والجزائر بالكامل، ويبدأ حملاته في الأندلس بعد أن استغاث به المسلمون هناك جراء تزايد الهجمات المسيحية الأوروبية وسقوط طليطلة عام 1085. اتجه بن تاشفين بالفعل إلى الأندلس، وأوقع الهزيمة بالملك ألفونصو القشتالي عام 1086، ونجح في توسيع ملكه ليشمل معظم شبه الجزيرة الأيبيرية[95].

[94]نفس المصدر السابق.

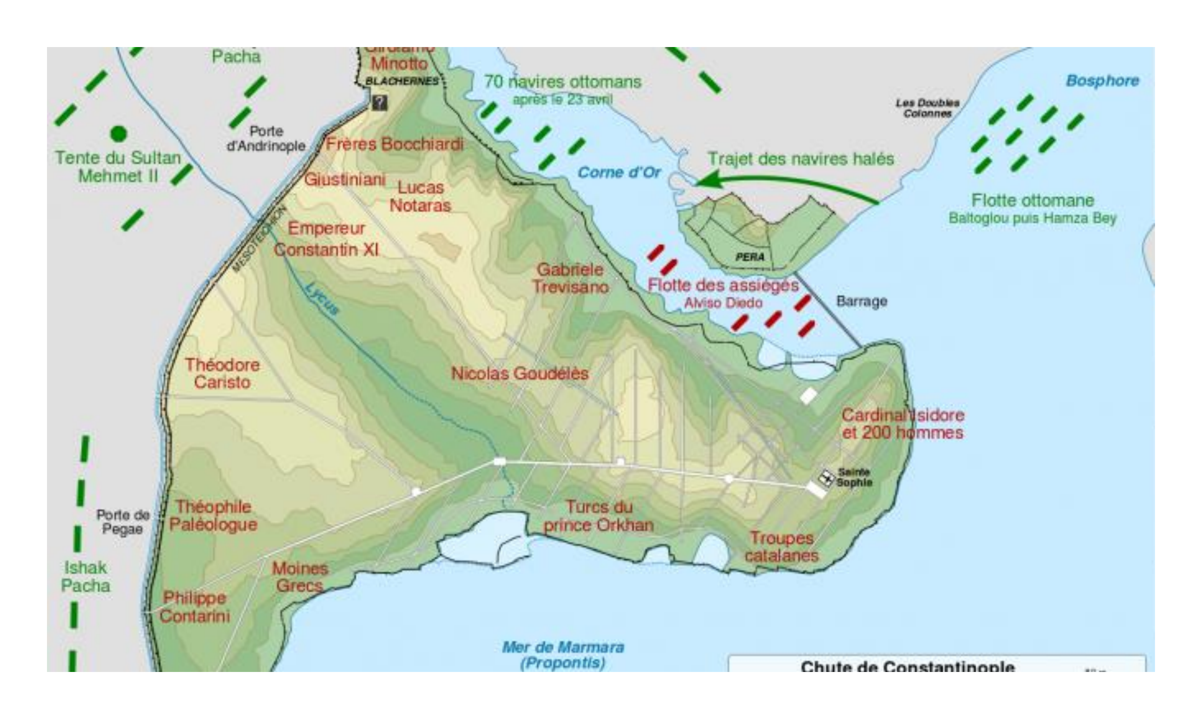
[95]نفس المصدر السابق.

▪ مُحَمَّد الفاتح

هـو القائـد العثمـاني الأشـهر، الـذي جلـس علـى عـرش الدولـة العثمانيـة عـام 1451، وقـاد فـتح القسـطنطينية عـام 1453. وقـد اسـتمر حكمـه ثلاثـين عامـا، أطلـق علـى نفسـه فيهـا لقـب قيصـر الـروم، باعتبـاره وارثا للمُلـك الرومـاني والبيزنطـي، وسـيد الأرضـين والبحـرين؛ الأناضـول والبلقـان وبحـر إيجـه والبحـر الأسـود. وقـد عُـرف عهـده بإعـادة تنظـيم الحكومـة العثمانيـة، ووضـع قوانين عامة للسلطنة..

بالإضــافة إلى معركــة فــتح القســطنطينية، تعــدّ معركــة باشــكنت في مدينــة أرزينجــان عــام 1473، الــتي خاضــها في مواجهــة قائــد التركمــان المنــافس للعثمــانيين، أوزون حســن، واحــدة مــن أبــرز معــارك مُحَمَّد الفــاتح، الــتي أتاحــت لــه توطيــد مُلــك العثمــانيين في الأناضــول بشــكل نهــائي. هــذا، عــلاوة علــى حمــلات عســكرية في البلقــان والمجــر ورومانيــا ومولــدوفا وجزيــرة رودس وشــبه جزيـرة القـرم ومدينـة أوترانتـو في جنـوب إيطاليـا، الـتي دخلهـا في أواخـر عهـده عام 1480[96].

[96] نفس المصدر السابق.



فتح إسطنبول: القوات العثمانية بالأخضر والبيزنطية بالأحمر

ولا شك أن الحديث عن بطولات مُحَّد الفاتح يأتي بعد سلسلة من التضحيات لقادة سبقوه كالغازي أرطغرل بن سليمان شاه وابنه عثمان بن أرطغرل الذي أسس نواة الدولة العثمانية ثم ابنه أورخان من بعده، وهكذا حتى ارتفع بنيان الدولة العثمانية ثم انهار حين دخلته أسباب الضعف والفساد والانهيار التي تتربص بالدول.

ويجدر الإشارة هنا لوصية عثمان لابنه أورخان والتي لخصت معالم النجاح التي بنى عليها هذا القائد المسلم قيادته حيث كتب لابنه وصيته بعد انتصارات جمة وفتوحات مبهرة بلغت أرض أوروبا، وهذا نصها بحسب المصادر التاريخية التركية: "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يا بُنيّ: إيَّاك أن تشتغل بِشيءٍ لم يأمر به الله ربُّ العالمين، وإذا واجهتك في الحُكم مُعضلة فاتخذ من مشورة عُلماء الدين موئلًا. يا بُنيّ: أَحِط من أطاعك بِالإعزاز، وأنعم على

الجُنـود، ولا يغُرنَّـك الشـيطان بجُنـدك وبِمالـك، وإيَّاك أن تبتعـد عـن أهـل الشـريعة. يا بُـنيّ: إنَّـك تعلـمُ أنَّ غايتنـا هـي إرضـاءُ الله ربِّ العـالمين، وأنَّ بِالجهـاد يعِمُّ نـور ديننا كُـلَّ الآفـاق، فتحـدُث مرضـاة الله ﷻ. يا بُنيّ: لسـنا مـن هـؤلاء الـذين يُقيمـون الحُـروب لِشـهوة حُكـمٍ أو سـيطرة أفـرادٍ، فـنحنُ بالإسـلام نحيا ولِلإسلام نموت، وهذا يا ولدي ما أنت لهُ أهل.

اعلـم يا بُـنيّ أنَّ نشـر الإسـلام وهدايـة النَّـاس إليـه وحمايـة أعـراض المسـلمين وأموالهم أمانةٌ في عُنقك سيسألك الله عز وجل عنها.

يا بُـنيّ: إنـني أنتقـلُ إلى جـوار ربي، وأنا فخـورٌ بـك بأنَّـك سـتكون عـادلًا في الرعيَّـة، مُجاهـدًا في سـبيل الله لِنشـر ديـن الإسـلام. يا بُـنيّ: أوصـيك بِعُلمـاء الأُمَّـة، أدِم رعـايتهم، وأكثِـر مـن تبجـيلهم، وانـزل علـى مشـورتهم؛ فـإنهم لا يأمُـرون إلَّا بخـير. يا بُـنيّ: إيَّاك أن تفعـل أمـرًا لا يُرضِـي الله عـز وجـل، وإذا صعُب عليك أمرٌ فاسأل عُلماء الشريعة، فإنهم سيدلُّونك على الخير. واعلـم يا بُـنيَّ أنَّ طريقنـا الوحيـد في هـذه الـدُنيا هـو طريـقُ الله، وأنَّ مقصـدنا الوحيـد هـو نشـر ديـن الله، وأننـا لسـنا طُـلَّاب جـاهٍ ولا دُنيـا. وصـيَّتي لِأبنـائي وأصـدقائي، أديمـوا عُلـوَّ الـدين الإسـلامي الجليـل بِإدامـة الجهـاد في سـبيل الله. أمسِـكوا رايـة الإسـلام الشـريفة في الأعلـى بِأكمـل جهـاد. اخـدموا الإسـلام دائمًـا؛ لِأنَّ الله عـز وجـل قـد وظَّـف عبـدًا ضـعيفًا مثلـي لِفـتح البُلـدان. اذهبـوا بِكلمـة التوحيـد إلى أقصـى البُلـدان بِجهـادكم في سـبيل الله، ومـن انحـرف مـن سُـلالتي عـن الحـق والعـدل حُـرم مـن شـفاعة الرسـول الأعظـم يـوم الحشـر. يا بُـنيّ: لـيس في الـدُنيا أحـدٌ لا يُخضِـع رقبتـه للمـوت، وقـد اقـترب أجلـي بِأمـر الله ﷻ، أُسـلمُك هـذه الدولـة وأسـتودعك المـولى عـز وجـل. اعـدل في جميـع شؤونك...".

فمـا أن تـرك القـادة اللاحقـون الجهـاد والفتوحـات وانشـغلوا بالشـهوات والملـذات وتسـللت الخيانـة واستشـرى الفسـاد إلا أذلهـم الله وسـلط علـيهم أعداءهم فانهارت دولتهم وانهارت معها آخر دولة إسلامية للأمة المسلمة.

- **السلطان سليم الأول**

ثماني سنوات فقط هي الفترة التي حكم فيها سليم الأول السلطنة العثمانية، لكنها شهدت ذروة فتوحاتها وحصولها على لقب الخلافة، حيث نجح السلطان المعروف بشدته في دخول مصر وسوريا والحجاز، ليؤول حكم معظم أراضي المسلمين إلى العثمانيين في أقل من عقد.
خلال سنوات حكم السلطان سليم الأول، بزغ نجم إسماعيل الأول الصفوي في إيران، وهو ما دفع بسليم للالتفات نحو الشرق لتأمين حدود الدولة العثمانية، لا سيما أن قبائل القزلباش الموالية لإسماعيل كانت تثير الاضطرابات في الأناضول. خاض سليم أولى معاركه الشرقية ضد الصفويين في غالديران شرقي نهر الفرات عام 1514، ثم ضم الولايات التركمانية والكردية للمُلك العثماني.
فيما بعد، وبينما بدأت حدود العثمانيين تتجاوز كردستان وتقارب على الشام، نشب النزاع بينهم وبين المماليك حكام مصر والشام حتى ذلك الوقت، لينجح سليم في هزيمتهم في معركتي مرج دابق والريدانية عامي 1516 و1517، لتنتقل كل أراضيهم رسميا للدولة العثمانية، وإن بقيت سلطتهم على الأرض كولاة. وطبقا للرواية العثمانية، تخلى آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة عن منصب الخلافة لسليم الأول، ليصبح بذلك أول

الخلفـاء العثمـانيين؛ وهـو مـا دفـع شـريف مكـة إلى تسـليم مفـاتيح المدينـة للسلطان سليم أثناء وجوده ففي القاهرة[97].

▪ القائد البحري خير الدين باربروسا

بـرز في عهـد سـليمان القـانوني القائـد البحـري المعـروف خـير الـدين باربروسـا، قبـودان الأسـطول العثمـاني، وكُتـب لـه أن يكـون واحـدًا مـن أبـرز القيـادات البحريـة في التـاريخ الإسـلامي بجهـوده في البحـر المتوسـط وعلـى سـواحل اليـونان والبندقيـة وإسـبانيا، الـتي رسـخت مـن هيمنـة العثمـانيين علـى البحـر المتوسط.

تصـدى خـير الـدين للحملـة العسـكرية علـى الجزائـر الـتي قادهـا ملـك صـقلية في سـنة 1519م، وتمكـن مـن الإسـتيلاء علـى مدينـة القـل وبونـة -عنابـة- وقسـنطينة، لكنـه اضـطر إلى مغـادرة الجزائرسـنة 1542م بعـد الثـورة الـتي قادهـا "ابـن القاضـي" بتحـريض مـن سـلطان تـونس "الحفصـي" المـوالي للإسـبان، فلجـأ إلى مدينـة جيجـل، وتمكـن مـن إسـتعادة الجزائـر مـرة أخـرى بعـد ثـلاث سـنوات، عينـه السـلطان "سـليمان القـانوني" عـام 1534م قبطـان داريا، وبيلـرباي علـى الجزائـر، فقـام بإصـلاح دار بنـاء السـفن في إسـطنبول وأعـد أسـطولاً كبـيراً، وأغـار بثمـانين قطعـة منـه علـى روجيـو وسـبيرلونكا وفـودي وغيرهـا مـن المـدن الممتـدة علـى شـواطئ السـاحل الإيطـالي الجنـوبي، ثم اسـتولى علـى تـونس بعـد فـرار سـلطانها مـولاي الحسـن، إلا أن الإمبراطـور الإسـباني شرلكمان تمكن من إحتلالها وإعادة السلطان مولاي حسن إلى العرش.

---

[97] نفس المصدر السابق.

في عام 1538م استولى أمير البحار على 20 جزيرة من الجزر الواقعة على بحر إيجة بأمر من السلطان سليمان القانوني وإلحاقها بالدولة العثمانية، أثارت الغارات التي يشنها أمير البحار الرعب في نفوس الممالك الأوروبيين، فعقد "شارلكان" هدنة مع فرنسا، وتنادت الممالك لعقد تحالف صليبي كبير اشتركت فيه كل من إسبانيا والبابا والبندقية والبرتغال، وأعدوا حملة مكونة من 600 سفينة حربية وسفينة دعم، وتسلمت قيادتها أندوريا دوريا، فاستعد الأمير خير الدين لمواجهة التحالف، وأعد أسطول مكون من 122 سفينة، ثم اشتبك مع قوات التحالف في معركة كبيرة في خليج بروزة، انتهت بهزيمة ثقيلة للتحالف الصليبي، واستيلاء خير الدين على 36 سفينة، و 2175 أسير، فكان من أهم نتائج هذه المعركة سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط.

في عام 1541م، قاد الإمبراطور شرلكان بنفسه حملة كبرى على الجزائر لكنها منيت بالهزيمة كعادتها أمام أمير البحار، فقد فيها الإسبان معظم قطع أسطولهم، وعندما شن شارلكان هجمات على فرنسا طلب الملك الفرنسي "فرانسوا الأول" من الدولة العثمانية التدخل إلى جانبها في حربها ضد أسبانيا، فأرسل السلطان العثماني القائد خير الدين عام 1543م لمواجهة الهجوم الإسباني مقابل تنازل الفرنسيين للعثمانيين عن مارسيليا لمدة 5 أعوام، وقاد أسطولاً مكوناً من 110 سفينة، استولى به على مدينة نيس في أغسطس من السنة نفسها، ومني شارلكان بالهزيمة مرة أخرى، وبعد أن عقد شارلكمان مع فرنسا معاهدة تصالح عاد خير الدين إلى بلاده.

بقي خير الدين مجاهداً حتى آخر لحظة في حياته، حتى وافته المنية في قصره المطل على مضيق البوسفور عام 956 هـ، 1546 م عن عمر يناهز

65 عاما، وخلفه ابنه ''حسن آغا'' في حكم الجزائر، وما زال قبره ماثلاً للعيان في إسطنبول. وهذه بعض من سيرة ''ذو اللحية الحمراء'' رحمه الله تعالى.[98]

▪ طارق بن زياد

طارق بن زياد (679م – 720م) قائد عسكري مسلم وُلد في المغرب الأوسط وقاد الغزو الإسلامي لشبة الجزيرة الأيبيرية خلال الفترة الممتدة بين عاميّ 711 و718م بأمر من موسى بن نصير والي أفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. يُنسب إلى طارق بن زياد إنهاء حكم القوط الغربيين لاسبانيا. وإليه أيضًا يُنسب "جبل طارق" وهو الموضع الذي وطأه جيشه في بداية غزوه للأندلس يُعتبرُ طارق بن زياد أحد أشهر القادة العسكريين في التاريخين الأيبيري والإسلامي على حدٍ سواء، وتُعدّ سيرته العسكريَّة من أنجح السير التاريخيَّةاختلف المؤرخون حول أصول طارق بن زياد، فمنهم من قال أنَّه عربي كابن خلكان، ومنهم من قال أنَّه بربري أمازيغي كابن عذاري، وآخرون قالوا أنَّه فارسي، لكن يغلب الظن أنه أمازيغي،وهو الشائع بين الناس كذلك اختلف المؤرخون حول نهاية هذا الرجل وكيف كانت، ومن المعروف أنَّه عاد إلى دمشق بصحبة موسى بن نصير بعد أن استدعاهما الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقيل أنَّ سبب ذلك هو خلافٌ وقع بينهما واحتدّ، وفي جميع الأحوال فقد عُزل كلٌ منهما عن

---

[98] من مقالة أسد البحار بارباروسا (موقع تبيان) بتصرف.

منصبه، وأمضى طارق بن زياد أواخر أيَّامه في دمشق إلى أن وافته المنيَّة سنة 720م

ترك طارق بن زياد إرثًا كبيرًا بعد وفاته تمثَّل ببقاء شبه الجزيرة الأيبيريَّة تحت حكم المسلمين زهاء 8 قرون، وفي وقتٍ لاحق خلال القرن العشرين أُطلق اسمه على عدد من المواقع في البلدان الإسلاميَّة وبالأخص في المغرب العربي وهو له الفضل العظيم بإنشاء الأندلس[99].

ويصعب ذكر جميع النماذج والأمثلة لقادة الإسلام النجباء الذين اشتهروا عبر التاريخ والذين سطروا ملاحما وغيّروا مجرى التاريخ ورسموا خريطة جيواستراتيجية للعالم الإسلامي، لكنني رأيت أن أدرج أيضا بعض سير القادة الكفار، لننظر كيف تصنع القيادة مع شخصية الإنسان الذي يحمل مسؤوليتها بجدية وإتقان وإن كانوا مجرمين وسفاحين.

– قادة من غير المسلمين

- **جوزيف ستالين**

جوزيف فيساريونوفيتش ستالين (18 ديسمبر 1878 - 5 مارس 1953) هو القائد الثاني للاتحاد السوفييتي ورئيس الوزراء (1941-1953)، ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي، عرف بقسوته وقوته

[99] الويكيبيديا

وأنه قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.

- **إرفين رومل**

إرڤين رومل (15 نوفمبر 1891- 14 أكتوبر 1944) كان قائدًا ألمانيًا أثناء الحرب العالمية الثانية في العلمين في الصحراء الغربية حارب الجنرال الإنجليزي برنارد مونتجومري قائد الجيش الثامن البريطاني في أكتوبر 1942 ليس لعدم كفاءته أو لكفاءة خصمه بل لعدم توفر دعم جوي لديه وكذلك نقص حاد في المحروقات بينما كان خصمه يتمتع بتفوق جوي مطلق ونسبة قواته تعادل 1:3 وقد اختلقت الدعاية البريطانية أسطورة مونتغمري لتعزيز معنويات جنودها المهزوزة ويبقى هو القائد الأقوى أما رومل فكان قائدًا يتمتع بحس تكتيكي وإستراتيجي رائع قلما نجده بين القادة. شارك في حملة فرنسا 1940 وقاد الفرقة المدرعة السابعة هناك وقاد ألمانيا في النورماندي لكن نهايته كانت سيئة، حيث انتحر في 14 أكتوبر عام 1944 م.

- **جورج إس باتون**

جورج سميث پاتون (عاش 11 نوفمبر 1885 – 21 ديسمبر 1945) كان من ألمع الجنرالات الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية، وكانت طريقته

المثيرة، وتعليقاته الصريحة عن الشؤون العسكرية والسياسية وسلوكه المتهور قد أكسبته مدح الغربيين له ونقدهم معًا اشتهر في معارك شمال أفريقيا وكانت دبابته الأمريكية من نوع أم 4 شيرمان كابوس مرعب لدبابات عدوه إرفين رومل في معركة العلمين لم يتوقف نصره على شمال أفريقيا بل برز كنجم ساطع بعد معركة البولج (الثغرة) في غابات الأردين البلجيكية حيث تم بفضله تحرير بلجيكا من الجيش النازي.

- **برنارد مونتغومري**

برنارد مونتغمري (17 نوفمبر 1887 - 24 مارس 1976) كان مشيرًا في الجيش البريطاني استطاع قيادة قوات الحلفاء إلى الانتصار في معركة علم حلفا وفي معركة العلمين الثانية عام 1942 وتحقيق النصر على قوات المحور بقيادة ثعلب الصحراء إرفن روميل خلال معارك الحرب العالمية الثانية وعموما يرجع له الفضل في هزيمة قوات المحور في شمال إفريقيا كله وبعد ذلك انتقل لقيادة الجبهة في إيطاليا وشمال غرب أوروبا وكان من قادة الحلفاء في معركة النورماندي التي نزل فيها الحلفاء إلى أوروبا لمواجهة القوات النازية والتقدم نحو برلين.

- **تيمور لنك**

تيمور والمعروف بتيمورلنك (1336 - فبراير 1405 م) قائد أوزبكي من القرن الرابع عشر ومؤسس السلالة التيمورية (1370 - 1405 م) في

وسط آسيا وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة والتي استمرت حتى عام 1506 م. وتعني كلمة "لنك الأعرج" نتيجة لإصابته بجرح خلال إحدى معاركه. أما كلمة تيمور فتعني بالأوزبكية "الحديد". كان تيمورلنك قائدًا عسكريًا فذًا قام بحملات توسعية شرسة أدّت إلى مقتل العديد من الأبرياء وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها وهو من سلالة مغولية تنتسب من جنكيزخان، ويعتبر تيمولنك أبرز قائد عسكري في آسيا الوسطى، ولد في مدينة كيش التي أصبحت تعرف باسم شخريسابر في أوزبكستان الحالية، ركز تيمورنك في إخضاع القبائل المجاورة لسيطرته، ثم اتجه نحو بلاد فارس وسيطر على إيران وميسوبوتاميا وبلاد الرافدين وأرمينيا وجورجيا، وغزا تيمورلنك الهند دون مبرر واضح سوى حبه للقتال، وقبل وفاته كان يخطط لشن غزو للصين، ومازال قبره حتى اليوم يعد من الآثار المعمارية في مدينة سمرقند.

- **جورج واشنطن**

جورج واشنطن (22 فبراير 1732 - 14 ديسمبر 1799)، أول رئيس للولايات المتحدة. قاد التمرد الذي انتهى بإعلان انفصال الولايات المتحدة عن بريطانيا في 4 يوليو 1776، تكتيكاته القوية وإصراره الثابت على إنشاء بلد مستقل جعلته أحد أبرز القادة خصوصًا أنه اعتمد فحسب على مواطنين مهاجرين عاديين غير مدربين ومجهزين لكن بفكره العسكري استطاع هزيمة الجيش البريطاني المجهز بأعلى التدريبات والأسلحة وانسحبت

بريطانيا عن أمريكا ليجعل واشنطن أمريكا بلدًا مستقلًا أسماه الولايات المتحده الأمريكية رائدة الطغيان في العالم، أهلكها الله.

- **نابليون بونابرت**

نابليون بونابرت الأول (15 أغسطس 1769 - 5 مايو 1821) هو قائد عسكري وحاكم فرنسا وملك إيطاليا وإمبراطور الفرنسيين، عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر. حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلًا عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثيرًا كبيرًا على السياسة الأوروبية. ولد في منطقة إجاكسيو عاصمة كوستارسيكا الفرنسية، تخرج ضابطًا من الكلية الحربية – قسم المدفعية، وحارب الإنكليز وطردهم من طولون عام 1793، وتوجه إلى قيادة حملته إلى مصر عام 1798 واستطاع السيطرة على مصر وتقدم لاحتلال فلسطين وسوريا، يعتبر أحد أكثر القادة قوة ودكاء فكاد أن يحتل كامل أوربا حتى أنه وصل إلى موسكو لكن بسبب للحرب الطويلة ضد أوروبا تم استنزاف كامل موارد فرنسا ونتيجة لذلك في عام 1815 هزمت بريطانيا أسطول نابليون بونابرت المنهك بعد معركة أبي قير وكذلك ساهمت المقاومة في عكا في إضعافه ليتوجه إلى فرنسا وتقوم جيوش أوروبا بدحر آخر ما تبقى من جيشه وتم نفي نابليون إلى جزيرة سانت هيلانة حتى توفي فيها عام 1821.

- **أدولف هتلر**

أدولف ألويس هتلر (20 أبريل 1889 - 30 أبريل 1945) سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف للعامة باسم الحزب النازي (مؤسس النازية). تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933 و1945 حيث شغل منصب مستشار الدولة في الفترة ما بين عامي 1933 و1945، واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين وباعتباره واحدًا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديرًا لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، انضم هتلر إلى الحزب النازي في عام 1920 وأصبح زعيمًا له في عام 1921. وبعد سجنه إثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها في عام 1923، استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار تأييد القومية ومعاداة الشيوعية والكاريزما (أو الجاذبية) التي يتمتع بها في إلقاء الخطب وفي الدعاية في عام 1933، تم تعيينه مستشارًا للبلاد حيث عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية وفاشية. وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي ويُقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الاقتصادي) وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف. وقد قامت قوة الدفاع التي أعاد بنائها بغزو بولندا في عام 1939 مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات، احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا عدا بريطانيا، وأجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي، و ثلث مساحة الاتحاد السوفياتي (من

الغـرب حـتى مدينـة سـتالينغراد). ومـع ذلـك، نجحـت دول الحلفـاء في أن يكـون لهـا الغلبـة في النهايـة وفي عـام 1945، نجحـت جيـوش الحلفـاء في اجتياح ألمانيا مـن جميع جوانبها وحـتى سقوط بـرلين. وأثنـاء الأيام الأخـيرة مـن الحـرب في عـام 1945، تـزوج هتلـر مـن عشـيقته إيفـا بـراون بعـد قصـة حـب طويلة. وبعد أقل من يومين، انتحر العشيقان.

- **يوليوس قيصر**

گيـوس يوليـوس قيصـر (100 ق.م - 44 ق.م) كـان قائـد سياسـي وعسـكري بارع ويعتـبر يوليـوس قيصـر واحـد مـن أكثـر الرجـال نفـوذًا في تاريـخ العـالم. وقـام بـدور هـام في تحـول الجمهوريـة الرومانيـة إلى الإمبراطوريـة الرومانيـة وكـان إمبراطـورًا لهـا وخلفـه العديـد مـن الأباطـرة والحكـام الـذين تبنـوا اسمـه وولـد يوليـوس قيصـر في عائلـة عريقـة مـن الأشـراف الرومـان، عـايش في مرحلـة مراهقتـه عهـد الحرمـان (الحرمـان مـن حمايـة القـانون) الـذي فرضـه مـاريوس صـهر أبيـه. كمـا عـايش عهـد ديكتاتوريـة سـولا وأوائـل عهـد بـومبي (قائـد رومـاني) ويعتـبر يوليـوس قيصـر مـن أبـرز الشخصـيات العسـكرية الفـذة في التاريخ وسبب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى إمبراطورية.

كـان هنـاك العديـد مـن الحكـام الـذين تبنـوا اسمـه وأبـرزهم ابنـه (بالتبـني) أغسـطس قيصـر وبطليمـوس الخـامس عشـر (قيصـرون) وابنـه مـن كليـوبترا السابعة وصولا لقياصرة روسيا،

كـان يوليـوس قيصـر منـذ صـغره محبـا للعلـم حيـث درس في اليـونان العديـد مـن العلـوم، إذ كانـت اليـونان مركـز العلـوم في ذلـك الحـين وكـان أبنـاء أثـرياء رومـا

يرسلون إإليها للتعلم ثم التدرج في العمل السياسي أو ما شابه. انضم قيصر إلى المعترك السياسي منذ بداياته حيث كانت عائلة قيصر معادية بصورة تقليدية لحكم الأقلية المتمثل بمجموعة من الأعضاء الأثرياء في مجلس الشيوخ. وجاء قيصر ليتبع هذا التقليد. أودعه سولا بالسجن لفترة قصيرة لكنه تمكن من المحافظة على علاقات طيبة مع الأثرياء لعشر سنوات بعد إطلاق سراحه. حتى أنه تم اختياره زميلاً جديداً في كلية القساوسة عام 73 ق.م. ثم انضم إلى صفوف الجيش الروماني كضابط ومحاسب تابع للحكومة الرومانية إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كـأكثر جيوش روما انضباطًا على الإطلاق. وقف قيصر إلى جانب بومبي مؤيدًا له بصورة صريحة عام 71 ق.م. وشكل قيصر وبومبي وكراسوس أول حكومة ثلاثية.

خلال السنوات التسع التي تلت انشغل قيصر بقيادة حملاته في بقاع مختلفة من العالم شملت توسعة نفوذ روما إلى كل من بلاد الغال (فرنسا) وسوريا ومصر وغيرها، حيث كانت معظم حملاته ناجحة إلى حد مثير حيث عين حاكما لإسبانيا البعيدة ليتم انتخابه قنصلاً. ونصب بعد ذلك حاكماً على بلاد الغال، وكانت تلك مهمة شغلته لتسعة سنوات كان خلالها تاركًا لبومبي وكراسوس أمر حماية مصالحه في روما. إلا أنه كانت هناك خلافات كثيرة بينهم عند هذا الوقت جعلتهم يعقدون لقاءً فيما بينهم في لوكا عام 56 ق.م. في محاولة لحل تلك الخلافات. عين بومبي قنصلاً وحيدًا عام 52 ق.م. بعد موت كراسوس الأمر الذي نتج عنه حربا أهلية وهزيمة لجيش بومبي في إسبانيا عام 45 ق.م ثم عاد قيصر بعد ذلك إلى روما ليكون حاكمها الدكتاتوري المطلق.

- **جنكيز خان**

جنكيز خان بالمنغولية: (1165 - 1227) ميلادية. وهو مؤسس وخان وخاقان وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته. برز جنكيز خان بعد توحيده عدة قبائل رحل لشمال شرق آسيا. فبعد إنشائه إمبراطورية المغول وتسميته "بجنكيز خان" بدأ بحملاته العسكرية فهاجم خانات قراخيطان والقوقاز والدولة الخوارزمية زيا الغربية وإمبراطورية جين . وفي نهاية حياته كانت إمبراطوريته قد احتلت جزءًا ضخمًا من أواسط آسيا والصين.

"جنكيز خان" كلمة تعني: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، أو القوي.. حسب الترجمات المختلفة للغة المنغولية.. واسمه الأصلي "تيموجين".. وكان رجلًا سفاكًا للدماء.. وكان كذلك قائدًا عسكريًّا شديد البأس.. وكانت له القدرة على تجميع الناس حوله.. وبدأ في التوسع تدريجيًّا في المناطق المحيطة به، وسرعان ما اتسعت مملكته حتى بلغت حدودها من كوريا شرقًا إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غربًا، ومن سهول سيبريا شمالًا إلى بحر الصين جنوبًا.. أي أنها كانت تضم من دول العالم حاليًا: (الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا.. إلى جانب مملكة لاوس وميانمار ونيبال وبوتان !!).

وقبل أن يتوفى جنكيز خان أوصى أن يكون خليفته هو أوقطاي خان وقسم إمبراطوريته إلى خانات بين أبنائه وأحفاده. وقد توفي سنة 1227 بعد أن هزم التانجوت وقد دفن في قبر مجهول لايعرف بالضبط أين مكانه في منغوليا. وبدأ أسلافه بتوسيع إمبراطوريتهم خلال أرجاء أوراسيا من خلال احتلال و/أو إنشاء ممالك تابعة لهم داخل الصين الحالية وكوريا

والقوقاز وممالك آسيا الوسطى، وأجزاء ضخمة من أوروبا الشرقية والشرق الأوسط.

إلى جانب إنجازاته العسكرية الضخمة، فجنكيز خان جعل الإمبراطورية المغولية تتطور في وسائل أخرى. حيث أنه أصدر مرسوم باعتماد الأبجدية الأويغورية كنظام الكتابة في الإمبراطورية المغولية. وأنشأ إمبراطورية موحدة من قبائل شمال شرق آسيا الرحل. ويكن له المغول الحاليين شديد الاحترام ويعتبرونه الأب المؤسس لدولة منغوليا.

- **حنبعل (هانيبال)**

حنبعل بن أميلكار برقا الشهير بهانيبال أو حنبعل (247 ق.م - 184 ق.م) قائد عسكري قرطاجي من عائلة بونيقية عريقة يُنسب إليه اختراع العديد من التكتيكات الحربية في المعارك. كان أبوه حملقار برقا قائدًا للقرطاجيين في الحرب البونيقية الأولى، وكان أخواه صدربعل وماجو من أعظم قادة القرطاجيين، وكان شقيقًا لزوجة صدربعل العادل ولد بمدينة قرطاج (إحدى ضواحي مدينة تونس حاليا) في عام 247 ق.م.، ورافق وهو في التاسعة من عمره والده أميلكار برقا إلى هسبانيا. وفي عام 221 ق.م.، اختاره الجنود قائدًا بعد اغتيال صدربعل العادل زوج أخته، فتمكن من بسط نفوذ قرطاج على كامل شبه الجزيرة الإيبيرية بما في ذلك ساغونتو إحدى المعسكرات الرومانية. لذا، فقد رأت روما ذلك خرقا للمعاهدة التي عقدت إثر الحرب البونيقية الأولى، وطالبت بتسليمها حنبعل، وقد كان رفض هذا الطلب سببًا في اندلاع الحرب البونيقية الثانية بين عامي 218

ق.م. و201 ق.م. عاش حنبعل خلال فترة من التوتر في البحر المتوسط، عندما حاولت روما فرض سطوتها على القوى العظمى في المنطقة مثل قرطاجنة ومملكة مقدونيا الهلستينية وسرقوسة والإمبراطورية السلوقية. كانت أكبر إنجازاته خلال الحرب البونيقية الثانية، عندما سار بجيش يضم فيلة حربية، من أيبيريا عبر جبال البرانس وجبال الألب إلى شمال إيطاليا. في سنواته القليلة الأولى في إيطاليا، حقق ثلاثة انتصارات مثيرة في معارك تريبيا وبحيرة تراسمانيا وكاناي. وخلال 15 عام، احتل حنبعل معظم إيطاليا مع ذلك اضطر إلى أن يعود لمواجهة الغزو الروماني لشمال أفريقيا. وهناك، هزمه سكيبيو الإفريقي في معركة زامة بعد الحرب، أصبح حنبعل حاكمًا لقرطاجنة، وعندئذ قام بسنّ العديد من القرارات السياسية والمالية ليتمكن من دفع تعويضات الحرب المفروضة على قرطاجنة لروما. كانت هذه القرارات لا تحظى برضا الطبقة الأرستقراطية القرطاجية فوشت به لروما، ففرض عليه النفى. خلال منفاه، عاش في الإمبراطورية السلوقية، حيث قام بدور المستشار العسكري لأنطيوخس الثالث في حربه ضد روما. بعد هزيمة أنطيوخس، إضطر إلى قبول شروط روما، وفر هانيبال مرة أخرى إلى مملكة أرمينيا، واستقر في بيثينيا، حيث ساعدهم لتحقيق فوزًا بحريًا بارزًا على أسطول من بيرجامس. بعد ذلك تعرض للخيانة وكان من المفترض أن يسلم إلى الرومان، إلا أنه آثر تناول السم الذي قيل أنه احتفظ به في خاتم لبسه لوقت طويل على أن يموت أسيرا في يد الأعداء.

يعتبر حنبعل واحدا من أشهر الجنرالات في العصور القديمة، جنبًا إلى جنب مع الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر والكثير من قادة العصر الحديث أمثال نابليون بونابرت ودوق ولينجتون، يعتبرون حنبعل "قائدًا استراتيجيًا

موهوبًا". كما تناولت العديد من الأفلام والبرامج الوثائقية قصة حياته. يعزى إليه المقولة الشهيرة: "سوف نجد حلًا، أو سنصنع واحدا".

- **قورش الأول**

قوروش الثاني، أو قورش الكبير (576 أو 590 ق.م. - أغسطس 530 ق.م.) وهو مؤسس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية. كزعيم للفرس في أنشان، هزم الميديين ووحد مملكتين إيرانيتين؛ ثم كملك فارس بنى إمبراطورية من 559 ق.م. حتى وفاته. الإمبراطورية توسعت تحت حكمه لتضم جنوب غرب آسيا، ومعظم آسيا الوسطى ومعظم المناطق على حافة الإمبراطورية الهندية، خالقًا بذلك أكبر إمبراطورية شهدها العالم حتى ذلك الحين خلال حكمه الذي دام 29 عامًا، حارب قورش بعض أعظم الدول في العصر الكلاسيكي السابق، ومنهم الدولة الميدية، الدولة الليدية، الدولة البابلية الحديثة. قورش لم يتقدم باتجاه مصر، فقد مات في معركة ضد المساجيتاي بوادي نهر سير داريا في أغسطس 530 ق.م. خلف قورش ابنه قمبيز الثاني، الذي استطاع غزو مصر خلال فترة حكمه القصيرة قورش هو أول ملك يضاف إلى اسمه لقب "الكبير"، أو قَزْرَكا في الفارسية القديمة، (بزُرْگ في الفارسية المعاصرة)، وهو أسلوب ألقاب ملكية استعمله خلفاؤه الأخمينيون بما فيهم داريوش الكبير، خرخس الكبير، إلخ. ويعتبره معظم الإيرانيون أبًا لإيران. وخارج دولته، ترك قورش أثرًا كبيرا في الدين والسياسة والاستراتيجية العسكرية.

- **تحتمس الثالث**

تحتمس الثالث (1425 ق.م – لايعرف بالضبط تاريخ وفاته) الفرعون الأسطورة.. سادس فراعنة الأسرة الثامنة عشر، ويعتبر أعظم حكام مصر وأحد أقوى الباطرة في التاريخ، حيث أسس أول إمبراطورية مصرية في ذلك الوقت. ظلت تلك الأمبراطورية حتى نحو عام 1070 قبل الميلاد حتى عهد رمسيس الحادي عشر تزوج أبيه تحتمس الثاني من أخته حتشبسوت ولم ينجب منها فتزوج بأخرى وأنجب منها تحتمس الثالث. توفى تحتمس الثاني في عام 1479 ق.م. تاركًا العرش لابنه تحتمس الثالث، الذي لم يكن عمره قد تجاوز السادسة. وقامت حتشبسوت، وهي عمته وزوجة أبيه في آن واحد، بتنصيب نفسها وصية على عرش الملك الصغير تحتمس الثالث. وبعد عامين، نصبت نفسها ملكة للعرش، وحكمت لمدة عشرين عاما بعد ذلك اختفت، واعتلى تحتمس الثالث عرش والده في عام 1455 ق.م. كان تحتمس الثالث يتمتع بسمات شخصية خارقة وعبقرية عسكرية ليس لها مثيل تدرب تحتمس في ساحات المعارك في الأقصر. وقد اكسبته هذه التدريبات صلابة في شخصيته وخبرات عسكرية عظيمة في الوقت الذي كانت تحكم فيه حتشبسوت. واهتم بالجيش وجعله نظاميا وزوده بالفرسان والعربات الحربية، كما في عهده أتقن المصريون القدماء بفضله صناعة النبال والأسهم التي أصبحت ذات نفاذية خارقة يعترف بها مؤرخو أيامنا هذه.

وفي الوقت الذي كانت تحكم فيه حتشبسوت فكانت تتبع سياسة سلمية مع مناطق النفوذ المصري في فلسطين والنوبة ومع جيرانها، وكانت تهتم بالبحرية وترسل الحملات البحرية إلى بلاد بونت وإلى سواحل لبنان للتبادل

التجـاري، انتهـزت بعـض المحميـات في سـوريا والميتـاني للتمـرد علـى حكـم المصـريين ومعـاداتهم. وبمجـرد أن اعتلـى تحـتمس الثالـث العـرش بعـد وفـاة حتسبسـوت عمـد إلى إعـادة السـيطرة المصـرية علـى تلـك الحركـات تأمينـا لحـدود الـبلاد. تلـك التبعـات جعلتـه ملكـا محـاربا أسـطوريا قـام بسـتة عشـرة حملـة عسـكرية علـى آسـيا (منطقـة سـورية وفلسـطين) اسـتطاع أن يثبّـت نفـوذه هنـاك كمـا ثبـت نفـوذ مصـر حـتى بـلاد النوبـة جنـوبا. وقـد كـان أمـير مدينـة قـادش في سـوريا يتـزعم حلفًـا مـن أمـراء الـبلاد الأسـيوية في الشـام ضـد مصـر وصـل عـددهم إلى ثلاثـة وعشـرين جيشـا وكـان مـن المتوقـع أن يـدعم تحـتمس الثالـث دفاعاتـه وقواتـه علـى الحـدود المصـرية قـرب سـيناء إلا أن تحـتمس قـرر الـذهاب بجيوشـه الضـخمة لمواجهـة هـذه الجيـوش في أراضـيهم ضـمن خطـة توسـيع الإمبراطوريـة المصـرية إلى أقصـى حـدود ممكنـة وتأمـين الحـدود ضـد جيوش المعتدين ويعود له الفضل في بناء حضارة الفراعنة.

- **الإسكندر الأكبر**

الإسـكندر الثالـث المقـدوني، (21 يوليـو 356 ق.م - 11 يونيـو 323 ق.م) المعـروف بأسمـاء عديـدة أخـرى أبرزهـا: الإسـكندر الأكـبر، والإسـكندر الكبـير، والإسـكندر المقـدوني، والإسـكندر ذو القـرنين هـو أحـد ملـوك مقـدونيا الإغريـق، ومـن أشـهر القـادة العسـكريين والفـاتحين عـبر التـاريخ. وُلـد الإسـكندر في مدينـة پيلا قرابـة سـنة 356 ق.م، وتتلمـذ علـى يـد الفيلسـوف والعـالم الشـهير أرسـطو حـتى بلـغ ربيعـه السـادس عشـر. وبحلـول عامـه الثلاثـين، كـان قـد أسـس إحـدى أكـبر وأعظـم الإمبراطـوريات الـتي عرفهـا العـالم القـديم،

والـتي امتـدت مـن سـواحل البحـر الأيـوني غـربًا وصـولًا إلى سلسـلة جبـال الهيمـالايا شـرقًا. يُعـد أحـد أنجـح القـادة العسـكريين في مسـيرتهم، إذ لم يحصـل أن هُـزم في أي معركـة خاضـها علـى الإطـلاق خلـف الإسـكندر والـده، فيليـپ الثـاني المقـدوني «الأعـور»، علـى عـرش الـبلاد سـنة 336 ق.م، بعـد أن اغتيـل الأخـير. ورث الإسـكندر عـن أبيـه مملكـة متينـة الأسـاس وجيشًـا عرمرمًـا قـويًا ذا جنـود مخضـرمة. وقـد مُـنح حـق قيـادة جيـوش بـلاد اليـونان كلهـا، فاسـتغل ذلـك ليُحقـق أهـداف أبيـه التوسـعيّة، وانطلـق في عـام 334 ق.م في حملـة علـى بـلاد فـارس، فـتمكن مـن دحـر الفـرس وطـردهم خـارج آسـيا الصـغرى، ثم شـرع في انتـزاع ممتلكـاتهم الواحـدة تلـو الأخـرى في سلسـلة مـن الحمـلات العسـكرية دامـت عشـر سـنوات. تمكـن الإسـكندر مـن كسـر الجـيش الفارسـي وتحطـيم القـوة العسـكرية للإمبراطوريـة الفارسـية الأخمينيـة في عـدّة وقعـات حاسمـة، أبرزهـا معـركتيّ إسـوس وگـوگميلا. تمكـن الإسـكندر في نهايـة المطـاف مـن الإطاحـة بالشـاه الفارسـي داريـوش الثالـث، وفـتح كامـل أراضـي إمبراطوريتـه وعنـد هـذه النقطـة، كانـت الأراضـي الخاضـعة لـه قـد امتـدت مـن البحـر الأدرياتيكـي غـربًا إلى نهـر السـند شـرقًا كـان الإسـكندر يسـعى إلى الوصـول إلى «نهايـة العـالم والبحـر الخـارجي الكبـير»، فأقـدم علـى غـزو الهنـد سـنة 326 ق.م في محاولـة لاكتشـاف الطريـق إلى ذاك البحـر، لكنـه اضـطرّ إلى أن يعـود أدراجـه بنـاءً علـى إلحـاح قـادة الجنـد وبسـبب تمـرّد الجـيش. تـوفي الإسـكندر في مدينـة بابـل سـنة 323 ق.م، قبـل أن يشـرع في مباشـرة عـدّة حمـلات عسـكرية جديـدة خطـط لهـا، وكـان أولهـا فـتح شـبه الجزيـرة العربيـة. بعـد بضـعة سـنوات مـن وفاتـه، نشـبت حـروب أهليـة طاحنـة بـين أتباعـه كـان مـن شـأنها أن مزّقـت أوصـال إمبراطوريتـه، وولّـدت عـدّة دول يحكـم كـل منهـا «خليفـة» وقـد

عرفت بملوك الطوائف وكان كل ملك من هؤلاء الملوك مستقل لا يدين بالولاء إلا لنفسه، وكان هؤلاء هم من بقي حيًا من قادة جيش الإسكندر وشاركه حملاته في الماضي يشمل إرث الإسكندر التمازج الثقافي الذي خلقته فتوحاته، فقد تمكن من خلط الثقافة الإغريقية الهلينية بالثقافات الشرقية المختلفة للشعوب الخاضعة له، كما أسس أكثر من عشرين مدينة تحمل اسمه في أنحاء مختلفة من إمبراطوريته، أبرزها وأشهرها هي مدينة الإسكندرية في مصر. كما أدّى إنشاء الإسكندر للمستعمرات الإغريقية الكثيرة في طول البلاد وعرضها، إلى خلق حضارة هلينية جديدة استمرت مظاهرها بارزة في تقاليد الإمبراطورية البيزنطية حتى منتصف القرن الخامس عشر. استحال الإسكندر شخصيةً بارزة في الأساطير والقصص والتاريخ اليوناني والعالمي تقريبًا، حتى قام مقام آخيل، وأصبح المقياس الذي يُحدد القادة العسكريين بناءً عليه نجاح أو فشل مسيرتهم، وما زالت الأكاديميات العسكرية حول العالم تُدرّس أساليبه وتكتيكاته الحربيّة حتى الوقت الحالي.

- **سون تزو**

هو جنرال صيني وخبير عسكري وفيلسوف، ولد عام 551 قبل الميلاد.

كتب مجموعة من المقالات العسكرية الإستراتيجية التي ضمها كتاب أسماه "فن الحرب"، وهو الكتاب الذي يعتبره البعض أول كتاب عسكري في العالم، وضع فيه خبرته في الحروب التي عايشها في ذلك الوقت.

رحـل تـزو إلى مملكـة ‘‘وو’’ في شـرق الصـين، حيـث ذاع صـيت كتابـه لدرجـة أنـه وصـل لمسـامع ملـك مملكـة تشـي، الـذي انبهـر بكتاباتـه وخبرتـه العاليـة وعبقريته، فقام بتعيينه قائدًا عامًا للجيش.

تمكـن تـزو مـن تحقيـق انتصـار تلـو الآخـر، ممـا أدى لاتسـاع نفـوذ المملكـة، حـتى أن الملـك نفسـه ازداد غـرورًا وتكـبرًا، مـا دفـع سـون وو إلى تركـه، وقـام بتعـديل مؤلفه وتنقيحه.

- **غيورغي جوكوف**

ولـد لأسـرة فقـيرة مـن الفلاحـين في سـتريلكوفكا بمحافظـة كالوغـا الروسـية عـام 1896، ويعتبر هذا القائد من أعظم القادة في التاريخ السوفييتي الروسي.

وقـد تميـز عـن القـادة العسـكريين في الحـرب العالميـة الثانيـة، فقـد كـان أكثـرهم من حيث عدد الانتصارات كما أنه لم يهزم في أي معركة.

أحيـانًا يطلـق عليـه الـبعض عـراب النصـر السـوفييتي في الحـرب العالميـة الثانيـة، بينما يذهب البعض إلى اعتباره أقوى قائد عسكري في القرن العشرين.

خـلال الحـرب العالميـة الأولى، عمـل في فـوج الفرسـان الاحتيـاطي وتم منحـه وسام سانت جورج مرتين وترقيته إلى ضابط لشجاعته في المعركة.

وشـارك في الحـرب الأهليـة الروسـية خـلال الفـترة مـن 1918-1921، فخدم في جيش الفرسان الأول وحصل على وسام الراية الحمراء.[100]

[100] معلومات مجموعة من خلال البحث على الأنترنت

- نماذج للقادة في العصر الحديث

صعب جدًا أن أذكر جميع أسماء القيادات الإسلامية الرائعة في العصر الحديث لكنني من باب الاختصار سأذكر بعضها فقط على سبيل المثال لا الحصر، كالقائد عمر المختار في ليبيا، والقائد عز الدين القسام في فلسطين، والقائد عبد الكريم الخطابي في المغرب، والقائد مروان حديد في سوريا، والقائدين الملا عبد الله مُحَّد حسن وأحمد جوري في الصومال، والقائد علي عزة بيجوفيتش في البوسنة والهرسك، والقائد أحمد عرفان في الهند وغيرهم الكثير.

كما برز خلال الجهاد في العقود الأخيرة العديد من القادة في مختلف الأمصار، فقد أظهر الجهاد في الشيشان، وأفغانستان والعراق وأماكن، خير القيادات وأروع القدوات. ممن زلزلوا عروش الروس والأمريكان وأحلافهم الصهيوصليبية.

ومن بين هؤلاء: القائد خطاب صاحب مقولة "من عاش صغيراً مات صغيراً ومن عاش لأمته عظيمًا مات عظيما". وصاحبه القائد شامل باسييف، في الشيشان، والملا عمر رحمه الله في أفغانستان صاحب مقولة:"لقد وعدني بوش بالهزيمة ووعدنا الله بالنصر، فسنرى أي الوعدين أصدق" والملا داد الله والشيخ عبد الله عزام والشيخ أبو حفص المصري والقائد آدم يحي غدن والقائدين أبو يحي وأبو الليث الليبيين. وأبو مصعب الزرقاوي قاهر الأمريكان في بلاد الرافدين، الذي تمكن مع سبعة عشر رجلاً فقط من صناعة مجد تليد في العراق، وهو صاحب مقولة: "فلا خير في عيش تنتهك فيه أعراضنا وتداس فيه كرامة أخواتنا ويحكمنا فيه عباد الصليب"، ومقولة: "نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس، الذي لا

يسترد إلا بقرآن يهدي وسيف ينصر". وفي جزيرة العرب القائد عبد العزيز المقرن والقائد يوسف العيري والقائد أبو بصير ناصر الوحيشي، وصاحبه الوفي القائد قاسم الريمي والقائد سعيد الشهري رحمهم الله، وفي بلاد المغرب الإسلامي أسماء كثيرة منها القائد الشيخ أبو الحسن رشيد البليدى والقائد يحيى أبي الهمام الجزائري والشيخ أبي عياض التونسي رحمهم الله جميعا.

وفي شرق إفريقيا برزت قيادات كثيرة نذكر منها القائد الشيخ مختار أبو الزبير وصاحبه القائد آدم عيرو والقائد صالح النبهان وهارون فضل والشيخ حسن تركي والقائد ذو اليدين رحمهم الله جميعا. وفي شبه القارة الهندية الملا عاصم عمر وغيرهم الكثير ..

وعلى رأس هذه الثلة الشيخ القائد أسامة بن لادن، وأمام هذا الإسم أقف لحظات لأفكر من أين أبدأ حين أريد أن ألخص قصة قائد مثله في سطور! بل تقف الحروف خجلة أمام عطائه وبذله وفدائه لدينه وأمته أحسبه والله حسيبه. رجل ترك الدنيا وأموالها وعيشة الملوك لينفر إلى الكهوف والغابات يصنع مجدا لأمته المكلومة. تحدى الدول الكبرى والحكومات والتحالفات ومضى بعزة وإباء فسطر أروع الملاحم ورسم أبرز الانعطافات في العالم. هو القائد الذي ارتبط اسمه بغزوات عديدة في أفريقيا وآسيا وأمريكا. القائد الأول الذي تمكن من ضرب أكبر قوة في العالم، أمريكا وفي عقر دارها وهو شرف لم يناله حتى أكبر الجيوش العالمية والدول.

غزوة الحادي عشر من سبتمبر لم تكشف لنا الشيخ أسامة كقائد عظيم فقط بل كشفت لنا أسماء عديدة للبطولة من بينها الأخ مُحَمَّد عطا رحمه الله، أمير الفوج في الطائرة الأولى التي استهدفت مبنى مركز برج التجارة العالمي، والأخ خالد الشيخ ثبته الله وفك أسره وغيره من أبناء أمة الإسلام البررة.

وكشفت غزوات الحادي عشر من سبتمبر كيف يكون التخطيط حاسمًا في قلب موازين الصراع بين الحق والباطل وإن كان صاحب الحق لا يمتلك مقومات القوة المادية التي يتبجح بها أهل الباطل، إلا أن المجاهدين تمكنوا من ضرب برجي التجارة العالمي والبنتاغون ولو شاء الله لكان البيت الأبيض في قائمة الأهداف المحطمة.

وكانت هذه بعض أسماء من قضى نحبه من قيادات الأمة المسلمة وغيرها الكثير لم يتسع المقام لذكرها، وهناك أسماء لا تزال تنتظر، نسأل الله أن يفتح على قيادات الأمة، ويمدهم بمدد من عنده ويسدد رميهم وخطاهم.

وإنه من لمن الوفاء بالعهد أن نجمع سير القادة في العصر الحديث ونحفظها ونورّثها للأجيال، بإبراز ملامح القوة والنجابة في كل سيرة، وهو مشروع تأليف ينتظر.

– من وصايا الأمراء للأمراء[101]

وهنا نعرض مثالًا لرسالة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، رسالة قائد لقائد في جيش المسلمين نتأمل من خلالها كيف كانت التقوى تاج القيادة في ذلك الزمان. وحريّ بكل قائد أن يستوعبها ويعمل بها.

الفقرة الأولى: في الأمر بطاعة الله وتقواه

"أما بعد، فإني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي ومن احتراسكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون على عدوهم بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس عددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا والقوة وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله تعالى يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا.

وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفرة المجوس "فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا،

[101] ذكرها الشيخ سعيد حوى في كتابه "فصول في الإمرة والأمير"

فاسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم".

الفقرة الثانية: في الرفق بالجيش وأهل الذمة

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تسيرهم سيرًا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل الرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حام الأنفس والكراع، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة، يكون ذلك لهم راحة يجمون بها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به وبدينه ولا يؤزروا أحدا من أهلها شيئًا فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فكما صبروا لكم فوفوا لهم.

الفقرة الثالثة: في الاستطلاع الجيد الصادق

ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذك بينك وبينهم، ولا يخفى عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدق في بعضه، والغاش عين عليك ليس عينا لك".

الفقرة الرابعة: في الإكثار من الطلائع بين يدي الجيش

وليكن منك عند دنوك أرض العدو، أن تكثر من الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائع أهل البأس من أصحابك، وتخير سوابق الخير فإن لقوا عدوك، كان أول من يلقاهم أهل القوة.

الفقرة الخامسة: في أدب القتال

واجعل أمر السرايا إلى أهل الاجتهاد، والصبر والجدل، ولا تخص بها أحدًا من خاصتك فيضيع من رأي مؤامرتك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه يتخوف فيه عليها ضُيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك، ثم لا تعالجهم المناجزة، مالم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفتك أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك أحرار حراسك على عسكرك وتحفظ من البيانات جهدك وكل أسير أتيت به ليس له عهد فاضرب عنقه لترهب به عدو الله وعدوك.

والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان.

الخاتمة

إن صناعة القيادة فن وعلم وتكامل أسباب ومقومات وطاقات في نسيج الأمة. ولا يمكن اختزال القيادة ونجاحها في بعض الأسماء فهي منظومة عطاء وبذل لكل جندي وعنصر في الصف، إلا أن وجود القادة المخلصين أحد أهم أسباب خروج الأمة من مرحلة الاستضعاف لمرحلة القوة والتمكين.

وما نحن بحاجة له في عصرنا اليوم يُعد أهم دور للقائد وهو صناعة واقع إستراتيجي جديد في العالم الإسلامي، ومنع واقع مظلم على وشك أن يتشكل فيجهض آمال هذه الأمة في النهوض، وهذا يعني العناية بالجانب الإستراتيجي والسياسي الشرعي في الميدان على مستوى المنطقة وعلى مستوى الخريطة. لننتهي برسم معالم جيوسياسية للعالم الإسلامي تمكنه من النهوض من جديد تمامًا كما فعل قادتنا النجباء على مدار ثلاثة عشر قرنًا الماضية.

ولا يمكن لقائد واحد تحقيق هذا التغيير في الوقت الراهن بل جملة من القادة المخلصين المنتشرين في زوايا الأرض تتوحد قلوبهم وأرواحهم واستراتيجيتهم وقوتهم نحو هدف واحد، هو تحرير الأمة بكسر أغلال الهيمنة الغربية والطاغوتية (العسكرية والفكرية) ورفع درجة الوعي بين الجماهير المسلمة وهزيمة التخلف العقدي والخلقي وحركات التغريب وخططها التي تستهدف أبناء الأمة، والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ولإقامة خلافة إسلامية على منهج النبوة الخالص لا الأهواء والبدع.

وحتى يكتمل البناء لابد من الدعاء ومن الإخلاص فيه، فإنما التوفيق في القيادة محض فضل من الله سبحانه، ومن يتأمل التاريخ يجد أن مع موت قائد كان يولد لأمة الإسلام قائد آخر، فحين سقطت بغداد وسقطت معها الخلافة الإسلامية على يد المغول في عام 656 هـ،ـ الموافق لسنة 1258 م، في نفس هذا العام ويقال في نفس اليوم ولد عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، وبعدها بزغت هذه الدولة لستة قرون متتالية ووطأت حوافر خيل قادتها تراب أوروبا بالفتوحات، فأعادت أمجاد الخلافة الإسلامية.

فالله سبحانه يجعل الخير في الأجيال المتوالية ولعل قائدًا عظيمًا من قادات الإسلام لا يزال اليوم في طور التنشئة أو لم يخلق بعد، فعلينا أن نخلص الدعاء لذرياتنا ونجدّ في الطلب وجمع الأسباب لصناعة هذه القيادات وتهيئة الأمر لهم، فما ينتظرنا عظيم جدًا نسأل الله أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يجعل لنا سهمًا في صناعة قادة ملاحم آخر الزمان.

وإني أشدد على أن صناعة القيادة ليست حكرًا فقط على الميدان العسكري، بل هي صناعة تعتمد عليها كل أنواع الميادين، الفكرية والتربوية والعلمية والدعوية وكل ما يصب في مصلحة هذه الأمة ونهوضها وهزيمة أعدائها وبناء حضارتها الواعدة. فالحرب على الإسلام شاملة ولم يسلم منها ميدان من الميادين، وإننا نأمل أن تجد هذه الأمة القادة الأقوياء والأمناء الذين يتحملون المسؤولية بعزم وفداء دون كلل ولا ملل حتى يقر الله أعيننا بقيام دولة الإسلام الكبرى من جديد. دولة التوحيد والعدل والوحدة لا فرق فيها بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

نصل هنا لخاتمة الكتاب وأرجو أن أكون قد وفقت في جمع أهم ما يحتاجه القادة في صناعة القيادات وما يلهم ويعين القادة على ترقية أنفسهم وتأهيلها لأفضل عطاء وأداء. (وَمَا تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (المزمل: 20). (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: 26).

فما كان من إصابة فمن الله وحده سبحانه وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهرس

بيت المقدس